



جامعة أم درمان الإسلامية
كلية الدراسات العليا
كلية التربية
قسم اللغة العربية وآدابها

يَحْيَى الْفَادَنِي شَاعِرًا

دراسة وتحقيق

بحثٌ مقدّم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

إشراف الدكتور
إبراهيم نور الجليل المدني

إعداد الطالب
حامد أحمد حامد رضا

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إستهلال

قال الله تعالى:

﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ
(٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾

[سورة الشعراء]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]:

{إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيُؤَيِّدُ حَسَانَ بَرُوحِ الْقُدُسِ يُنَافِحُ عَنْ رَسُولِهِ}

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل

إهداء

إلى روح والداي [رحمهما الله وغفر لهما].
إلى زوجتي الكريمة التي أخذت من وقتها الكثير.
إلى أختي العزيزة التي لم تنساني من دعائها.
وإلى كل من حفظ وخدم اللغة العربية، التي شَرَّفَهَا اللهُ تعالى.
أهدي ما تعلمت

الباحث

حامد أحمد حامد رضا

شكر وتقدير

الحمد لمن له الحمد، أحمدده سبحانه على تيسيره وتوفيقه لإتمام هذه الرسالة، حيث سهل الصعب، وهياً من أخلص معي توجيهها و إرشاداً وتشجيعاً فمهما قدمت لهم من التقدير والاحترام والشكر وصادق الدعوات اعتبر نفسي في موقف العاجز عن التعبير لهم بذلك وفي مقدمتهم سعادة الدكتور: إبراهيم نور الجليل المدني على إشرافه على هذه الرسالة وحسن تعامله معي أثناء كتابتها.

والشكر موصول أيضاً للبروفسور: المهدي أحمد عبد الماجد على جهده المشكور في تعليقاته وإضاءاته الجميلة لديوان الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي [صَادِحُ الْبَان].
وفقني الله و إياكم لطاعته ومرضاته...

،، الباحث ،،

مستخلص الرسالة

تتناول هذه الدراسة الشاعر السوداني الدكتور يحيى علي الفادني من خلال عدة محاور منها: سيرته وحياته، ودراسة الأغراض الشعرية في ديوانه [صادح البان]، وبعض الصور الفنية التي وردت في شعره، وكشف البعد الإسلامي في شعره وخاصة في مدحه للرسول ﷺ وأصحابه الكرام، وكذلك رثاءه لأهل العلم والفضل وتحسره على فقدهم لأنهم منارات هدى وعلم، كما تطرقت الدراسة إلى إبراز الناحية الوطنية في نفسية الشاعر، والتغني للوطن، فيما يمثل الشعر السياسي، والإفتخار بشباب ورجالات وطنه السودان.

ABSTRACT

This research deals with the Sudanese poetic works of Dr. Yahya Ali Alfadni from different axes including: his biography and life, as well as studying poetic purpose in his collection of poems (Sadih Al-baan), and aspects of rhetoric art. In addition, unveiling Islamic dimensions in Yahya's works especially poetry.

He composed in praise of the messenger Mohammed (pbuh) and his companions, not forget his lamentation to the scholars and the people of virtue where he expressed his heartbreak missing them as they were minarets of enlightenment leading to the right way.

The research also highlights with psychological themes of poet, highlighting his patriotism as he composed lyrics, political poetry and poems that reflect his pride of country-fellow men.

فهرس المحتويات

أ	البسملة.....
ب	الإستهلال.....
ج	إهداء.....
د	شكر وتقدير.....
هـ	ملخص البحث باللغة العربية.....
و	ملخص البحث باللغة الإنجليزية.....
ز	فهرس المحتويات.....
٢	المقدمة.....
٤	مشكلة البحث.....
٤	فرضيات البحث.....
٤	أهداف البحث.....
٤	أهمية البحث.....
٥	حدود البحث.....
٥	منهجية البحث.....
٥	الدراسات السابقة.....

الفصل الأول

المبحث الأول: سيرة وحياة الشاعر يحيى الفادني

٨	تعريف الشاعر.....
٨	النَّشأة والأسرة والنَّسب.....
٩	الحالة الإجتماعية ومؤثراتها في نشأة الشاعر.....
٩	رحلته العلمية والعملية وثقافته الأدبية.....
١١	المدرسة الأدبية التي ينتمي إليها الشاعر.....
١٢	إنتاجه الفكري والأدبي.....
١٢	الرسائل والبحوث العلمية التي أشرف عليها.....
١٣	نشاطاته العلمية والفكرية.....

١٤	قصيدة وداع الدكتور الوليد حسن علي مسلّم.....
١٤	وفاته.....

المبحث الثاني: شهادة الآخرين من معاصري الشاعر

١٦	خواطر عن الفقيه الدكتور يحي الفادني.....
٢٠	دكتور الفادني رحمه الله تعالى.....
٢٣	المرحوم الدكتور يحي الفادني.....
٢٥	خاطرة في وداع الأخ الدكتور يحي علي الفادني.....
٢٦	الدكتور يحي علي الفادني زميل الدراسة.....
٢٧	يحي الفادني العالم الشاعر المُجيد.....

الفصل الثاني

الأغراض الشعرية عند الشاعر يحي الفادني

٢٩	تعريف الغرض الشعري.....
٢٩	أغراض الشعر العربي.....

المبحث الأول : الوصف

٣١	تعريف الوصف.....
٣١	الوصف في العصر الجاهلي.....
٣٣	الوصف في العصر الإسلامي.....
٣٣	الوصف في العصر العباسي الأول والثاني.....
٣٤	الوصف في العصر الحديث.....
٣٥	الوصف عند الشاعر يحي الفادني.....

المبحث الثاني : المدح

٤٢	تعريف المدح.....
٤٢	المدح في العصر الجاهلي.....
٤٣	المدح في عصر صدر الإسلام.....
٤٤	المدح في العصر العباسي.....
٤٥	المدح في العصر الحديث.....
٤٦	المدح عند الشاعر يحي الفادني.....
٤٦	المدح النبوي الشريف.....
٥١	قصة الإسراء والمعراج في المدح.....

٥٣	مدح صحابة الرسول ﷺ
	المبحث الثالث: الرثاء
٥٦	تعريف الرثاء
٥٦	الرثاء في العصر الجاهلي
٥٧	الرثاء في عصر صدر الإسلام
٥٨	الرثاء في العصر العباسي
٥٩	الرثاء العصر المعاصر الحديث
٦٠	الرثاء عند الشاعر يحيى الفادني
	المبحث الرابع: الغزل
٦٩	تعريف الغزل
٦٩	الغزل في العصر الجاهلي
٧٠	الغزل في عصر صدر الإسلام
٧٠	الغزل في العصر الأموي
٧١	الغزل في العصر العباسي
٧١	الغزل في العصر الحديث
٧٣	الغزل عند الشاعر يحيى الفادني
	المبحث الخامس: الشعر السياسي
٧٥	تعريف الشعر السياسي
٧٥	الشعر السياسي في العصر الجاهلي
٧٦	الشعر السياسي في عصر صدر الإسلام
٧٧	الشعر السياسي في عصر بني أمية
٧٨	الشعر السياسي في العصر الحديث
٨١	الشعر السياسي عند الشاعر يحيى الفادني
	المبحث السادس: شعر الزهد والحكمة
٨٨	تعريف الزهد
٨٨	شعر الزهد والحكمة في العصر العباسي الأول
٩٠	شعر الزهد والحكمة عند يحيى الفادني
	المبحث السابع: شعر الغربة والحنين
٩٥	معنى الغربة في اللغة

٩٥	شعر الغربة والحنين في العصر الجاهلي
٩٥	شعر الغربة والحنين في العصر الإسلامي والأموي
٩٧	شعر الغربة والحنين في العصر العباسي
١٠٠	شعر الغربة والحنين في العصر الحديث
١٠٢	شعر الغربة والحنين في شعر يحيى الفادني

الفصل الثالث

المبحث الأول: الصورة الفنية عند الشاعر يحيى الفادني

١٠٧	تعريف الصورة الفنية
١٠٨	الإستهلال وحسن المطالع
١١٠	الإستهلال وحسن المطالع في شعر يحيى الفادني
١١٣	حسن الختام في شعر يحيى الفادني
١١٤	المقابلة في شعر يحيى الفادني
١١٨	الطباق في شعر يحيى الفادني
١١٩	التكرار في شعر يحيى الفادني
١٢٠	الجناس في شعر يحيى الفادني
١٢٠	اللغة والمفردات في شعر يحيى الفادني
١٢٢	التشبيه في شعر يحيى الفادني
١٢٣	الاستعارة في شعر يحيى الفادني
١٢٤	التقسيم في شعر يحيى الفادني
١٢٥	المبالغة في شعر يحيى الفادني
١٢٦	الأسلوب الحوار في شعر يحيى الفادني
١٢٩	الخاتمة
١٢٩	النتائج
١٣٠	التوصيات
١٣٢	المصادر والمراجع

المقدمة

المقدمة:

الحمد لله البديع الرفيع، الذي أحسن ابتداء خلقنا بصنعتة، وأولانا جميل الصنيع فاستهلت الأصوات ببراعة توحيده وهو البصير السميع، أدب نبينا محمدًا ﷺ فأحسن تأديبه حتى أرشدنا، جزاه الله عنا خيرًا إلى سلوك الأدب وأوضح لنا بديعه وغريبه، نحمده حمداً يحصن به التخلص من غزل الشهوة إلى حسن الختام، ونشكره شكر من شعر ببديع صفاته فأحسن النظم، وأعوذ بالله من قوم لا يشعرون بهذا النظام، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة شاعر بأنّه الواحد، وأن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، المبعوث من بيت عربي، فصاحته على الأعراب والإعراب أعظم شاهد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، الذين هم نظام هذا البيت الشريف، ودوائر بحره وأنواع بديعه وديباج صدره، وسلم تسليمًا كثيرًا^(١).

أما بعد:

يُعد الشاعر السوداني الدكتور يَحْيَى علي الفَيَّاذني من المبدعين، فهو أديب وشاعر وأستاذ أكاديمي جامعي امتلك القلم الذي يُسَطِّر في كلِّ مكان، ويخفق بكلِّ المشاعر، له في التربية والتعليم إسهامات، وفي التدريس كذلك، إستخدم كلماته، فكتب شعراً ونثراً، و كان له حضورٌ مميزٌ وبارز في الساحة الأدبية والعلمية، لكنّه لم يحظَ بدراسة مستقلة تتناول قصائده ونتاجه الأدبي، للأسف حتى فارق الدنيا، وله مخطوطات ذات قيمة لم تر النور بعد، مثل كتابه [إعراب القرآن]، الذي يعتبر سفراً قيماً.

ولذلك إخترت الشاعر الدكتور يَحْيَى علي الفَيَّاذني؛ ليكون مدار بحثي، بالإضافة إلى رغبتني الجامعة في إظهار شخصية الشاعر الغائرة، والمطمورة، من خلال تتبع مكامن الإبداع لديه، ولقد أستفدت في دراستي من عدة مناهج، لإيماني التام بأنّ المنهج الواحد قاصرٌ على أن يستخرج كلّ ما نبحت عنه، فأخذت من المنهج الوصفي التحليلي في دراسة حياة الشاعر، وعوامل تشكيل ثقافته.

ومن المناهج الأسلوبية الفنية في دراسة النصوص الشعرية، محاولاً استنطاقها وتحليلها، ولقد قمت بتقسيم الدراسة إلى مقدمة وثلاثة فصول:

^(١) مقتبس من مقدمة كتاب (خزانة الأدب في غاية الإرب، ابن حجة الحموي، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ١٩٨٧م، ص ١).

الفصل الأول يضم مبحثين، المبحث الأول تناولت فيه سيرة حياة الشاعر الدكتور يَحْيَى علي الفَإْذَنِي.

وأما المبحث الثاني، فتناولت فيه بعض ما كُتِبَ عن الشاعر يَحْيَى علي الفَإْذَنِي من شهادات معاصريه ومحبيه، ممن كتبوا نثراً أو نظماً.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه الأغراض الشعرية، التي وردت في شعر الدكتور يَحْيَى الفَإْذَنِي، حيث تناولت كل غرض بالتفصيل، وذلك عبر جولتي في تاريخ الأدب العربي القديم والحديث، مقارناً مع ما ورد في شعر الدكتور يَحْيَى الفَإْذَنِي، وقسّمت الفصل إلى سبعة مباحث وهي:

المبحث الأول : الوصف

المبحث الثاني : المـدح

المبحث الثالث : الـرثاء

المبحث الرابع : الغـزل

المبحث الخامس : الشعر السياسي

المبحث السادس : شعر الزهد والحكمة

المبحث السابع : شعر الغربة والحنين

وأخيراً كان الفصل الثالث الذي تضمن مبحثاً، تناولت فيه الصورة الفنية قي شعر الدكتور يَحْيَى علي الفَإْذَنِي.

وختمت البحث بخاتمة تضمنتها بعض النتائج والتوصيات، وذكرت المراجع والمصادر التي إستقيت منها.

أمّا مصادر الدراسة التي اعتمدتها فهي متنوعة ومختلفة، فكانت أعمال الشاعر وخاصة ديوانه المطبوع [صادح البان] الذي دار البحث حوله، وكذلك وجدت بحثاً تكميلياً؛ وهو بمثابة بحث التخرج لأحد طلاب كلية التربية، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أم درمان الإسلامية، إقتبست منه سيرة حياة الشاعر العلمية، والإجتماعية، والثقافية.

وكذلك بحثت في بعض المواقع بالشبكة الإلكترونية، فوجدت فيها بعض نشاطاته العلمية والأدبية، بالإضافة إلى منشور مخطوط بيد البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد تحت عنوان [إضاءات حول ديوان صادق البان].

وأبرز المشكلات التي واجهتني في أثناء الدراسة، تتمثل في قلة المراجع التي تناولت شخصية الشاعر يحيى علي الفادني، وصعوبة إيجاد معلومات تتعلق بالشاعر وديوانه، سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة على الأسئلة التالية:

- ١- من هو يَحْيَى الْفَادْنِي؟
- ٢- ما هو نتاجه الأدبي في الساحة الأدبية السودانية والعربية؟
- ٣- إلى أي مدرسة أدبية ينتمي يَحْيَى الْفَادْنِي؟

فرضيات البحث:

الكثير من الباحثين لا يعرفون الشاعر يَحْيَى الْفَادْنِي.
الكثير من الباحثين لا يعرفون نتاج الشاعر يَحْيَى الْفَادْنِي الأدبي والعلمي.
لم يحز الشاعر يَحْيَى الْفَادْنِي بدراسة علمية، تبين المدرسة الأدبية التي ينتمي إليها.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف إلى الشاعر يَحْيَى الْفَادْنِي، وشرح وتحليل بعض من اشعار ديوانه [صادح البان]، وكذلك الأغراض والصور الفنية التي تناولها في ديوانه، وأيضاً دراسة البعد الإسلامي للشاعر من خلال قصائده، في مدح الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، والبعد الإنساني من خلال قصائد الرثاء، التي رثى بها كلاً من العلمين، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مفتي الديار السعودية، وكذلك عالم اللغة العربية وأديبها البروفسور عبد الله الطيب، وتوضيح المدلولات الفنية في شعره، وكذلك توضيح الأساليب اللغوية، والتعرف إلى ما أضافه هذا الديوان إلى الأدب العربي الحديث.

أهمية البحث:

جاءت هذه الدراسة إستجابة لطلب جامعة أدرمان الإسلامية عبر مجلس الأساتذة الفضلاء، بكلية التربية قسم اللغة العربية، للبحث والدراسة عن شخصية الدكتور الشاعر يَحْيَى الْفَادْنِي [رحمه الله]، وتسليط الضوء عليه من خلال إنتاجه الأدبي والذي يتمثل في الشعر العربي الفصيح، وبعض مخطوطاته القِيَّمة، وإضافة هذا العمل إلى المكتبة العربية.

حدود البحث:

تتحدد هذه الرسالة بدراسة الشاعر وديوانه [صادح البان] والتعرف إلى الأساليب اللغوية فيه، والأغراض الشعرية الرئيسة والأفكار العامة، التي تضمنها ديوانه، والصور الشعرية الواردة في قصائده.

منهجية البحث:

إعتمدتُ في دراسة ديوان الدكتور الشاعر يَحْيَى الْفَإْذَنِي [صادح البان]، على المنهج الوصفي والمنهج التحليلي، متمثلاً في تناول بعض قصائد الديوان بالتحليل والنقد.

الدراسات السابقة:

لم أجد أيّة دراسة سابقة للشاعر يَحْيَى الْفَإْذَنِي، إلّا ماكتبه الأستاذ الدكتور المهدي أحمد عبد الماجد، في إضاءاته حول ديوان الشاعر يَحْيَى الْفَإْذَنِي [صادح البان].

الفصل الأول

المبحث الأول

سيرة وحياة الشاعر الدكتور يَحْيَى الفَادِنِي

المبحث الثاني

شهادات معاصري الشاعر الدكتور

يَحْيَى الفَادِنِي

سيرة وحياة
الشاعر الدكتور يحيى الفادني

تعريف الشاعر:

هو يَحْيَى بن علي بن محمد الفَادِنِي، ولد عام ١٩٥٣م بمدينة رفاعة بولاية الجزيرة السودانية، ومدينة رفاعة تقع شرق ولاية الجزيرة، وهي عاصمة محلية شرق الجزيرة التي تشمل بالإضافة لرفاعة كل من [الهالية]، و[ود راوة]، و[تمبول]، وتبعد عن العاصمة الخرطوم حوالي [١٥] كلم.

شهدت مدينة رفاعة افتتاح أول مدرسة لتعليم البنات في السودان وكان ذلك في عام ١٩٥٣م، وهي مدرسة بابكر بدري للبنات، وهي أيضاً أول مدينة تأسس فيها منشط الكرة الطائرة في السودان بواسطة جعفر حسن ادريس.

خَرَجَتْ رفاعةُ عدداً كبيراً من الساسة والمثقفين والشعراء والأدباء، الذين أثروا الساحة السودانية بإنجازاتهم وابداعاتهم، نذكر منهم علي سبيل المثال الشيخ عوض الكريم أبوسن^(١)، ناظر قبيلة الشكرية، والشيخ محمد أحمد أبوسن وهو أيضاً ناظر قبيلة الشكرية، وهو أول من شارك في العمل السياسي، حيث عمل وزيراً في عهد الاستعمار البريطاني.

والشيخ بابكر بدري، الذي يُعدُّ رائداً في تأسيس المدارس لتعليم البنات بالسودان، أسس أحفاده جامعة الأحفاد.

وتُعد مدرسة رفاعة الأهلية الوسطى التي أسسها المرحوم الشيخ محمد لطفي عبد الله عام ١٩٤٥م، من أوائل المدارس في التعليم الأهلي في السودان.

النشأة والأسرة والنسب:

نشأ الشاعر يَحْيَى الفَادِنِي [رحمه الله] في بيتٍ كان أوسط إخوائه، لأبٍ كان يعمل بالتجارة والزراعة، ونشأ الشاعر على محبة العلم، فدرس في خلوة جده الشيخ البشير الفادني، وينتمي الشاعر يَحْيَى الفَادِنِي إلى بيت الشيخ الفادني من أبناء الشيخ أيوب^(٢)، وأقامت الأسرة بمنطقة الجزيرة مما جعل الأمهات من بيوت متعددة، فوالدة الشاعر من قبيلة (المحسن) من منطقة العيلفون التي تقع أيضاً على الجهة الشرقية للنيل الأزرق، ووالدة والده من الجبلاب، وأمها من جنوب كردفان، ووالدها الشيخ حسن محمد أيارو، وأمها من الجوامعة وهكذا نجد أنَّ جده الحاج محمد

(١) هو عوض الكريم باشا أحمد بك أبو سن، أكبر أبناء أحمد بك أبو سن، عين ناظراً على الشكرية عام ١٨٧٢م. أنظر موسوعة القبائل والأنساب في السودان، عون الشريف قاسم، ج٤، ص (١٦٨)

(٢) موسوعة القبائل والأنساب في السودان، أ.د. عون الشريف قاسم، دار أفريقيا للطباعة والتغليف، الخرطوم السودان، ط١، ج٤، ص ١٧٣٥.

أحمد، أمه جبلابية مغربية، وأحمد جد أبيه أمه مسلمية لحوية وأبوه -علي- أمه زينب [حجازية] بنت الشريف علي الهندي، وهذا يدل على عراقية النسب والحسب [رحمه الله].

الحالة الاجتماعية ومؤثراتها في نشأة الشاعر:

تزوج الشاعر من مدينته رفاعة زوجته الأولى، وله منها ولد يسمى محمد، وكذلك تزوج من مدينة أم درمان، فأنجب فيها أربعة أولاد إثنين من الذكور واثنين من الإناث.

عاش الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي في بيئة دينية في أسرته، وكان متأثراً بجده عبد الله الفادني، حيث لازم جده في الذهاب إلى المسجد، في صلاتي المغرب والعشاء، وكان يستمع إلى دروس العلم وقراءة القرآن والمدائح النبوية، مما كان له أثر على شعره وثقافته العامة، ومن الجدير بالذكر أنَّ للشاعر يحيى علي الفادني كتاباً كبيراً، يُعرب فيه القرآن الكريم كاملاً يسمى {إعراب القرآن الكريم}، وهذا يدل على غزارة علمه بعلوم القرآن، وعلوم اللغة العربية، بدأ يقرض الشعر في سن مبكرة من حياته الأولى، وكانت بداية إنتاجه الأدبي في المرحلة المتوسطة، عندما أمره أستاذه بأن يحاكي بيتاً من الشعر كان ضمن كتاب للدراسات الإسلامية، فأنشد بيتاً.

رحلته العلمية والعملية وثقافته الأدبية:

دخل المدرسة الأولية وهو لم يتجاوز الخامسة من عمره في المدرسة الشرقية الابتدائية وهي التي أسسها الشيخ بابكر بدري، وكانت تسمى [ذات النهرين]، ثم إنتقل بعد ذلك إلى مدرسة جده عبد الله الفادني الأهلية الابتدائية التي تأسست سنة ١٩٤٧م، وأكمل المرحلة المتوسطة في مدرسة [لطفی] المتوسطة، وكان من المتفوقين فيها، وكان يشارك في الأنشطة المختلفة في الجمعيات الأدبية فكان يلقي الشعر ويشارك في المسرحيات، وكان أكثر هوايته الشعر حيث حفظ قدراً وافياً من الشعر، وانتقل بعد ذلك إلى المرحلة الثانوية، وبعد إكمال دراسته الثانوية عمل مدرساً للغة العربية في حقل التعليم، وذلك في مدرسة لطفی للمرحلة المتوسطة.

إلتحق بجامعة أمدرمان الإسلامية ليكمل فيها دراسته الجامعية، ونال منها درجة البكالوريوس في الآداب عام ١٩٧٨م، وحصل على الماجستير والدكتوراة في النحو العربي من جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، وفور تخرجه في الجامعة سافر إلى دولة نيجيريا، وعمل مدرساً بكلّيات معلمي اللغة العربية، وكلّيات نيجيريا من عام ١٩٧٨-١٩٨٢م.

وبعد عودته من نيجيريا، إلى موطنه السودان، سافر إلى المملكة العربية السعودية وعمل في التعليم العام، وفي عام ١٩٩٩م عاد من السعودية وأكمل دراسته العليا لنيل درجة الماجستير والدرجة العالمية [الدكتوراة] في جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، ثم التحق بجامعة أمدرمان الإسلامية، مدرساً في كلية التربية، وترأس قسم اللغة العربية وآدابها فيها، وكذلك عمل متعاوناً مع عدد من الجامعات السودانية.

قرأ وتأثر بكبار الشعراء القدامى والمحدثين، وحفظ دواوينهم الشعرية مما وفرت له ذخيرة من مفردات وكلمات ومعانٍ تحسها في شعره، وممن تأثر بهم من الشعراء القدامى الشاعر أبي الطيب المتنبي^(١)، وأبي العلاء المعري^(٢)، وزهير بن أبي سلمى^(٣)، وطرفة بن العبد^(٤)، وجيرير^(٥)، وأبي فراس الحمداني.

وكذلك تأثر الشاعر الفادني بالشعراء المحدثين أو المعاصرين، ومن هؤلاء الشاعر السوداني إدريس جماع، والتيجاني يوسف بشير^(٦)، ومن الشعراء المصريين أمير الشعراء أحمد شوقي^(٧)، وصاحب المدرسة التقليدية التجديدية الشاعر محمود سامي البارودي^(٨).

(١) شاعر كندة، ولد بالكوفة، حاضرة العلم واللغة والنحو عام ٣٠٣هـ-٩١٣م، قتل أبو الطيب المتنبي في دير العاقول قرب واسط سنة ٣٥٣هـ-

٩٦٥م. أنظر (موسوعة شعراء العصر العباسي-عبد عون الروضان-دار أسامة عمان-الأردن-ط١-ج٢-٢٠٠١م-ص٢٢)

(٢) شاعر مشهور، ولد بمصرة النعمان عام ٣٦٣هـ-٩٧٠م، قال الشعر وهو ابنٌ إحدى عشرة سنة، ما سنة ٤٤٩هـ-١٠٥٧. أنظر (موسوعة شعراء العصر العباسي-ج٢-ص٥١)

(٣) زهير بن ربيعة الملقب بأبي سلمى، وهو من قبيلة مزينة، وهو من أصحاب المعلقات، عدّه ابن سلام في طبقاته في شعراء الطبقة الأولى ومعه إمري القيس والنابعة والأعشى، مات (١٣ق.هـ - ٦٠٩ م). أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي، عبد عون الروضان-دار أسامة-

عمان-الأردن-ط١-٢٠٠١م-ص١٣٢)

(٤) هو طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلة، وكان في حسب من قومه، جريئاً هجائهم وهجاء غيرهم. أنظر (الشعر والشعراء-ابن قتيبة-تحقيق أحمد شاكر-دار المعارف-القاهرة مصر-ج١-ص١٨٥)

(٥) جرير شاعر أموي، تنوعت أغراضه الشعرية، بين الغزل الرقيق والهجاء المقذع، وكان مجيداً فيهما معاً، عاش في العصر الأموي ومات سنة ١٠٠هـ. أنظر (موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي-عبد عون الروضان-دار أسامة-عمان الأردن-ط١-٢٠٠١م-ص٩٩)

(٦) شاعر سوداني، من الكتاب المترسلين، من أهل أم درمان، تعلم بمعهداها، وساهم في تحرير جريدة ملتقى النهرين، له ديوان إشراقة

مطبوع، توفي ودفن في الخرطوم. أنظر (الأعلام خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٢، ص ٩٥)

(٧) شاعر مصري، ولد في القاهرة سنة ١٨٦٨م، وقد إمتزجت في دمه عناصر أربعة هي: العربية والتركية، والكردية، واليونانية، وفي الرابعة من عمره ألحق بالكتاب، إنتقل إلى المدرسة الابتدائية، ثم التحق بمدرسة الحقوق، توفي سنة ١٩٣٢م. أنظر كتاب (الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٦م-ص٤٣٦)

(٨) شاعر مصري، ولد في سنة ١٨٣٨م في القاهرة، يعد البارودي رائداً لمدرسة البعث والإحياء في الشعر العربي الحديث، وهو أحد زعماء الثورة العربية وتولى وزارة الحربية ثم رئاسة الوزراء باختيار الثوار له، توفي عام ١٩٠٤م. أنظر كتاب (الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث، ص١٢٥)

المدرسة الأدبية التي ينتمي إليها الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي:

مرَّ الشعر العربي بمراحل متعددة، وساهمت عوامل كثيرة في تجديد القصيدة من حيث شكلها ومضمونها، وظهرت على ضوء ذلك اتجاهات شعرية ومدارس متنوعة، وسنتناول منها مدرسة الإحياء والبعث بالتفصيل، ومن هذه المدارس:

١- مدرسة الإحياء والبعث. ٣- مدرسة الديوان.

٢- جماعة أبولو. ٤- شعراء المهجر.

ومدرسة البعث والإحياء يطلق إسم [مدرسة البعث والإحياء] على الحركة الشعرية التي ظهرت في أوائل العصر الحديث، والتزم فيها الشعراء النظم على نهج الشعر في عصور ازدهاره، منذ العصر الجاهلي حتى العصر العباسي، وهم مجموعة من الشعراء، نذكر منهم: البارودي، الذي يعدُّ رائد هذه المدرسة، ومنهم: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم^(١) وأحمد مَحَرَّم^(٢)، وترددت أصداً هذا الاتجاه في دواوين مَعْرُوف الرُّصَافِي^(٣)، وجميل صدقي الزهاوي^(٤)، ومثَّل هذا الاتجاه في السودان: الشاعر محمد سعيد العباسي^(٥)، ومحمد عمر البنا^(٦)، وغيرهم ممن ساروا في اتجاههم.

مما سبق يتضح أنَّ الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي متأثر بهذه المدرسة (مدرسة البعث والإحياء)، ووجدنا شعره أصيل، وذو مفردة عربية راقية، وحافظ الفادني على نهج الشعر العربي القديم في بناء القصيدة؛ فتقيد بالبحور الشعرية المعروفة، والتزم القافية الواحدة في كل قصيدة.

(١) شاعر مصري، ولد في صعيد مصر من أب مصري وأم تركية، وقد اختلف الرواة في تاريخ ميلاده والأرجح أنَّه ولد سنة ١٨٧١م، عاش يتيمًا، إلتحق بالمدرسة الحربية سنة ١٨٨٨م، توفي سنة ١٩٣٢م. أنظر كتاب (الجامع في تاريخ الأدب العربي ص ١٣٦)

(٢) شاعر مصري، حسن الرصف، نقي الديباجة، تركي الأصل أو شركسي، ولد في إيبا من قرى مصر عام ١٨٧٧م. أنظر (الأعلام - للزركلي - ج ١، ص ٢٠٢)

(٣) شاعر ومثقف وأكاديمي عراقي، ولد في بغداد سنة ١٨٧٥م، وقد تلقى دروسه الابتدائية في الكتاتيب، ثم في المدرسة الرشدية العسكرية، دعي إلى الأستاذة لتدريس اللغة العربية في المدرسة الملكية الشاهانية، وفي سنة ١٩١٨م عاد إلى العراق، وتوفي سنة ١٩٤٥م. أنظر كتاب (الجامع في تاريخ الأدب العربي ص ٤٨٦)

(٤) شاعر عراقي، ولد في بغداد سنة ١٨٦٣م، ونشأ في بيت علم ووجاهة، يتعهده والده مفتي بغداد، فتلقى العلم على يديه وفي مدرسته التي عرفت بما تدرسه من العلوم الشرعية الإسلامية والأدب العربية، وفي ١٨٨٦ عين عضواً في مجلس معارف ولاية بغداد، توفي سنة ١٩٣٦م. أنظر (الجامع في تاريخ الأدب العربي ص ٤١٤)

(٥) ولد بعراذيب بالنيل الأبيض في عام ١٢٩٨هـ، درس الخلوة في السابعة من عمره، وفي عام ١٨٩٩م إلتحق بالمدرسة الحربية بالقاهرة، من أكثر الشعراء السودانيين تجويداً للقافية، وأرقهم في استخدام بحور الخليل، طبع له دوائيه (ديوان العباسي)، في منتصف الأربعينات، توفي عام ١٩٦٢م. أنظر (تراجم شعراء وأدباء وكتاب من السودان - محمود خليل الجعفري - ص ٣٩٢)

(٦) من مواليد مدينة رفاعة عام ١٨٤٥م، حفظ القرآن برفاعة، سافر إلى مصر ولتحق بالأزهر، أصبح من فحول شعراء المهديّة، وفي عام ١٨٩٨م عين قاضياً لمركز رفاعة، توفي عام ١٩١٩م بمدينة أدرمان. أنظر (تراجم شعراء وأدباء وكتاب من السودان ص ٤٣٠)

نتاجه الفكري والأدبي:

للدكتور يَحْيَى الْفَادْنِي عددٌ لا بأس به من الكتب الأدبية والعلمية، منها ما طُبِع ونشر، ومنه لم ينشر ولم يطبع، وهنا ندرج الكتب والمؤلفات للشاعر:

- ١- الألفية التاريخية للدولة السعودية (ديوان شعر)، ..مطبوع
- ٢- السجل الصافي في العروض والقوافي،مطبوع
- ٣- قراءة في الشعر السوداني،مطبوع
- ٤- قصائد مختارة لأبي العلاء المعري،مطبوع
- ٥- مذكرة للطلاب (اللسانيات الحديثة)،مطبوع
- ٦- إعراب القرآن الكريم، ٦ أجزاء،غير مطبوع
- ٧- شرح ملحة الإعراب،غير مطبوع
- ٨- شرح لامية الأفعال،غير مطبوع
- ٩- ديوان ترانيم الأصيل،غير مطبوع

الرسائل والبحوث العلمية التي أشرف عليها:

عند زيارتي للمكتبة المركزية العامة لجامعة أم درمان الإسلامية، الكائنة بحي [العرضة] من مدينة أم درمان، وجدت في قسم الرسائل العلمية، أَنَّ الدكتور الشاعر يَحْيَى الْفَادْنِي، قد أشرف على عدة رسائل علمية، من ماجستير ودكتوراة، في نفس الجامعة، وجامعات أخرى، وكذلك رجعت إلى مكتبته الخاصة، وهي كالآتي:

- (١) الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية والصرفية.
- (٢) الحريري وآراءه اللغوية.
- (٣) الجملة الإسمية - دراسة تطبيقية في شعر عباس بن الأحنف.
- (٤) ظاهرة التضاد في اللغة العربية - دراسة تطبيقية على المفضليات.
- (٥) الشواهد النحوية والصرفية في شعر ذي الرمة - دراسة تحليلية نحو وصرف.
- (٦) الأفعال الثلاثية والرباعية المزيدة - دراسة صرفية لغوية في الربع الأخير من القرآن الكريم.
- (٧) حروف المعاني في العشر الأخير من القرآن الكريم - دراسة تطبيقية تحليلية.
- (٨) الأسماء العاملة عمل الأفعال، دراسة نحوية تحليلية تطبيقية في الحديث النبوي الشريف، صحيح مسلم.

- (٩) ابن جرير الطبري وجهوده النحوية [تفسيرية الطبري].
- (١٠) الإعراب الفرعي [دراسة تطبيقية في سورتي المؤمنين والنور].
- (١١) التفكير السيميائي، وتطوير مناهج البحث الأسلوبي المعاصر [دراسة اللسانيات الحديثة].
- (١٢) أقرام نعوم تشومسكي والنظرية التوليدية التحويلية.
- (١٣) منصوبات الأسماء في شعر أبي تمام [دراسة نحوية].
- (١٤) مخالفات سيبويه للخليل في المسائل الصرفية.
- (١٥) الشعر التعليمي في الأدب العربي [أحمد شوقي نموذجاً].
- (١٦) الترجمات النحوية لجلال الدين السيوطي في [همع الهوامع شرح جمع الجوامع].

نشاطاته العلمية والفكرية:

- ١- نظمت جامعة أم درمان الإسلامية بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية اسبوع الأدب الإسلامي في عام ٢٠٠٧م بالخرطوم، وكان الشاعر يَحْيَى الْفَائِزِي ضمن اللجنة المنظمة للأسبوع.
- ٢- عمل الدكتور يَحْيَى الْفَائِزِي مديراً بمجلة [التربية والعلوم] بكلية التربية بجامعة أم درمان الإسلامية.
- ٣- كان الدكتور يَحْيَى الْفَائِزِي عضواً في هيئة المستشارين، في مجلة [التجديد التربوي]، التي تصدرها إدارة البحوث والدراسات التربوية، بالإدارة العامة للتدريب، بوزارة التربية والتعليم.
- ٤- شارك الدكتور يَحْيَى الْفَائِزِي في مؤتمر [مستقبل كليات التربية في العالم العربي]، التي أقامته كلية التربية بجامعة أم درمان الإسلامية، ببرج الفاتح بالخرطوم عام ٢٠١٠م.
- ٥- شارك الدكتور الشاعر يَحْيَى الْفَائِزِي بقصيدة في ذكرى فقيدهم الأدب واللغة العربية الأستاذ فَرَّاج الطَّيِّب بمقر مجمع اللغة العربية بالخرطوم، الذي نظم الاحتفالية بالفقيد، وللأسف لم نعثر على هذه القصيدة.
- وهذه آخر قصيدة قالها في آخر حياته، ألقاه في حفل وداع للدكتور الوليد حسن علي، الذي أقمته بعض طالبات كلية التربية بجامعة أم درمان الإسلامية، بمنتجع السمك في مدينة بحري، وتعد من باب شعر الإخوانيات والاجتماعيات، حيث مدح الشاعر فيها الدكتور الوليد، وتألم لفراقه ومغادرة الجامعة ووطنه السودان، متوجها صوب المملكة العربية السعودية، متعاقداً في التدريس مع جامعة الملك خالد بالطائف.

وداع الدكتور الوليد حسن علي مسلّم

يقول الشاعر الدكتور يَحْيَى الْفَادِنِي [رحمه الله]^(١):

يُهديك من قبب الإحسان إنسانا	إنّ الوليد نفيس حيثما كان
فلا تراه إلى الخوان خوانا	يُهديك منه سلوكاً طاب مخبره
فليسعد الله أوقاتاً وأزمانا	نفارق اليوم منه شق أنفسنا
يُدر على الأزمان بستانا	ونشكر اليوم طلاباً لفعلهمو خيراً
لتسعد اليوم أباءاً وإخوانا	فطالب العلم يسعى مثل آمنة
إذا جُدنَ بالعلم إخلاصاً وإذعاناً	كذاك إخوتها أخواتها أسعد بهنّ
مثل المنال إذا نولنَ إنسانا	منال هذي وتلكم نعمة زخرت
من خلقه الجَمُّ إحساناً وإيماناً	يا حبذا هاشمٌ إذ كان يرفدنا

وفاته:

كانت وفاة الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي في الرابع من مُحرم لعام ١٤٣٧ هـ من الهجرة النبوية، الموافق السابع عشر من أكتوبر سنة ٢٠١٥م، توفي بالمملكة الأردنية الهاشمية، حيث كان في رحلة علاجية، و دفن في السودان، جزاه الله كل خير إزاء ما قدم للإسلام والمسلمين ولخدمة كتاب رب العالمين، وللغة العربية الشريفة، وغفر الله له ورحمه.

^(١) قام بتسجيلها الأستاذ حسن آدم عباس، محاضر بكلية التربية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة أم درمان الإسلامية.

شهادات من معاصري الدكتور
يحيى الفادني

خواطر عن الفقيد الدكتور يَحْيَى الْفَادْنِي

كتبه: البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد سليمان^(١)

عطفه وحرصه على التطور:

كان الدكتور يَحْيَى الْفَادْنِي [رحمه الله تعالى] حريصاً على معاملة جميع أعضاء القسم، بلطف معاملة الأب الحنون لأبنائه، وكان حريصاً على تطوير قسم اللغة العربية، وسيره إلى الأمام بخطوات ثابتة في مضمار التقدم والرقي؛ وذلك بإستفادته من جميع المناهج العلمية الحديثة في مجال البحث العلمي، كان يحث الجميع على الأخذ بكل حديث مفيد. ثقافته وعلمه الواسعتان:

كان المرحوم واسع العلم عميقه، له ثقافة متنوعة، وخبرة بعلوم العصر وآدابه، ومن ذلك معرفته باللغات الحية، أذكر أنني كنت بمعيته أناقش بحثاً علمياً لنيل درجة الدكتوراة في الدراسات النحوية والصرفية، عندها بدأ يتحدث عن المنهج الذي إتبعته الدراسة، حديث العالم الخبير بالمناهج، المتعمق في معرفتها وإستخدامها.

ثمَّ تحدث عن الترجمة الإنجليزية للمستخلص العربي؛ وهو ما يعرف بـ Abstract- فأبان الخطأ في التراكيب الإنجليزية، وصحح بعض الجمل الخاطئة التي دأب بعض الطلاب على إستخدامها، ووضح الخطأ في إعتمادهم على الترجمة الفورية الحرفية لـ Google- التي تفرغ النص من مضمونه السياقي المهم، تحدث بلغة إنجليزية رفيعة، مما يدل على تمكنه ومعرفته الدقيقة لهذه اللغة.

وقد كان المرحوم يَحْيَى الْفَادْنِي واسع المعرفة، باللغات الإفريقية الحية، وكان يجيد لغة [الهوسا]، تحدثاً ومخاطبة وفهماً؛ ويرجع هذا إلى الفترة التي أمضاها المرحوم في دولة [نيجيريا]؛ معلماً للغة العربية.

سمعتة مرةً يتحدث مع بعض الأساتذة في الجامعة بلغة [الهوسا]، ويورد قطعاً شعرية أبدعها بعض شعراء [الهوسا]، ثم تحدث عن علاقة لغة [الهوسا] باللغة العربية وتأثيرها بها في بعض مفرداتها

^(١) من مواليد قرية كُئور ولاية نهر النيل، عام ١٩٥٠م، عمل مع وزارة التربية والتعليم السودانية والليبية والعُمانية، وعمل أستاذاً جامعياً في جامعة (قاريونس) بليبيا، وجامعة السلطان قابوس بسلطنة عُمان، وجامعة الملك فيصل بالسعودية، يعمل الآن مع عدد من الجامعات السودانية، شغل منصب عميد كلية العلوم الإسلامية بجامعة وادي النيل.

المستخدمة؛ والتي ترجع إلى أصلٍ عربي إسلامي، بفضل أثر الإسلام في دول إفريقيا في جنوب الصحراء.

وكان رحمه الله يتحدث أيضاً عن أثر الإسلام في اللغة [السواحلية]، في شرق إفريقيا، وما تضمه هذه اللغة من مفردات عربية، بفضل الهجرات العربية، إلى مناطق الساحل الشرقي لإفريقيا، خاصة جزيرة [زنجبار]، وأبان أن ربح كلمات اللغة السواحلية يضم مفردات عربية، وقد تتبع بالشرح والتحليل بعض الكلمات العربية وأبان ما حدث فيها من تغييرات، أو تحريف.

ومما يدل على طول نفسه، وسعة علمه، وأثره العظيم؛ قيامه بإعراب [القرآن الكريم] كله، إعراباً مفصلاً، يدل على العلم العميق، لما تحمله التعابير القرآنية من معانٍ ومفاهيم. شعره ومذهبه الأدبي:

كان المرحوم يَحْيَى الفاذني صاحب معرفة عميقة، بعلم العروض العربي، وكان يعرف ما فيه من زحافات وعلل، وما يطال بحوره من تجزئة وكمال، وما يعتري أعاريضه من قبض وخبن وغيرهما، كان شعره موزوناً مقفى، له سحرٌ وأثرٌ في النفس؛ نلمس هذا في جميع قصائده التي كتبها في دواوينه.

كتب رائعته [الألفية] السعودية شعراً، وفيها تحدث عن تاريخ الدولة السعودية، وإنجازاتها المتعددة في مختلف المجالات، وهي عمل يدل على طول النفس والصبر الجميل، ولو نظرنا إلى قصائده نجده مثلاً في قصيدته [قد أمّ للرسول]، يجيد في الإستهلال حيث يقول:

سقى الجزيرة صوب العارض الهطل وجادت الأرض ذات السلم والأثل

وهنا يذكر دلالات الحياة المتمثلة في شجر السلم والأثل مما تتبته المطر، وهي مصدر الحياة؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(١)، ومن الشجر الثمر والأكل والطبخ. والشاعر مولع بالمتقابلات المتمثلة في الماء، والنار، واللحن، والثكل، وذلك في قوله:

وقامت على ساقها تدعو معبرة يا ساق حر بلحن مطر الثكل

وساق حر هي الحمامة، وهي رمز السلام، كما أن المرأة رمز الحب، والخصوبة، والنماء، والنابعة يشبه شفتي المحبوبة بجناحي الحمامة في السمرة.

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠

والمعجم الإسلامي عند الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي، لا يغيب أبداً، بل نراه جلياً في كل قصائد الشاعر قال الشاعر:

أرض حباها إله العرش رهبتها إذا كانت العزة القسعاء في الأزل
قد صاغها الله للكون مسمعة صوت السماء بما ينداح من رسل
أتى الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي بتركيب إسلامي، متمثلاً في [إله العرش]، و[صوت السماء]،
و[ينداح من رسل]، وهو يشير إلى قول حسان بن ثابت^(١) ﷺ :

وأنت إله العرش ربي وخالقي بذلك ما عمرت في الأرض أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا سواك إلهاً أنت أعلى وأمجّد
وصوت السماء هو كناية عن القرآن الكريم، وأنظر إلى كلمة (ينداح) تكشف لك عن معنى
السهولة والعذوبة، والرضي التام، عما حمله الرسل لأهل الأرض، وينتقل الشاعر متحدثاً عن
أهل الجزيرة مستصحباً معه القيم، والمثل من حفظ الجار، وكرم الضيف، ووفاء العهد يقول يَحْيَى
الْفَادِنِي:

لا تلفين عميداً غير ذي كرم فالجود واقية للعرض من دخل
والجار يرعونه في ساحهم فيرى فيها الندى وجميل القول والفعل
يوفون بالعهد والميثاق جلهم شأن الجبال تسامى السهل بالقلل
تظل ترفع سادات فضائلهم كأنهم جُبلوا عطلاً عن الخل

وشاعرنا يَحْيَى الْفَادِنِي هنا ينظر، إلى قول الشاعر مروان بن أبي حفصة، في بني مطر حين
مدحهم بقصيدة جاء فيها:

بنوا مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودّ لهم في غيل خفّان أشبُّل
هم المانعون الجار حتى كأنما لجارهم فوق السماكين منزل

وطابق يَحْيَى الْفَادِنِي بين الكرم والبخل، في قوله: (غير ذي كرم)، وبين القول والعمل، والسهل
والجبل، والمفردات اللغوية لديه في غاية الجودة والفصاحة، ونمثل لها بقوله: (لاتلفين)، أي لاتجد
ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَلْفَيْ سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾^(٢)، وقال الشاعر العربي:

^(١) حسان بن ثابت ابن المندثر الأنصاري الخزرجي، يكنى بأبا الوليد، وقيل: أبو حسام، صحابي جليل شاعر رسول الله
(ﷺ)، وتوفي قبل أربعين من خلافة علي (رضي الله عنه). أنظر كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة-إبن الأثير-دار بن حزم-بيروت لبنان-
ط ١-٢٠١٢-ص ٢٦٩)
^(٢) سورة يوسف الآية ٢٥.

لألفينك بعد الموت تتدبني وفي حياتي فما زودتني زادي
أمّا مذهب الشعري، فأحسب أنّه من أصحاب المدرسة التقليدية المنفتحة على الحضارة
الحديثة، فكثيراً ما سمعته يتحدث عن الجودة الشاملة في شعر الشاعر التيجاني يوسف بشير،
والشابي، وأمل دنقل، وصلاح عبد الصبور، والبياتي، وسلمى الخطراء الجيوسي، وبدر شاكر
السياب، ومصطفى سند وغيرهم، كما سمعته ينشد بصوته الرائع لشعراء التفعيلة، ويوضح الجمال
في أشعارهم، وكان يحفظ الكثير من الشعر الحر، عليه [رحمة الله تعالى].

دكتور يَحْيَى الْفَادِنِي [رحمه الله تعالى]

كتبه د. الوليد حسن علي مسلم^(١)

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة؛ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، الذي قال الله له: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْهُمْ مَيِّتُونَ﴾. سورة الزمر
الآية ٣٠

وبعد:

فأول لقاء جمعتني بالدكتور يَحْيَى الْفَادِنِي [رحمه الله تعالى] كان في التاسع من يناير لعام
٢٠٠٩م، حينما تعينت بجامعة أم درمان الإسلامية، وطلب مني عميد كلية التربية حينها بروف
عصام البرير، مقابلته بإعتباره كان رئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها، ومنذ ذاك اليوم إمتدت
علاقتنا إلى عام ٢٠١٥م، حيث سافرت للمملكة العربية السعودية متعاقداً مع جامعة الملك خالد.
وفي هذه السنوات الستة كانت بيني ودكتور يَحْيَى الْفَادِنِي، [رحمه الله تعالى]، ملازمة تكاد
تكون دائمة أثناء الدوام اليومي للجامعة، ثلاث سنوات منها كان فضيلته رئيساً للقسم، وثلاث
منها كنت رئيساً له، هذه الملازمة في هذه السنوات تمكّني من القول في الدكتور يَحْيَى الْفَادِنِي
هذه الكلمات الموجزات:

(١) تميز الدكتور يَحْيَى الْفَادِنِي [رحمه الله تعالى]، بطلعة مريحة وملاح مطمئنة، تحس بها
وتلمحها من خلال طيب محياه وحفاوة إستقباله لكل قادم إليه، ومن خلال زيه الذي كان دائماً ما
يتصف بالرزانة الهيبة.

(٢) كان الدكتور يَحْيَى الْفَادِنِي [رحمه الله تعالى]، في العلم بحرّ لا يعرف أين مبتدأه، وأين
منتهاه، فقد كان في النحو متفرداً في حفظ المتون المنظومة والمنثورة، ومتفرداً في فهم القواعد
والشرح، وكان في علم اللغة مُدهشاً ومُبهرّاً، فربط الدراسات اللغوية الحديثة بالنحو المعياري،
وكان في الأدب حافظاً للشعر قديمه وحديثه، عارفاً لأخبار الشعراء ونواديرهم، ومرة سمعت منه
مختارات ابن الشجري كاملةً، وكان في العروض مسهلاً لمادته وميسراً لقواعده، ولم يكن علمه
في اللغة العربية وحدها، بل إمتد علمه إلى علم العقيدة، فكانت عقيدته أقرب لعقيدة السلف بعيدة
عن الفلسفة والتعقيد، وشمل علمه الفقه الإسلامي والأحكام الشرعية، فكان مفتياً يجيب من يسأله

(١) من مواليد دنقلا الولاية الشمالية عام ١٩٧٧م، بكالوريوس جامعة أم درمان الإسلامية، ماجستير ودكتوراة من جامعة السودان للعلوم
والتكنولوجيا، أستاذ مساعد بجامعة أم درمان الإسلامية كلية التربية منذ العام ٢٠٠٩م، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها منذ العام ٢٠١٣م حتى
٢٠١٥م، معار لجامعة الملك خالد بالمملكة العربية السعودية عام ٢٠١٥م.

بعلمٍ غزيرٍ ورأيٍ سديد، وليس هذا فحسب، بل كان ذا إحاطة بعلم الفلك والنجوم وعلم النسب والقبائل، وأخذ بنصيب وافٍ من العلوم التربوية لدرجة أنه كان يشرف على رسائل علمية في هذا المجال ويناقشها، وكان مُجيداً للغة الإنجليزية إجادَةً، أشاد بها خبير اللغة الإنجليزية البروف عبد المجيد الطيب، الذي قال لما سمع الدكتور يَحْيَى الْفَادَنِي [رحمه الله تعالى]: هذا الرجل مفخرة للسودان وذخراً للأمة.

(٣) تميز الدكتور يَحْيَى الْفَادَنِي [رحمه الله تعالى]، بموهبة شاعرية نادرة، فكان يترجل القصيدة في اللحظة، فحينما يسمعها للناس ينقسمون ما بين مصدق وغير مصدق لإرتجالها، وقد لقبه مدبر الجامعة بروف حسن عباس بالشاعر، وحينما إرتجل قصيدةً في مؤتمر مستقبل كليات التربية في الوطن العربي، الذي نظمته كلية التربية ببرج الفاتح في عام ٢٠١٠م، أجمع الحاضرون على براعته الشعرية، وجاء عميد كلية التربية بجامعة دمشق السورية، المختص باللغة العربية فحياء وقال:إليك إنتهت جودة النظم ورعة الموسيقى.

(٤) كان الدكتور الفادني [رحمه الله تعالى] خبيراً في توجيه طلاب الدراسات العليا للموضوعات التي تحتاج الدراسة، وهذا يدل على إلمام كلي ونظرة متعمقة.

(٥) لقد فعل الدكتور الفادني [رحمه الله تعالى] ما أحسب أنَّ سودانياً يفعلُه، فقد أعرب القرآن الكريم كاملاً، إعراب كلمات وجمل في ستة أجزاء تحتاج إلى الطباعة، والمُدْهَش أنَّه حينما أعرب القرآن الكريم كله لم يرجع فيه لمرجع إلاَّ بعد إكماله من باب المراجعة والتوثيق في بعض الموضوعات.

(٦) كان الدكتور الفادني [رحمه الله تعالى] حريصاً على تجويد رسائل الماجستير والدكتوراة، التي يتم إعدادها بالقسم، فكان في مرحلة إعداد الرسائل يسدّد ويقارب، وعند المناقشة كان يجعل المناقشة مجلساً للعلم تبث فيه الفوائد وتنتشر النكت العلمية.

(٧) وضع الدكتور يَحْيَى الْفَادَنِي [رحمه الله تعالى] منهجاً لقسم اللغة العربية وآدابها بكلية التربية، وقد تميز هذا المنهج بالآتي:

(أ) الشمول: فقد تناول اللغة بجميع فروعها، نحوها وصرفها وفقهها وآدابها وبلاغتها ومعاجمها ومكتبتها وعروضها وما إلى ذلك.

(ب) التركيز: فقسم كل عنصراً أدبي إلى مقررين، مقرر يتناول التاريخ والأغراض، ومقرر يتناول النصوص.

(ج) العمق: قام بتقسيم النحو والصرف إلى مفردات حسب الموضوعات، وجميع بين الدراسة النظرية والتطبيقية ومزج بين دراسة الكتب المعيارية والكتب المدرسية.

(٨) ومما إتصف به دكتور يَحْيَى الْفَادْنِي [رحمه الله تعالى] الكرم والسخاء، فكان يجعل من كل ما يأخذ من الراتب بالجامعة نصيباً للمحتاجين بالكلية ولجيرانه، وقد سالت دموعهم يوم توفى، ومازالوا يذكرونه بالخير.

(٩) كان الدكتور يَحْيَى الْفَادْنِي خطيباً مفوهاً، يخطب الجمعة بمسجد بحي الثورة الحارة ١٨ ضاحية من ضواحي مدينة أم درمان العريقة، وتميزت خطبه بالبلاغة والفصاحة، والإيجاز، وتناول المواعظ والموضوعات العامة التي تهم الجميع.

(١٠) كان الدكتور يَحْيَى الْفَادْنِي [رحمه الله تعالى]، يجيد فن التعامل مع زملائه وطلابه، فمجالسته فائدة وأنس.

المرحوم الدكتور يَحْيَى القَادِنِي

كتبه البروفسور ياسر بابكر السيد: (١)

عرفته في عام ٢٠٠٨م، وكنت عائداً من المملكة العربية السعودية، في عهد عمادة الأستاذ الدكتور عصام الدين برير، وقد باشرت حينها العمل بالكلية في بداية شهر يوليو، وقد إلتحق يَحْيَى القَادِنِي بالكلية في الفترة من ٢٠٠٣م إلى ٢٠٠٨م، وهي الفترة التي قضيتها خارج السودان، وكعادتي سلمت عليه وتعرفت عليه، ومن خلال حديثه معي عرفت أن الكلية قد حظيت بعضو هيئة التدريس متمكناً في لغته العربية، ثم إمتد التعارف أكثر وبدأت أتعرف أيضاً على شخصيته الإجتماعية والعلمية، التي أظهرت عن عالم من علماء اللغة العربية، وإجتماعياً تراه مشاركاً في كل المناسبات التي إلتقيتها فيه كثيراً، تلك التس تخص العاملين في كلية التربية بصفة خاصة والعاملين في الجامعة الإسلامية بصفة عامة، أو التي تخص أقربائه الذين تعرفت عليهم بحكم السكن أو إلتقيت بهم في مناسبات إجتماعية عديدة.

أما فيما يختص بعمله داخل الكلية كان محاضراً في تخصصه مادة [اللغة العربية]، فتجده مع طلابه كان ذو علاقة إجتماعية معهم، سواء طلاب قسم اللغة العربية، أو بقية طلاب اللغة العربية العامة، فإستمعت إليهم يتحدثون عن شخصيته لها علاقات إجتماعية ممتدة مع طلابه يحاورهم وبستمع إلى مشاكلهم الخاصة أو المتعلقة بمسيرتهم الأكاديمية، ويسعى إلى حلها مما جعله محبوباً بين طلابه، وكانوا يتحدثون عن عالم متمكن في اللغة العربية لذا تجد الطلاب حريصون على الحضور الدائم لمحاضراته، حتى أنني أجد القاعات ممتلئة بطلابه مما دفع بعضهم للحضور باكراً، حتى يتمكنوا من حجز مقاعدهم داخل القاعة.

أما شهادات زملائه في كلية التربية وفي قسم اللغة العربية بعلمه وتمكنه من تخصصه فقد كانت كبيرة، فأفصحوا إلي أن كليتهم وقسم اللغة العربية قد حظي بعالم، رغم نفيه بتواضعه أنه ليس بعالم، وهذا من تواضع العلماء، فكان متمكناً في لغته وفي تخصصه، مجوداً لعمله، مطلعاً في شتى مجالات العلم حتى في اللغات الأخرى كاللغة العربية مثلاً والدراسات الإسلامية.

إلتقيت عدداً كبيراً من المعلمين والموجهين في التعليم العام من ذوي الخبرات الطويلة والممتدة في مجال التدريس، فكانوا يسألوني دائماً عنه، ويقولون أن التعليم العام قد فقد عالماً وموجهاً للغة العربية.

(١) عميد كلية التربية بجامعة أم درمان الإسلامية.

كل هذه الشهادات القيمة في حق الدكتور يَحْيَى الْفَادْنِي، قد أكدت مشاركاته في مناسبات الكلية وأنشطتها خاصة والجامعة الإسلامية عامة، فقد كان سريع البديهة ينظم الشعر المميز في جميع مناسبات الجامعة، ويكون قد طُلب منه في نفس يوم النشاط أو المناسبات وأحياناً كثيراً أثناء قيام النشاط، وكثيراً ما ينظم أشعاره ويلقيها في مجالس الكلية وفقاً لمناسبة الموضوع.

وكان مهتماً بالشعر واللغة العربية في مراحل دراسته، فجمع أكثر من ١٥٠ مرجعاً في اللغة العربية والشعر الجاهلي، فضلاً عن تخصصه في اللغة العربية في مرحلته الجامعية، ومن مراجعه كانت أمهات الكتب الأربعة للجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وكتابه الحيوان بأجزائه المختلفة، ودوين الشعراء في العصر الجاهلي.

أما فيما يتعلق بمشاركاته وأنشطته العلمية، فقد شارك في معظم المؤتمرات و الورش والمنتديات العلمية التي دُعي إليها بصفة شخصية، أو ممثلاً لكلية التربية في مجال تخصصه، وقد وجدت مشاركاته بالأوراق العلمية الإشادة والتقدير من المشاركين، كما تم ترشيحه من قبل لجنة الدراسات التربوية بالمجلس القومي للتعليم العالي، في تقديم مناهج اللغة العربية لكلية التربية جامعة شندي، وقد وجدت ملاحظاته صدى طيباً من أعضاء اللجنة.

كانت للدكتور يَحْيَى الْفَادْنِي مساهمات مقدرة في تأليف الكتب العلمية، وأشهرها كتاب (إعراب القرآن الكريم) كاملاً في ستة أجزاء، وقد أكمل تأليفه قبل وفاته، وتلقى وعوداً بطباعته، كما أهدى كلية التربية قسم اللغة العربية مكتبته الخاصة التي تحتوي بعدد وافر من الكتب المتخصصة في اللغة العربية وغيرها وكذلك بعضاً من مؤلفاته.

كان الدكتور يَحْيَى الْفَادْنِي نشطاً في الحي الذي يسكن فيه، في خدمة مجتمعه فقد كان مشاركاً في حل كل المشكلات التي تطرح في الحي، وكان إماماً وخطيباً في مسجد الحي ومشاركاً في الدروس والمحاضرات الدينية التي تقام في المسجد.

جائني مرةً طالباً الإذن للسفر إلى مدينة رفاعه للمشاركة في إفتتاح (كبري) رفاعه، وأن ذلك يعد حدثاً وطنياً لا بد من المشاركة فيه، وقد سافر فعلاً وحضر المناسبة، ألا رحم الله الدكتور العالم يَحْيَى الْفَادْنِي رحمة واسعة.

خاطرة في وداع الأخ الدكتور يحيى الفادني^(١)

هذه قصيدة رثاء، يرثي بها الدكتور علي أحمد البشير، الدكتور يحيى الفادني [رحمه الله تعالى]، يودعه فيها، ويظهر فيها الحزن والألم، لفراق مثل هذا العالم الجليل، عالم اللغة والقوافي، وصاحب سحر البيان.

وصفاً وفخراً غاية الإمتاع	من للقوافي منشداً مترنماً
يجلو الغموض برقّة الإبداع	من للقواعد صرفها وبيائها
سحر البيان وحجة الإجماع	من للكتاب مُفسراً ومُوضّحاً
نثراً وشعراً طيب الإيقاع	من للمجالس مطرباً روادها
زحفاً على الأوتاد والمصراع	أما العَروض فقد عبرت بحوره
يا شمعة خبأت بلا إشعاع	الكل أصبح حائراً بفراقكم
في حيرة وتلفت وضياح	ومدارج الطلاب صارت بعدكم
من عالمٍ فحلّ طويل الباع	يا رب أنت أخذته وحرمتنا
متمتعاً بحسائها يا راع	فاجعل جنان الخلد مثواه غداً
صبراً وزهداً زايد الأوجاع	أجر الجنان دفعته متيقناً
من كل فعل يجلب الأطماع	واجعل بنيهِ خلفه معصومةً
صبراً يخفف لوعة الملتاع	وأنعم علينا يا إلهي بمنّة
والآل والأصحاب والأتباع	ثم الصلاة على النّبي محمدٍ

(١) نظمها الدكتور علي أحمد البشير، المدينة المنورة في ١ من محرم لعام ١٤٣٧هـ، وكان أستاذاً مشاركاً بالمشاهرة، وشغل عميداً لكلية التربية بجامعة أم درمان الإسلامية.

الدكتور يحيى علي الفادني زميل الدراسة

كتبه: الدكتور الشيخ سيد أحمد ميرغني^(١)

شاءت قدرة الله أن تجمعني بالأديب الدكتور يَحْيَى الفَادِنِي، بجامعة أم درمان الإسلامية، في أواخر السبعينات من القرن الماضي، جاء ملتحقاً بقسم اللغة العربية، والتي كان له باعٌ طويل فيها، سيما وقد قام بتدريس اللغة العربية بالمرحلة المتوسطة آنذاك، لعدة سنوات بعدها إلتحق بالدراسة الجامعية، جاءنا شاعراً ناضجاً بالفصحى والعامية.

وكان يعقد منبراً للإلقاء الشعري، بمقر النشاط بالجامعة، ومن الملفت للنظر في سلوكه مع زملائه الطلاب، مخاطبته إياهم باللغة العربية الفصحى، وما أكثر ما كان يردد عبارة [الله درك يا فلان]، إذا أعجبه شعره أو عبارات إستلطفها.

وجمعتنا الأيام مرة أخرى بعد التخرج، حين ذهبنا معلمين بالمملكة العربية السعودية، وطاب له المقام بمنطقة نجران، حيث فُتح أمامه الميدان الأدبي واسعاً، ليلقي أشعاره بالنادي الأدبي بمنطقة (نجران)، وكان يُلقي كثيراً من الشعر أمام الشعراء الذين كانوا يرتادون المنتدى، وكان يغلب على شعره (الوصف، والمدح، والإخوانيات).

وبعد المملكة السعودية غادر معلماً، للغة العربية إلى دولة نجيрия، ومكث هناك ما يقارب الخمس سنوات، كانت بصمته بائنة في طلابه، وأتقن لغة (الهوسا) إتقاناً تاماً.

ثم عاد إلى أرض الوطن، ليكمل مشوار الدراسات العليا، حيث حصل على شهادة الدكتوراه، وعين بعدها مدرساً بكلية التربية لمادة اللغة العربية، ولم يلبث كثيراً حتى أصبح رئيساً لقسم اللغة العربية بالكلية.

شارك في كثير من المؤتمرات الأكاديمية والتربوية في جامعة أمدرمان الإسلامية، كما كان يقوم بإلقاء القصائد المحركة للوجدان في مناسبات، وإحتفالات الجامعة.

ومن أعظم ما قام به في آخر حياته، أن أهدى كامل مكتبته القِيَمَة لكلية التربية بجامعة أمدرمان الإسلامية، محتوية على مؤلفاته، وأبحاثه، ومراجعته.

غادر الدار الفانية، وقد بكاه الجميع، خاصة العدد الهائل من طلاب الدراسات العليا بالجامعة، والذين أشرف وناقش أطروحاتهم، رحمه الله وغفر له ذنبه

^(١) ولد بمدينة شندي عام ١٩٥٧م، تخرج في كلية الشريعة والقانون بجامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٧٨م، وكانت دراساته العليا في التربية، نال رخصة المحاماة أمام المحاكم السودانية ١٩٩٨م، يعمل الآن خبيراً تربوياً في كلية التربية بجامعة أم درمان الإسلامية.

يَحْيَى الْفَادَنِي...العالم الشاعر المُجيد

كتبه: أ.د. بشير عبد الماجد^(١)

الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي: أُنْهَ عالم وشاعر مجيد ومؤلف بارع وعلمه بالعربية واسع جداً،
نحوً وصرفاً وبلاغةً، وهو من الذين يحتفظون بعلمهم في صدورهم، وهو أيضاً كثير الإطلاع
والبحث في اللغة، وله عدد من الكتب المطبوعة والمخطوطة، ومن أهم كتبه المخطوطة
[إعراب القرآن الكريم]، وقد بذل فيه مجهوداً مُقدراً.

^(١) بشير عبد الماجد بشير أحمد الجعلي، ولد في المئمة سنة ١٩٣٩م، عمل معلماً للغة العربية في مدارس في جميع أنحاء السودان، منحتة جامعة أم درمان الإسلامية درجة الدكتوراة الفخرية في مجال التربية ٢٠٠٥م، يعمل أستاذاً مساعداً لتدريس اللغة العربية بكلية التربية جامعة أم درمان الإسلامية. أنظر (رجال خدموا العربية في السودان، أ.د. محمد أحمد الشامي، جامعة أم درمان الإسلامية، ٢٠٠٦م، ص ١٦١)

الفصل الثاني

الأغراض الشعرية عند يحيى الفادني

المبحث الأول: الوصف

المبحث الثاني: المدح

المبحث الثالث: الرثاء

المبحث الرابع: الغزل

المبحث الخامس: الشعر السياسي

المبحث السادس: شعر الزهد والحكمة

المبحث السابع: شعر الغربة والحنين

تعريف الغرض الشعري:

لغة العَرَضُ: الهدف الذي يُرْمَى إليه، قال ابن منظور: (وقال في موضع آخر: الغرض الهدف، ويسمى القرطاس هدفاً وغرضاً على الاستعارة، يقال: أهدف لك الصيد فارمه، وأكثب وأغرض مثله)^(١)

إصطلاحاً: يختلف النقاد العرب قديماً في تحديد حد الغرض ولكن حسبك أنه الموضوع الجامع الذي يجمع أواصر القصيدة القديمة، على اعتبار أنها تتألف من أقسام أو لنقل مواضيع فرعية تتألف فيما بينها وتصب في بؤرة واحدة هي الغرض، وتعددت الأغراض لعل أشهرها: المدح والفخر والهجاء والرثاء.

أغراض الشعر العربي:

أغراض الشعر العربي هي الموضوعات التي نظم فيها شعراء العربية شعرهم؛ فإذا كان قصد الشاعر وغرضه من الشعر الاعتزاز بنفسه أو قبيلته فشعره فخر، وإذا كان قصد الشاعر التعبير عن الإعجاب بشخص ما في كرمه أو شجاعته أو غير ذلك فشعره مدح، وإذا كان قصده وغرضه النيل من شخص ما وتحقيره فذلك الهجاء وإذا كان الشاعر يهدف إلى إظهار الحزن والأسى فذلك الرثاء وإذا خلّق الشاعر في الخيال فرسم صوراً بديعة فذلك الوصف وإذا عبّر عن حديثه مع النساء فذلك الشعر هو الغزل وإذا استعطف بشعره أميراً أو غيره فهو الاعتذار وإذا نظر في الكون وحياة الناس فتلك الحكمة.

وأغراض الشعر العربي هي: المدح والهجاء والرثاء والفخر والوصف والغزل والاعتذار والحكمة، مع أن القصيدة العربية الواحدة تشمل عدداً من الأغراض فهي تبدأ بالغزل ثم يصف الشاعر الصحراء التي قطعها ويتبع ذلك بوصف ناقلته، ثم يشرع في الغرض الذي أنشأ القصيدة من أجله.

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٩ ص ٣٤٦

المبحث الأول

شعرُ الوصف

تعريف الوصف:

قال ابن منظور في لسان العرب: (وصف: وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة : حلاه، والهاء عوض من الواو، وقيل: الوصف المصدر والصفة الحلية، الليث : الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته، وتواصفوا الشيء من الوصف.

وقوله -عز وجل-: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾؛ أراد ما تصفونه من الكذب، واستوصفه الشيء: سأله أن يصفه له، واتصف الشيء: أمكن وصفه^(١).

والوصف اصطلاحاً: هو ما يلحظ الشاعر من صور، ومشاهد حية، وتجربته بين الأحياء، والناس، وما تمر به من أحوال وخواطر، ومواقف وأمور يقف الشاعر إزاءها موقف امام مناظر يراها بالعين، تؤثر في نفسيته فتلهز شعوره وتحرك عاطفته، فتأتي القصيدة بما توحيه نفسه إليه، وتؤثر فيه فتلهز شعوره، وما يعتلج في قلبه من مشاعر إزاء هذا الموقف، وربما جاءت وصفا لأحياء، فتكون كصور مشكلة بمقدار تأثر الشاعر بها، أو وصف لأحوال الشاعر فتكون الصور متغيرة بتغير ألوان الشعور الشعري، والعاطفي لديه لذلك تعتمد القيادة الوصفية على الدوافع النفسية، وتأثيراتها في الاستعارات والتشبيهات البلاغية، وتجد في القصيدة يد الشاعر الفنان مزخرفة القصيدة، ويعمد إلى صقلها بما أوتي من شاعرية فذة، حتى لتبدو كمرآة صافية ترى فيه خيال الموصوف، وروح الشاعر واضحة بينة^(٢).

الوصف في العصر الجاهلي:

الوصف من الأغراض التي برع فيها شعراء الجاهلية وهو يرد في معظم أشعارهم؛ فالشاعر الجاهلي يركب ناقته في أسفاره، فيصفها وصفاً دقيقاً، وهو يمر بالصحراء الواسعة فيصورها تصويراً بارعاً، يصف حرارتها في القيظ وما فيها من السراب الخادع ويصف برودتها في الشتاء، ويركب فرسه للنزهة أو للصيد فيصفه. وقد برع شعراء الجاهلية في وصف الفرس وإعداده للصيد. فغرض الوصف في الشعر العربي غرض ليس مقصوداً لذاته وإنما يأتي في عرض القصيدة ليتوصل الشاعر إلى غرضه الرئيس من المدح أو الهجاء أو الرثاء أو الفخر، وقد وصفوا الرياض والطيور وقرنوا الغراب بالشؤم، ولم يتركوا شيئاً تقع عليه

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٩ ص ٣٥٦.

(٢) الموجز في الشعر العربي - فالح حجية الكيلاني-مراجعة وتقديم د. شوقي ضيف-منشورات مطبعة أوفست الميناء-بغداد العراق-١٩٦٤م- ص ٢٧.

أبصارهم إلا وقد أبدعوا في وصفه. فهذا الشاعر الجاهلي عنتره^(١) يصف ذباباً في روضة، فيقول^(٢):

أُورَوْضَةً أَفْقًا تَضَمَّنَ نَبْتَهَا	غَيْثٌ قَلِيلُ الدِّمَنِ لَيْسَ بِمَعْلَمٍ
جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةً	فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهِمِ
سَاحًا وَتَسْكَابًا فَكُلَّ عَشِيَّةً	يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ
فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يُغْنِي وَحده	هَزَجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَّيْمِ
غَرْدًا يَسْنُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ	فِعْلَ الْمُكَبِّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

وقد أشتهر بالوصف أغلب الشعراء في العصر الجاهلي، كإمرئ القيس وزهير بن أبي سلمى ولبيد والنابغة الذبياني وعنتره العبسي، وإذا قرئنا شعر القدماء الجاهليين نجدهم اهتموا بالفرس بالغ الاهتمام كقول إمرئ القيس^(٣) في قصيدته^(٤):

وَقَدْ أَغْتَدِي وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا	بِمُنْجَرِدٍ قَيْنِدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مَكْرٍ مَقَرٍّ مُقْبِلٍ مُذْبِرٍ مَعَاً	كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلِ
كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ	كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزِّلِ
مِسْحٍ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى	أَثَرْنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمَرْكَلِ

أما عنتره العبسي فقد استمع إلى شكوى وتحمم حصانه أثناء المعركة فقال^(٥):

يَدْعُونَ عَنْتَرَةَ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا	أَشْطَانُ بُئِرٍ فِي لَبَانِ الْأَذْهَمِ
مَازِلْتُ أَرْمِيهِمْ بِثَغْرَةٍ نَحْرِهِ	وَلِبَائِهِ حَتَّى تَسْرِبَ بِالْدَمِ
فَازُورٌ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بِلِبَائِهِ	وَشَكَا إِلَى بَعْبَرَةٍ وَتَحْمُحُمِ
لَوْ كَانَ يَذْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى	أَوْ كَانَ يَذْرِي مَا جَوَابُ تَكْلَمِي
وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وَأَبْرَأَ سُقْمَهَا	قِيلَ الْفَوَارِسِ وَيُكَ عَنْتَرَ قَدَمِ

(١) هو عنتره بن شداد بن عمرو بن معاوية بن مخزوم بن ربيعة العبسي أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الاولى، من أهل نجد، ومن أصحاب المعلقة، مات نحو (٢٢ ق. هـ - ٦٠٠ م). أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص ٢٤٧)

(٢) ديوان عنتره - قدم له ووضع هوامشه و فهارسه مجيد طراد-دار الكتاب العربي-بيروت لبنان ط ١٩٩٢م - ص ١٥٨-١٥٩

(٣) هو جندج بن حُجر بن الحارث ، ولد عام ٥٠٠م في نجد، وهو من كندة. شاعر جاهلي، هو أول من نظم الشعر، وعدوه على رأس الطبقة الاولى من الشعراء. أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص ٣٤)

(٤) ديوان إمرئ القيس -تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم-دار المعارف-القاهرة مصر- ١٩٩٠م- ط ٥- ص ١٩.

(٥) ديوان عنتره، قدم له ووضع هوامشه و فهارسه مجيد طراد، ص ١٨٢-١٨٤.

الوصف في العصر الإسلامي:

ولقد ظل بناء القصيدة العربية في العصر الإسلامي، كما كان عليه في العصر الجاهلي تستهل بالغزل وذكر الأحبة في أغلب الأحيان.

وإن القصيدة الإسلامية شاملة لعدة أغراض كما كانت في الجاهلية، وخاصة القصائد الطوال، وقد حافظت على بنائها في هذا العصر من حيث التنسيق والترتيب والوزن والقافية، إلا أن كلماتها تغيرت ودخلت عليها كلمات جديدة وهي "الجنة والنار والجهاد والشهادة والجزاء في الآخرة"، وابتعدت عن ذكر الكلمات التي لا تتجاوب مع روح الدين^(١).

ولقد وصف شعراء الإسلام كل ما شاهدوه وعاصروه من وصف المعارك والحروب جهادا في سبيل الله، ومن شعر الوصف قول كعب بن مالك^(٢) في يوم بدر^(٣):

قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نَلَاقِي مَعَشَرًا بَعَوْا وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا وَاسْتَنْفَرُوا مِنْ يَلِيهِمْ مَنْ النَّاسِ حَتَّى جَمَعَهُمْ مُتَكَائِرُ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تَحَاوِلُ غَيْرَنَا بِأَجْمَعِهَا كَغَبٍّ جَمِيعًا وَعَامُرُ
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ غَزِيرٌ وَنَاصِرُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَارِ تَحْتَ لَوَائِهِ يُمِشُّونَ فِي الْمَآذِي وَالنَّفْعُ ثَائِرُ

الوصف في العصر العباسي الأول والثاني:

وكان الوصف في العصر العباسي الأول من الفنون التي قام عليها الشعر العربي منذ بداياته في العصر الجاهلي وبقي موجودا إلى وقتنا الحاضر فنا قديما حديثا مسائرا لكل وقت وزمان.

وفي العصر العباسي الثاني توسع هذا الفن كثيرا، وتقن الشعراء في وصفهم وتمثيل خواطرهم وما يجول بها، فوصفوا كما هو جديد وبالأخص الأمور الشديدة الصلة بالحضارة كوصف القصور والرياحين ومجالس الخمر والغناء بينما وصف بعض الشعراء بيئاتهم التي عاشوها من صحراء وابل وأطلال وغيرها فقد وصف الشعراء أي شيء وقعت عيونهم عليه وكل حسب طبيعته وطريقة معيشتة وحالته الاجتماعية ومقدرته الشعرية فالبحتري^(٤)

(١) الموجز في الشعر العربي-فالح حجة الكيلاني- ص ٧٢.

(٢) هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة، أبو عبد الله الأنصاري السلمي، و يقال: أبو بشير، و يقال: أبو عبد الرحمن. شهد العقبة وبايع بها، وت خلف عن بدر، وشهد أحدًا وما بعدها، وت خلف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، ومات بالشام في خلافة معاوية. أنظر (الإصابة في تمييز الصحابة، للعسقلاني، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠١٢م، ٥٥، ص ٤٥٦)

(٣) ديوان كعب بن مالك-دراسة وتحقيق سامي مكي العاني-مكتبة النهضة-بغداد العراق-١٩٦٦م-ط ١-ص ٢٠٠.

(٤) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد، طائي الأب شيباني الأم، غلب عليه لقب البحتري نسبة إلى عشيرته الطائية بحتري ولد سنة ٢٠٤هـ بمنبج بالقرب من حلب، توفي سنة ٢٨٤هـ. أنظر (تاريخ الأدب العربي-شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ج مصر، ط ١١، ص ٢٧٠)

وأبو تمام^(١) ومسلم بن الوليد^(٢) وأبو نواس^(٣) إشتهروا في الوصف ولهم قصائد جميلة، ونستشهد في هذا المقام بقصيدة للشاعر الكبير في العصر العباسي الثاني البحتري، وهو أشهرهم في الوصف، فوصف قصر من قصور الفتح بن خاقان وزير الدولة يقول فيه^(٤):

مَقَاصِيرُ مُلْكٍ أَقْبَلَتْ بِوُجُوهِهَا عَلَى مَنْظَرٍ مِنْ عُرْضِ دَجَلَةٍ مُونِقٍ
كَأَنَّ الْقَبَابَ الْبَيْضَ وَالشَّمْسُ طَلَقَتْ تُضَاجِكُهَا أَنْصَافُ بَيْضِ مُفْلَقٍ

الوصف في العصر الحديث:

فوصف الشعراء في هذا العصر كل ما وقعت عليه اعيينهم ودخل في نفوسهم وأخيلتهم من مشاهد طبيعية خلابة ومخترعات حديثة وقد تعمق بعض الشعراء في الوصف ومن شعراء الوصف الشاعر عمر ابو ريشه^(٥)، ولقد مر الشاعر بصرح روماني قديم فأوحى إليه بقصيدة عنوانها [طلل] وترجع هذه القصيدة إلى عام ١٩٣٧م وفيها يستوقف الشاعر قدمه معبرا عن ذهوله أمام هذا الصرح إذ كيف انقلبت فيه الحياة من سعد إلى نحس ومن عمار إلى خراب، ويدهش أمام حجارته التي ما تزال صامدة، ثم يرى فيه إنتصاراً على الموت الذي عجز عن أن ينال منه فارتد مقهوراً أمام قوته وفي القصيدة يقول^(٦):

قَفِي قَدَمِي إِنْ هَذَا الْمَكَانُ يَغِيبُ بِهِ الْمَرْءَ عَنْ حَسِّهِ
رِمَالٍ وَأَنْقَاضٍ صَرَحَ هَوْتُ أَعَالِيهِ تَبَحُّثٌ عَنْ أَسْهِ
أَقْلَبُ طَرْفِي بِهِ ذَاهِلًا وَأَسْأَلُ يَوْمِي عَنْ أَمْسِهِ
أَكَانَتْ تَسِيلُ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ؟ وَتَغْفُو الْجَفُونَ عَلَى أَنْسِهِ
وَتَشْدُو الْبَلَابِلُ فِي سَعْدِهِ وَتَجْرِي الْمَقَادِيرُ فِي نَحْسِهِ
أَسْتَتِيقُ الصَّخْرَ عَنْ نَاحِيَتِهِ وَأَسْتَنْهَضُ الْمَيِّتَ مِنْ رَمْسِهِ؟
حَوَافِرُ خَيْلِ الزَّمَانِ الْمَشْتِ تَكَادُ تَحْدُثُ عَنْ بؤْسِهِ

(١) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي. يكتن بأبي تمام، ولد في قرية منبج شمال سورية وقيل في قرية جاسم قرب دمشق وكانت ولادته سنة (٨٠٦م-١٨٨هـ)، هو شاعرٌ فحل من شعراء العرب. أنظر (موسوعة شعراء العصر العباسي ص ٣٣)

(٢) صريع الغواني، من أبناء الأنصار، وكان مداحاً محسناً، وُلد مدائحه في يزيد بن مزيد، وُلِي في خلافة المأمون بريد جرجان، فلم يزل بها حتى مات. أنظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٨٣٢)

(٣) الحسن بن هانئ الحكمي الدمشقي شاعر عربي من أشهر شعراء العصر العباسي، ولد في الأهواز سنة (١٤٣هـ / ٧٦٢م) من أب عربي و أم فارسية، وتوفي عام (١٩٩هـ / ٨١٣م). أنظر (موسوعة شعراء العصر العباسي ص ٥٠)

(٤) ديوان البحتري - شرح وتحقيق حسن كامل الصيرفي-دار المعارف-القاهرة مصر ١٩٦٤م- ٣-ص ١٥١٠.

(٥) عمر أبو ريشة، شاعر سوري ولد في منبج في مدينة حلب السورية سنة ١٩١٢م، وترعرع مابين سورية ولبنان، درس في الجامعة الأمريكية ببيروت، وفي سنة ١٩٣٠م سافر إلى لندن لإتمام دراسته العليا، إلتحق بالسلك الدبلوماسي وزيراً مفوضاً أو سفيراً، توفي سنة ١٩٩٠م. أنظر (الجامع في تاريخ الأدب العربي ص ٥٣١)

(٦) ديوان عمر أبو ريشة - دار العودة-بيروت لبنان ١٩٩٨م- ١-ص ١٢٥.

الوصف عند الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي:

الوصف عند الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي، إمتاز بالجودة والسلاسة متأثراً بمعان الشعراء القدماء، وينتمي إلى مدرسة التقليديين ونجده قد وصف قومه في قصيدته (قد أمّ للرسل)، بالكرم والحلم وشبههم بحاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الكرم والجود، وشبه قومه كذلك بقيس بن عاصم^(١) في حلمه المشهور حيث قال^(٢):

أكرم بمن وصفوا أعمالهم ورووا أشعارهم حفظت أثار منتقل
كحاتم إذ بنى بالجود مكرمة بها يفاخر أهله بنو ثعل
قيس يقاس كذلك بحلمه فئة من الرجال كما قد جاء في المثل

ووصف الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي أصحاب النبي ﷺ بصفات حميدة، وصفهم بالشجاعة والفروسية، وكذلك وصفهم بالمحافظة على الإسلام، والدفاع عنه وحفظ حدود الله إذ يقول^(٣):

الحافظون حدود الله عهدهم والفالقون بهم هامة البطل
والراكضون بلحق الخيل آونة والراكبون ظهور الأينق الذل
والنازلون من الهضبات أشمخها والرافلون بعز غير منتقل
والحاملون سيوف النصر بارقة تجلو الظلام إذا جردن كالشعل

وفي قصيدة [عجباً يوارى القبر للمشهور]، وصف الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي البروفسور عبد الله الطيب، وصفه بأنه النجم الساطع في سماء العلم والأدب، ويتعجب الشاعر كيف يوارى هذا القبر ذاك النجم فيقول^(٤):

ولئن قُبرت وكنت نجماً ساطعاً عجباً يوارى القبر للمشهور
ما زلت ترقى كل يوم قمةً حتى سموت على سماء النور

ووصف يَحْيَى الْفَادِنِي البروفسور عبد الله الطيب في قصيدة [سما من دامر المجذوب]، وصفه بالسمو كالنجم، ويكون شاهداً للعيان في

(١) قيس بن عاصم بن سنان التميمي، أحد أمراء العرب، وعقلائهم والموصوفين بالحلم والشجاعة فيهم، كان شاعراً، واشتهر وساد في الجاهلية، وه ممن حرم على نفسه الخمر، ووفد على النبي (صل الله عليه وسلم) في وفد تميم عام ٩ هـ، فأسلم. أنظر (الأعلام للزركلي الجزء ٥-ص ٢٠٦).

(٢) ديوان صادق البان-يحيي الفادني-ص ٢١.

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٢٢.

(٤) المصدر السابق نفسه- ص ٤٥.

أفق مدينته [دامر المجذوب]^(١) ووصفه بأنه فاق [الغزالة] تعني الشمس، علواً ووضوحاً، وكأنه جاء من المريخ وحلَّ على السودان^(٢):

سما من دامر المجذوب نجماً يكاد يكون من أفق الشهود
وفاق على الغزالة في مدار وأضحى في العوالم كالشهيد
وحلَّ على البلاد على المطايا من المريخ أو جسم جديد

وقال البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: "إنَّ الشاعرَ في هذه القصيدة [سما من دامر المجذوب] يري أنَّ عبد الله الطيب، فريداً من نوعه، وذلك في أبيات متفرقة من القصيدة و يمكن أن نذكر منها قوله^(٣):

عَلَى أَنَّ الطَّبَّاعَ لَهَا غِلَابٌ إِذَا مَا كَانَ مِنْ فَقْدِ الْوَحِيدِ
كَعَبْدِ اللَّهِ تَفْقُدُهُ عُلُومٌ وَتَذْهَبُ مِنْهُ أَسْرَارُ الْجُودِ

وهنا الشاعرُ يَحْيَى الْفَادَنِي لا يرى عميداً للأدب العربي، سوى عبد الله الطيب، وليس بغريب، إذ أنَّ الشاعرَ يَحْيَى الْفَادَنِي أثبت أنَّه فريدٌ على أقرَّائه فلا عجب أن يكون عميداً للأدب العربي، وذلك في قول الشاعر^(٤):

وَتَفْقُدُهُ الْمَحَافِلُ إِذْ تَبَدَّتْ وَقَدْ خَلَّتِ الْمَحَافِلُ مِنْ عَمِيدِ
كَأَهْلِ الذِّكْرِ تَفْقُدُهُمْ مَجَالٌ مَصَاعِدُ ذِكْرِهِمْ وَمَدَى السَّجُودِ

وكان يرى أن علمه هبة من عند الله تعالى، وأنَّه لا يُدركُ بالجهود وذلك في قول الشاعر^(٥):
لَأَنَّ الرَّبَّ أَفْـدَرَهُ لِعِلْمٍ بِسَمِّكَ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالْجُهُودِ
ويؤكد أنَّ هذا الرجل جاء من كوكب المريخ وليس من الأرض فهو فريد في كل شيء وذلك في قوله^(٦):

وَحَلَّ عَلَى الْبِلَادِ عَلَى مَطَايَا مِنْ الْمَرِيخِ أَوْ جِسْمٍ جَدِيدِ
وفي آخر القصيدة يقول هو هبةً من عند الله أتى إلى البلاد وأخذ الله هبته بقوله^(٧):

(١) مدينة الدامر تقع شمال مدينة الخرطوم بحوالي ٣٠٠ كلم، عبر خط السكك الحديدية. وجنوب مدينة عطبرة بحوالي كلم، وهي عاصمة ولاية نهر النيل وتقع على الضفاف الشرقية لنهر النيل الدمار، أرض الشيخ المجنوب عليه رحمة الله اشتهرت بخلاويها ونيران القرآن التي سهر المجاذيب على بقائها لهبا يشتعل علما وتقوي وحكمة.

(٢) ديوان صادق البان-يحيى الفادني ص ٤١

(٣) المصدر السابق نفسه- ص: ٤١

(٤) المصدر السابق نفسه- ص ٤١.

(٥) المصدر السابق نفسه- ص ٤٢

(٦) المصدر السابق نفسه- ص: ٤٣

(٧) المصدر السابق نفسه- ص: ٤٤

فَإِذَا هَبَّ اللَّهُ وَقَدْ طَوَّاهَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَهَّارُ الْعَبِيدِ

ووصف كلامَ وشعرَ البروفسور عبد الله الطيب بالدرر الثمين، هذه الدرر تُحلي مجالس العلم
بالمفيد من القول والعلم، فكلامه عميق الفائدة حيث يستفيد من هذه الدرر عددٌ كبير من طلاب
العلم الذين وصفهم الشاعر بأبنائه وهم الذين ينتمون لبلدان شتى ويطربون للقصيد^(١):

وإنَّ كلامه دررٌ تُحلي مجالي العلم بالعمق المفيد
وإنَّ بنيهِ من طلابٍ شتى من البلدان تطرب للقصيد
تغنى مجده في كل حالٍ من الأنواء في سعد السعد

وفي قصيدته الحوارية (دعيني من حسود) يصف الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي رجالات السودان
من كبار السن، الذين علاهم الشيب يصفهم بأنَّهم مثل الشباب في عزم وبأس شديد وهم ينتسبون
إلى جنسٍ سَامٍ وَحَامٍ، وَأَلْوَانُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ^(٢):

وشيب في شباب العزم دوماً وما ريب الزمان لهم أشابا
هويتهم إلى سَامٍ وَحَامٍ بألوان لهم تحكي الترابا
لحب الله والوطن المفدى بواسل يعشقون كذا الضرابا
بها شادوا مكارم خالداً وقد شمخت معالمهم قبابا

ووصف يَحْيَى الْفَادِنِي قومه من أهل السودان في ذات القصيدة، بأنَّهم يستعذبون العناء من
أجل الوطن، وينظرون إلى السودان بشدة حياته وقسوة عيشه، كأنَّهم في نعيم^(٣):

كذا أعطوا البلاد وما تولوا وما ظنوا العناء بها عذابا

ويصف الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي نساء السودان اللَّاتِي سَمَوْنَ بِعَفَافِهِنَّ وَحِجَابِهِنَّ، وَالتَّرَمْنَ
بأخلاق الدين الإسلامي الحنيف، يقول في قصيدة [دعيني من حسود]^(٤):

ومن غيدٍ سَمَوْنَ على حياءٍ وما أمرٌ من البلواء رابا
وسرن وقد جملن على عفافٍ بما قد عزَّ من خلقٍ جنابا
ضربن على الجمال حجاب تقوى وأجمل بالتقى حصناً وبابا

(١) ديوان صادق البان-يحيى الفادني ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٥٥.

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٥٩.

(٤) المصدر السابق نفسه- ص: ٥٦.

وَالشَّاعِرُ يَحْيَى الْفَادِنِي وَصَفَ الشَّبَابَ بِأَنَّهُمْ تَسَامَوْا بِالْفَضَائِلِ مِنَ الْأَخْلَاقِ مِثْلَ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ، وَإِذَا السُّودَانُ نَادَاهُمْ لِلدِّفَاعِ عَنْهُ أَجَابُوا دُونَ تَوَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ قَصِيدَةً [دَعَيْنِي مِنْ حُسُودٍ] ^(١):

وَشُـبَّانٍ كَأَبَاءٍ تَسَامَوْا وَقَدْ صَحَبُوا الْفَضَائِلَ وَالْكَتَابَا
إِذَا السُّودَانُ نَادَاهُمْ أَجَابُوا كَمَا ذَاكَ الشَّهِيدَ لَهُ أَجَابَا

ووصف شاعرنا يَحْيَى الْفَادِنِي فِي قَصِيدَةٍ [مَعْرُضُ الْفَنُونِ] الَّذِي أَقَامَهُ الْفَنَانُ مَاهِرُ الْفَخْرَانِي بِالرِّيَاضِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ، عَامَ (١٤١٧) هَجْرِيَّةٍ الْمَوَافِقِ [١٩٩٦م]، وَاصْفاً مَا احْتَوَاهُ الْمَعْرُضُ مِنْ إِبْدَاعٍ يَدِ الْفَنَانِ وَجَمَالِيَاتِهِ ^(٢):

هَلْ سَحَرُ هَارُوتَ أَمْ أَمْرٌ بَدَّ عَجِبَا مِنْ صَنْعَةِ الْإِنْسِ تَصْرِيفاً وَابْدَالاً
إِنْظُرْ لِمَا عَكَسَ الْمِرَاةَ مِنْ زَمَنِ تَرِيكَ رُؤْيَيْهِ فِي النَّفْسِ أَثْقَالاً
وَفِي قَصِيدَةٍ [ذِكْرِي] وَصَفَ يَحْيَى الْفَادِنِي بَنِي الْإِسْلَامِ بِأَوْصَافٍ جَمِيلَةٍ فَقَالَ ^(٣):

يَعَانِقُ فِي رِبَا الْإِسْلَامِ رِبْعاً جَمِيلاً قَدْ تَقَرَّدَ فِي الْمَغَانِي
يَعِزُّ إِذَا تَمَنَّعَ سَاكِنُوهُ كَفَرَةً تَلْكُمُ الْبَكْرَ الْحَصَانِ
حَمَاهَا أَنْ تَهَانَ جِبَالَ عَزَمِ بِمَا قَدْ سَطَرُوا فِي ذَا الزَّمَانِ
فَقَدْ جَعَلُوا الْمَدَائِنَ رَائِدَاتٍ وَهُمْ قَدْ رَوَّضُوا بَعْدَ الْمَعَانِي
بَنُو الْإِسْلَامِ مَا عَرَفُوا قِيُوداً لَهْذِي الْأَرْضِ مِيدَانَ الرِّهَانِ
بِهَا خِيلُ الْجِهَادِ تَخْطُ مَجْداً وَتَبْدُو وَالْمَعَانِي تَمْتَحَانِ
حُفَاةٌ قَدْ سَعَوْا فِيهَا هُدَاةً وَقَدْ نَبَذُوا التَّوَاكُلَ وَالتَّوَانِي
وَمَا شَاقَتْهُمْ الدُّنْيَا رُكُوناً وَلَا هَزَرَ الْمَطَامِعُ لِلْكِيَانِ
وَلَا لَانَتْ عِزَّتُهُمْ بِفَقْدٍ وَلَا أَصَابَهُمْ عَيْنُ الْحَسَانِ

يَقُولُ الْبَرُوفْسُورُ الْمَهْدِي أَحْمَدُ عَبْدِ الْمَاجِدِ فِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ: (أَرَادَ الشَّاعِرُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، أَنْ يَبَيِّنَ خِصَالَ الْقَوْمِ الَّذِينَ إِشْتَقَّ قَلْبُهُ لَهُمْ، بِأَنْ يَعْطُرُونَ الْجَوَّ بِالْقُرْآنِ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ

(١) ديوان صادق البان-يحيى الفادني ص ٥٦-٥٧.

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٦٠.

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٦١.

جهادٍ وفتوحات وغزوٍ أوصافهم هي: حفاة هداة لم يركنوا للعزيم ولم يرخ الفقد للأقارب من عزيمهم ولم تقتتهم النساء^(١)

ووصف الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي المعلمين، بأنَّهم الرجال الذين أتعبوا أنفسهم في سبيل نشر العلم، وأفنوا أعمارهم في تربية وتنشئة النشء، وأشعلوا الهمة في الطلاب من حرارة جذوتهم الوقادة، وذلك في قصيدته [المعلمون]^(٢):

حي الرجال وقد أنضوا شبابهم	حتى غدوا بجميل العزم أطوادا
حي الرجال وقد أفنوا زمانهم	لخدمة النشء تعليماً وإرشادا
قد أشعلوا همماً من حر جذوتهم	لكل خطب حكيم الرأي ورّادا
أمضيتم الوقت تقويماً لنشئكم	لن يصلح النشء إن لم يلق إعدادا

ووافق شاعرنا يَحْيَى الْفَادِنِي الشاعرَ المصري أحمد شوقي في قصيدته [قم للمعلم ووفه التبجيلا] بوصف المعلمين بأنَّهم الذين يبنون بالعلم أنفسهم وعقولا يقول الفادني^(٣):

يا حبذا العلم كم يسمو الرجال به يبنون بالحزم للأبناء أمجادا
وهذا أمير الشعراء أحمد شوقي^(٤) يمدح المعلم بقوله^(٥):

قُمْ لِلْمَعْلَمِ وَوَقِّهِ التَّبْجِيلَا	كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا
أَعْلَمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مَنْ الذِي	يَبْنِي وَيَنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولَا؟
سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ خَيْرُ مَعْلَمٍ	عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونَ الْأُولَى
أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظِلْمَاتِهِ	وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينِ سَبِيلَا

ووصف الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي قومه الشعب السوداني في قصيدته [عروس الروض]^(٦) وهذا يأتي في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم فقال الشاعر الفادني:

فإننا أمة لا عيب فينا	سوى أننا وضعنا للسماح
وتألفنا المروءة من زمان	وتتعشنا الكرامة بانشرراح
لنا الطاقات من مالٍ وحالٍ	وجمع في ململةٍ رداح

(١) منشور إضاءات للدكتور المهدي أحمد عبد الماجد ر حول ديوان الشاعر-صادح البان.

(٢) ديوان صادق البان- يحي الفادني ص ٦٦.

(٣) المصدر السابق نفسه- ص: ٦٦

(٤) تقدمت ترجمة الشاعر ص ١٦.

(٥) ديوان الشوقيات-أحمد شوقي - دار العودة- بيروت لبنان-١٩٨٨م- ج ١- ص ١٨٠.

(٦) ديوان صادق البان- يحي الفادني ص ٨٤.

كتائب تزدهي الإصباح لمعا تلاً في الأسنة والصفاح
تصل به الرواعد هاتقات لتبدو للأعادي كالقباح

ويصف الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي الشعب السوداني الذي له تاريخ من زمن بعيد يحكيه نهر النيل، وهذا التاريخ خُطَّ على الحجارة^(١):

لنا التاريخ من عهد سحيق فهذا النيل كم كتب العهودا
وخط على الحجارة كل راق توثق يطبّي سهلاً وبيدا
بأننا الفاعلون لما أردنا وأنا الكاتبون بها رشيدا
عرفنا الحرب قد علمت رجالاتنا وقدما لها الغالي شهيدا

ويُلمح البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: (إلى لفظة بارعة في تعليقه في هذه الأبيات، بأنَّ الشاعر سلك مسلك الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم في معلقته)^(٢) بقوله:

وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أَرَدْنَا وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِئْنَا
وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا
وَأَنَا الْعَاصِمُونَ إِذَا أُطْعِمْنَا وَأَنَا الْعَازِمُونَ إِذَا عُصِينَا

ويصف الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي أَيَّامَ الصِّبَا والطفولة، وهي مرحلة من مراحل الإنسان العمرية، وهي أَيَّام حلوة وبسيطة في قصيدة [غن يا غريد]^(٣):

غَنِ يَا غَرِيدَ مَذَكْرِنَا الزَّمَانَا وأمس الأوتار كي تسري أمانا
حيث لم نعرف سوى حلو الأماني والليالي حافلات في صباننا
نلثم الإشرار في زهر الروابي في خيال الوجد إذ طيف أتاننا
كم تعطشنا وهنا بالمعالي ما سُرَى الأرواح والفجر إزدهانا

(١) ديوان صادق البانيجي الفادني ص ٩٠.

(٢) منشور إضاءات حول ديوان [صادق البان] البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد.

(٣) ديوان صادق البانيجي الفادني ص ٧٥.

المبحث الثاني

شعر المَدْح

تعريف المدح:

المديح لغةً: قال ابن منظور في كتابه (اللسان)^(١): "المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء. الثناء.

وفي اصطلاح أهل الأدب "المدح هو وصف الشاعر غيره بالجميل والفضائل وثناءه عليه. ولا شك في أنَّ المدح من أبرز الأغراض الشعرية، التي طغت على الشعر العربي قديمه وحديثه، لذلك كان المدح يهدف إلى إظهار أهم صفات الحسنة والمستحبة في الفرد والجماعة، وهي غالباً ما تكون قِيماً أو مواصفات اجتماعية، توارثها الناس عن آبائهم وأجدادهم^(٢). وقد خَلَفَ لنا المدح أثراً أدبية جليلة تحمل أحسن ما وُصف به الممدوح من صفات، وتتغير هذه الصفات من عصر إلى عصر حسب تغير القيم والمفاهيم الأخلاقية التي تسود مجتمعاً من المجتمعات، وتلقى قَبُولاً حسناً لديهم، ويذكر ابن طباطبا العلوي^(٣) بعضاً من هذه الصفات فيقول: "وأما ما وجدته من أخلاقها ومدحت به سواها وذمت من كان على ضد حاله فيه فخلال مشهورة كثيرة، منها في الخلق والجمال والبسطة، ومنها في الخلق والسخاء والحلم والحزم والعزم والوفاء والعفاف والبر والعقل والأمانة والقناعة والغيرة والصدق والصبر والورع والشكر والعفو والعدل والإحسان وصلة الرحم وكتم السر، وما يتفرع من هذه الخلال التي ذكرناها من قرى الأضياف وقمع الأعداء وكظم الغيظ^(٤)".

المدح في العصر الجاهلي:

يُعد غرض المدح من أهم الأغراض التي تناولها شعراء الجاهلية شعرهم، والمديح الجاهلي يمتاز بالصدق في القول فيما يصف به ويتحدث عن الممدوح ربما يخرج في بعض الأحيان عن

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج ٢ ص ٥٨٩.

(٢) رسالة الماجستير الدماميني شاعرا وناقداً - إعداد سارة حسن السراحنة- جامعة الخليل فلسطين ٢٠٠٧م- ص ١٤٨.

(٣) أبو الحسن، شاعر مفلح وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان، له كتب، منها عيار الشعر، وتهذيب الطبع، و العروض، وأكثر شعره في الغزل والأدب. أنظر (الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٣٠٨).

(٤) رسالة الماجستير الدماميني شاعرا وناقداً، ص ١٤٨.

المألف إلى حد المبالغة يقول الشاعر زهير بن أبي سلمى^(١) في مدح هرم بن سنان^(٢)، والحاتر بن عوف^(٣) فيقول^(٤):

عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيَا مَعَدٍّ هُدَيْتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِخْ كَنْزاً مِنْ الْمَجْدِ يَعْظُمُ
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمْ مِنْ تِلَادِكُمْ مَعَانِمُ شَتَّى مِنْ إِقَالٍ مُرْتَمٍ

وأما الصفات التي يمدح بها الممدوح فهي: الكرم والشجاعة ومساعدة المحتاج والعفو عند المقدرة وحماية الجار، وهذا الشاعر الجاهلي النابغة الذبياني^(٥)، يمدح الملك النعمان بن المنذر فيقول^(٦):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَّبُ
فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يُبْدِ مِنْهُمْ كَوَكِبُ
وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبُ
فَإِنْ أَكُ مَظْلُومًا فَعَبْدٌ ظَلَمْتُهُ وَإِنْ تَكُ ذَا عُنْبَى فَمِثْلُكَ يُعْتَبُ

المدح في عصر صدر الإسلام:

جاء في روائع الشعر العربي^(٧)، في عصر الإسلام طراً تطور على شعر المديح لأن الفضائل التي كان الجاهلي يتغنى بها دخل عليها التعديل من وجهة النظر الإسلامية، وبما أن القيم الإسلامية جاءت لتحل مكان القيم الجاهلية فقد كانت بحاجة إلى من يعززها ويتغنى بها، فقام الشعراء بهذا الدور يمدحون الرسول ﷺ ويدافعون عن الإسلام، ومع الإسلام استمر المدح الذي يتغنى بالفضائل الثابتة ودخلته تشعبات متنوعة تمدح الرسول ﷺ وقادة الفتوحات، ودخلته معان جديدة كالعدل وإيتاء الزكاة والصلاة والجهاد والتقوى.

(١) تقدمت ترجمته ص ١٥.

(٢) هو هرم بن سنان بن أبي الحارثة المري، من أجواد العرب في الجاهلية، يضرب به المثل، إشتهر هو وابن عمه الحارث بن عوف، بدخولهما في الإصلاح بين عيس وذيبيان، مات سنة ٦٠٨ م. أنظر (الأعلام للزركلي ج ٨ ص ٨٢)

(٣) هو الحارث بن عوف بن أبي الحارثة المري، من فرسان الجاهلية، ذكر أبو عبيد في الديباج ما يدل على أنه أسلم، أتى النبي (ﷺ) فقال: أبعث معي من يدعو إلى دينك لفأنا له جار، فأرسل معه رجلاً من الأنصار، فغدر به عشيرة الحارث فقتلوه. أنظر (الإصابة في تمييز الصحابة، ج ١، ص ٢٦٥)

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى - شرح الأستاذ علي حسن فاعور - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ١٩٨٨ م - ص ١٠٦.

(٥) هو زياد معاوية بن ضباب بن جناب بن يربوع من قبيلة ذبيان من القبائل المضريه، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، مات ٦٠٥ م. أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص ٣١٦)

(٦) ديوان النابغة الذبياني - شرح وتقديم عباس عبد الساتر - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ط ٣ - ١٩٩٦ م - ص ٢٨.

(٧) موسوعة روائع الشعر العربي - إعداد سراج الدين محمد - دار الراية الجامعية - بيروت - لبنان - م ٣ ج ٢ - ص ١٨.

ونشير إلى أنَّ الإسلام لم يحرم الشعر إلا ما كان منه يحرض على الموروثات الجاهلية التي حرمها الوحي، وقد إستمع الرسول ﷺ إلى الشعر وخاصة الذي يُعبر عن مثاليات الإسلام، وكان له شاعره الخاص حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي دافع عن الإسلام، في ذلك اذ يقول^(١):

أَغْرُ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ	مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يُلَوِّحُ وَيُشْهَدُ
وَصَمَّ إِلَٰهَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَىٰ اسْمِهِ	إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَدِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيُجْلِّهُ	فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ
نَبِيٍّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ	مَنْ الرِّسْلِ وَالْأَوْثَانِ فِي الْأَرْضِ تَعْبُدُ
فَأَمْسَى سِرَاجاً مُسْتَتِيراً وَهَادِياً	يُلَوِّحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنَّدُ
وَأَنْذَرَنَا نَاراً وَبَشَّرَ جَنَّةً	وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهُ نَحْمَدُ

المدح في العصر العباسي:

وفي هذا العصر تَوَسَّعَ المدحُ إلى حدٍ بعيدٍ ودخل إليه عنصرُ المبالغة الذي وصل في بعض الأحيان إلى حد الكفر والإلحاد، وتبين قوة وعظمة الخلفاء وغطرستهم ووصفهم بصفات فوق صفات مستوى البشر، ومن ذلك قول أبي نواس^(٢) في مدح الرشيد فيقول^(٣):

هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْتَأَشَنِي	وَالنَّفْسُ بَيْنَ مُحَنْجَرٍ وَمُخَنَّقٍ ^(٤)
نَفْسِي فِدَاكَ يَوْمَ دَابِقٍ مُنْعَمًا	لَوْلَا عَوَاطِفُ حِلْمِهِ لَمْ أُطْلَقِ
وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشِّرْكِ حَتَّىٰ أَنَّهُ	لَتَخَافَكَ النُّطْفُ التِّي لَمْ تُخْلَقِ

فقالوا: كيف تخافه النطف التي لم تُخلق؟ ومجاز هذا قريب، إذا لاحظ أن كل من خاف شيئاً خافه بجوارحه وسمعه وبصره ولحمه ودمه، والنطف داخله في هذه الجملة، فهو إذا أخاف أهل الشرك أخاف النطف التي في أصلابهم.

ومن أشهر شعراء المدح في العصر العباسي "أبو تمام"^(٥)، والبحتري^(٦)، وأبو نواس^(٧)، والعتابي^(٨)، ومن قول^(٩) أبي تمام:

(١) ديوان حسان ابن ثابت--شرح وتقديم عبد أ مهنا-دار الكتب العلمية-بيروت لبنان-١٩٩٤م-ط ٢-ص ٥٤.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٣٧.

(٣) ديوان أبي نواس-تحقيق إيقالدا قاغتر-دار الكتاب العربي-بيروت لبنان-٢٠٠١م، ط ٢-ص ١١٦.

(٤) انتأشني فلان من الهلكة: أنقذني - المنجّر و المخنق الذي بلغ الحنجرة والخناق.

(٥) تقدمت ترجمة ص ٢٩.

إِذَا الْعِيسُ لَاقَتْ بِي أَبَا دُلْفٍ فَقَدْ
هُنَالِكَ تَلَقَى الْجُودَ حَيْثُ تَقَطَّعَتْ
تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا
تَكَادُ مَعَانِيهِ تَهْشُ عِرَاضُهَا
تَقَطَّعَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ التَّوَائِبِ
تَمَائِمُهُ وَالْمَجْدَ مُرَخَى الدَّوَائِبِ
إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبِ
فَتَرَكْبُ مَنْ شَوْقٍ إِلَى كُلِّ رَاكِبِ

المدح في العصر الحديث:

وفي العصر الحديث افتخر الشعراء العرب بعروبيتهم، كما افتخروا بأنفسهم ومدحوا أبطال العروبة ولإسلام وافتخروا بشجاعتهم و بأعمالهم المجيدة، ومال المدح في هذا العصر إلى الضعف، ويتميز بعدم وجود المبالغة فيه، وهاتين البيتين من قصيدة الشاعر المصري محمود سامي البارودي^(٥) يفتخر بنفسه يقول^(٦):

أَنَا لَا أَفِرُّ عَلَى الْقَبِيحِ مَهَابَةً
قَلْبِي عَلَى ثِقَةٍ وَنَفْسِي حُرَّةٌ
إِنَّ الْفِرَارَ عَلَى الْقَبِيحِ نِفَاقٌ
تَأْبَى الدُّنَا وَصَارِمِي ذَلَّاقٌ

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٩.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٣٣.

(٣) هو كلثوم بن عمرو بن بني تغلب من بني عَنَاب، من ولد عمرو بن كلثوم الشاعر، وكان شاعراً محسناً و كاتباً في الرسائل مُجيداً.

أنظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٨٦٣)

(٤) ديوان أبي تمام-شرح الخطيب التبريزي-دار الكتاب العربي-بيروت لبنان-١٩٩٤م-ط١-ج ١-ص ١١٣-١١٤.

(٥) تقدمت ترجمته ص ٨.

(٦) ديوان محمود سامي البارودي -مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة ج مصر-ص ١٩٤.

المدح عند الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي:

وقد أحتل المدح نسبة كبيرة من شعر يَحْيَى الْفَادَنِي، حيث ورد في المرتبة الأولى من شعره وخاصة في المديح النبوي الشريف.

المديح النبوي الشريف:

لا يزال المديح النبوي من لدن الرسول ﷺ إلى يومنا هذا يحتل مكانا مرموقا بإعتباره فناً من فنون الشعر؛ لما للممدوح ﷺ من منزلة عظيمة عندنا معشر المسلمين، ولما له ﷺ من جليل الأثر في تعليم الناس و تهذيب البشرية و تبليغ رسالات ربه، فمنذ بعثته ﷺ تسابق الشعراء في مدحه، ومن الشعراء المسلمين الذين برزوا في هذا المجال كعبد الله بن مالك، وعبد الله بن رواحه، وحسان بن ثابت رضي الله عنه والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وصاحب البردة.

وقد نظر الشعراء المسلمون إلى الرسول ﷺ ورأوه بشراً مثلهم أرسله الله بالهدى ودين الحق، وعن هذا كانت صفات الرسول ﷺ في شعرهم، صفات النّبي الإنسان، فالنّبي يهدي الناس ويدعو إلى دين الحق، والإنسان الذي هو نبي يتصف بصفات البطل مثل الجلد ومضاء العزيمة، وانتقاء الجبن، وهي صفات لا يقال إنّ فيها مبالغة، أو خروجاً عن الواقع وإلى هذه الصفات أشار سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه في يوم غزوة بدر الكبرى فقال^(١):

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَآذِي يَقْدُمُهُمُ جَلْدُ النَّجِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رَغْدِيدٍ^(٢)
أَعْنِي الرَّسُولَ فَإِنَّ اللَّهَ فَضَّلَهُ عَلَى الْبَرِيَّةِ بِالنَّقْوَى وَبِالْجُودِ

(١) ديوان حسان ابن ثابت- ص ٥٥.

(٢) المآذي:الدروع، و الجلد: القوي، النجيزة: الطبيعة، ماض: قوي، رعيد:جبان.

ويرى صاحب كتاب المجموعة النبهانية: "أنه من اللازم ذكر محاسنه ﷺ الجميلة، وأخلاق الجليلة التي شملت عليها شمائله الشريفة من صفات الجمال والكمال، ولكن لا على وجه التغزل بل على وجه العلم والتعظيم والإجلال^(١).

قال كعب بن زهير^(٢) في قصيدته التي مدح بها النبي ﷺ وسميت بالبردة، لأن النبي ﷺ خلع بردته ودفعها إلى كعب بن زهير^(٣):

بَانَتْ سُعَادُ قَلْبِي الْيَوْمَ مَنبُولُ	مُتَيِّمٌ إِنْهَارَهَا لَمْ يُجَزْ مَكْبُولُ
يَسْعَى الْوُشَاةُ بِجَنْبَيْهَا وَقَوْلُهُمْ	إِنَّكَ يَا بْنَ أَبِي سَلَمَى لَمَقْتُولُ
فَقُلْتُ: خَلُّوا طَرِيقِي لَا أَبَا لَكُمْ	فَكُلُّ مَا قَدَرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
كُلُّ إِبْنٍ أَنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ	يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذْبَاءَ مَحْمُولُ
أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي	وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَذَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً الـ	قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِظُ وَتَفْصِيلُ

ويقول الشيخ البوصيري^(٤) في لاميته التي يعارض فيها قصيدة البردة لكعب بن زهير وهو يمدح النبي فيقول^(٥):

وَالْمُصْطَفَى خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ	لَهُ عَلَى الرُّسُلِ تَرْجِيحٌ وَتَفْضِيلُ
مُحَمَّدٌ حُجَّةُ اللَّهِ الَّتِي ظَهَرَتْ	بِسُنَّةٍ مَا لَهَا فِي الْخَلْقِ تَحْوِيلُ
نَجَلُ الْأَكَارِمِ وَالْقَوْمِ الَّذِينَ لَهُمْ	عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ الطُّوْلُ وَالطُّوْلُ
مَنْ كَمَلَ اللَّهُ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ	فَلَمْ يَقْتَهُ عَلَى الْخَالِئِينَ تَكْمِيلُ

ومدح الشيخ الشهاب المنصوري الرسول ﷺ فقال^(٦):

الْعَاقِبُ الْمَاحِي النَّبِي الْمُصْطَفَى	الْخَاتَمُ الْهَادِي الشَّافِعُ الْفَاتِحُ
نُوحٌ وَهُودٌ قَبْلُ دَعَا بِهِ	فَالْعَيْشُ أَخْضَرُ بِالْدُّعَاءِ صَالِحُ

(١) المجموعة النبهانية في المديح النبوي- العلامة يوسف النبهاني- دار الفكر- بيروت لبنان- م ١- ص ١٤.

(٢) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى، بضم ألهم، صاحبني معروف المزني، من أهل نجد، وهو واحد من أهم الشعراء المخضرمين الذين عرفهم العرب، وقد عاش كعب بن زهير عصرين مختلفين هما عصر ما قبل الإسلام، وعصر صدر الإسلام. أنظر (الإصابة في تمييز الصحابة م ٤٤٣).

(٣) ديوان كعب بن زهير - تحقيق وشرح الأستاذ على فاعور- دار الكتب العلمية- بيروت لبنان ١٩٩٧م، ص ٦٠-٦١.

(٤) الإمام شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري، أشهر بمدائحه النبوية، التي ذاعت شهرتها في الآفاق، ولد البوصيري بقرية "دلاص" إحدى قرى بني سويف من صعيد مصر، في سنة ٦٠٨ هـ الموافق ١٢١٢م، توفي بالإسكندرية عام ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م. أنظر كتاب (معجم أعلام شعراء المدح النبوي ص ٣٥٣).

(٥) المجموعة النبهانية في المديح النبوي- العلامة يوسف النبهاني- م ٣- ص ٩.

(٦) المصدر السابق نفسه- م ١- ص ٦٠٥.

وَأَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ أَلْقَى فِي لَطَى
فَكَانَ مَا بَيْنَهُمْ قَمَرُ السَّمَاءِ
فَالْجَمْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ زَهْرٌ فَأَنْحُ
وَهُمْ نُجُومٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِيحُ

وإذا نظرنا إلى شعر يَحْيَى الْفَادِنِي، في مدح الرسول ﷺ نجده يفوح حباً للنبي ومدينته وأصحابه الطيبين وأنه ﷺ مَحَا شَرَعَ الضلال، وهو نور الحق وأفضل المرسلين، بل هو أفضل أهل الأرض وخير أهل السماء، يقول شاعرنا [رحمه الله] في قصيدته [أَحْنُ لِلدَّارِ] (١):

أَكْرَمَ بِهِ هَادِيًا تَهْدَاهُ أُمَّتَهُ
أَكْرَمَ بِرَاحَتِهِ مَا جَادَ مَبْتَسِمًا
وَقَدْ سَارَتِ النَّاسُ طُرًّا فِي رِكَائِبِهِ
بِالْصَّفْحِ وَالْعَرَفِ يَطْغَى جُودُهُ الْإِحْنَا
فَكَانَ أَكْرَمَ مِنْ أَزْجَى وَمِنْ أَذْنَا
أَغْرُ أْبْلَجُ يَسْقِي كَفَّهُ الزَّمْنَا

وفي هذا المنوال نجد الشاعر الدماميني، يمدح النَّبِيَّ ﷺ بذات الصفات التي مدح بها الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي حيث يقول (٢):

نَبِيٌّ لَهُ الْفَضْلُ السَّرِيُّ فَكَمْ غَدَا
وَجَدَّوَاهُ بَخْرٌ بِالْمَكَارِمِ زَاخِرٌ
فَكَمْ مُعْسِرٍ وَاقَاهُ يَلْتَمِسُ الْجِدَا
وَكَمْ رَسَتْ سُفُنُ النَّجَاةِ بِبَابِهِ
يُؤَلِّ مَعْرُوفًا وَيُضْحِبُهُ بِشَرَا
فَلَا غَرَوُ أَنْ تَسْتَغْرِقَ الْحَمْدَ وَالشُّكْرَا
فَشَاهِدُ مَنْ يُمْنَاهُ مَا أُوجِبَ الْيُسْرَا
وَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ بِالْوَرَى بَرَا

فهذه الصفات تدل على كرمه ﷺ وإعطائه وقت العسر وتشبيهه بالبحر في العطاء والهبّة، ويعرض الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي لبعض كرامات النَّبِيَّ ﷺ قبل البعثة هو عند بني سعد وقت رضاعته، وما حلَّ بهم من سعدٍ وإخصاب وإخضرار العشب والكلأ، وتغيير حال المنائح من البهائم من هزل إلى سمان ووفرة لبنٍ يقول يَحْيَى الْفَادِنِي في قصيدته [أَحْنُ لِلدَّارِ] (٣):

وَشَبَّ تَرْضِعُهُ الْأَطَارُ إِذْ سَعِدَتْ
عَادَتْ مَنَائِحُهَا مِنْ بَعْدِ مَا هَزَلَتْ
وَأَخْصَبَ الْعَيْشُ حَوْلَيْهَا وَقَدْ عَرَفَتْ
بَشَائِرَ السَّعْدِ تَغْشَى الْأَهْلَ وَالسَّكْنَا
حَلِيمَةٌ وَهِيَ تَبْغِي قَبْلُ مَنْ خَزْنَا
وَفَرًّا سِمَانًا لَمْ يَعْرِفْنَهُ السِّمْنَا

(١) ديوان صادق البان-يحيي الفادني-ص ١٦.

(٢) رسالة الماجستير (الدماميني شاعرًا وناقدًا)- إعداد سارة حسن السراحنة، ص ١٥٩.

(٣) ديوان صادق البان-يحيي الفادني-ص ١٧-١٨.

وكما عرض الشاعر الشيخ بدر الدين الدماميني^(١) إلى بعض معجزات

النبي ﷺ فيقول^(٢):

لَهُ مُعْجَزَاتٌ قَدْ حَلَّ لِي ذِكْرُهَا فَكَرَرْتُ فِيهَا النَّظْمَ وَهُوَ مُعْتَقُ
نَبِيِّ لَهُ بَدْرُ السَّمَاءِ إِنشَقَّ جَهْرُهُ فَأَعْدَاءُهُ غَيْظاً لِدَٰلِكَ تَشَقُّ
وَجَمَعَ كَفّاً مِنْ الْحَصَى فَرَمَى بِهِ وَكَانَ لَشَمْلِ الْكُفَّارِ مُفَرِّقُ

ولقد كان شعر يَحْيَى الْفَادِنِيِّ، في مدح الرسول ﷺ نابعاً من عقيدة صادقة وحبٍ سامٍ المقصد والغاية، فالدارس يلمس عاطفة دينية صادقة طامحة بالأمل والرجاء في شفاعته ﷺ يقول في قصيدته (مدحت طه)^(٣):

مدحت طه وهذا القلب يهواه وتسعد الروح في الأزمان ذكراه
فهو النَّبِيُّ الَّذِي مَا مِثْلُهُ بَشَرٌ قد عطر الكون منه الخلق والجاه

ويقول البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: (في قصيدة [مدحت طه] إستهلها الشاعرُ يَحْيَى الْفَادِنِيُّ ، بمدح طه النَّبِيِّ ﷺ وأتته مصدر السعادة والخير، وهو خير البشر ليس مثله أحد، وأنَّ الله قد خصه بخصائص منها الإسراء والمعراج، والصلاة بالرسول في الأقصى، وبلوغه سدرة المنتهى، ومناجاة لله تعالى، ثم فرض الله عليه وعلى أمته الصلاة، وذكر قصته في غار حراء وتعبده لله، ونزول القرآن عليه، وذكر زواجه من السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وذكر رضاعته في بادية بني سعد، وكيف صارت أرضهم مربعاً خصباً)^(٤).

ولقد سلك شاعرنا الفادني طريقاً شائعاً لدى كثير من شعراء المديح في مقدمة غزلية ثم التخلص لموضوع القصيدة وقال الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِيُّ في مقدمة القصيدة [أحْنُ لِلدَّارِ]^(٥):

يا نائح البان هجت الشوق والشجنا فغرد الطيرُ حتى أطرب الفننا
وشارك القلب نجواه وشاغله ومال كالغصن يهدي مائلاً غصنا
يبوح بالحب لا يخشى ملامه من يعذل المُدِنِف الولهان إذ فتنا
تصور الحب مطبوعاً بمهجته مستغرقاً فيه يطوي بيده الزمننا

(١) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني، عالم بالشريعة وفنون الأدب. ولد في الإسكندرية عام ٧٦٣هـ، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون، وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، وكانت وفاته عام ٨٢٧ هـ. أنظر (الأعلام للزركلي ج ٦-ص ٥٧)

(٢) رسالة الماجستير (الدماميني شاعرا وناقداً) -ص ١٥٩.

(٣) ديوان صادق البان يحيي الفادني -ص ٢٦.

(٤) إضاءات الدكتور المهدي أحمد عبد الماجد حول ديوان صادق البان.

(٥) ديوان صادق البان يحيي الفادني ص ١٣.

وقال الشاعر الشهاب المنصوري^(١) في مقدمته الغزلية في مدح النبي ﷺ:

دَمْعِي وَلِيَّ فَوْقَ خَدَي سَائِحُ وَأَنَا الصَّفِيُّ وَصِدْقِ وَدِّي رَاجِحُ
وَالشَّوْقُ أَقْسَمَ عَن فُؤَادِي لَا يَحُو لُ وَكَيْفَ وَهُوَ إِلَى حَبِيبِي لَائِحُ
لِي فِي مُطَاوَعَةِ الْهَوَى هَجْوٌ وَلِي فِي أَشْرَفِ الرُّسُلِ الْكَرَامِ مَدَائِحُ
ومدح الشيخ لسان الدين^(٢) الرسول ﷺ فقال^(٣):

مَدَحَتْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ فَمَا عَسَى يُثْنِي عَلَى عَلَيَاكَ نَظْمُ مَدِيحِ
وَإِذَا كِتَابُ اللَّهِ أَتَى مُفْصِحاً كَانَ الْقُصُورُ قَصَارَ كُلِّ فَصِيحِ

ومدح شاعرنا يَحْيَى الْفَادَنِي مدينة الرسول ﷺ طيبة الطيبة [المدينة المنورة]، في رمزية المكان وقديسيته، التي هاجر إليها الرسول ﷺ من مكة، فأووه الأنصار، الذين نصر الله الإسلام بهم حيث قال^(٤):

بوركِتْ يَا طَابَةَ الْفِيحَاءِ مِنْ بَلَدٍ أَنْتِ الْمَلَأْتُ لِمَنْ يَرْجُو الْهُدَى وَطَنَا
تَنْزِلُ الرُّوحُ فِي أَفْيَائِهَا فَعْدَا مَعَالِمُ النُّورِ تَهْدِي الْمَاتِحَ الْفَطْنَا
أَرْسَى بِهَا نَظْمَ الدُّوَلَاتِ يَتَّبِعُهَا بِالْعَدْلِ وَالصَّدَقِ جَافَى الْجُورِ وَالْدَخْنَا
وَمَنْ قَبْلَ الشُّعْرَاءِ الْمُسْلِمُونَ مَدَحُوا مَدِينَةَ الْمُصْطَفَى ﷺ قَالَ أَبُو الْفَضَائِلِ مَادِحاً^(٥):
مَتَى تَرْتَمِي بِي نَحْوَ طَيْبَةٍ أَيْتُوقُ وَتُقَطِّعُ أَمْيَالاً بِهَا وَفَرَسِيحُ

وذكر الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي حادثة الفيل من قبل أبرهة الحبشي الذي قدم من اليمن لهدم الكعبة والقصة مشهورة، فردهم الله كيدهم في نحورهم حيث أرسل عليهم طيراً أبابيل، وصادف هذا الحدث مولد النبي ﷺ فيقول^(٦):

فِي عَامِ مَوْلِدِهِ أَرْجَى إِلَهَ لَهَا أَمَّ الْقُرَى نِعْمَةً إِذْ رَبُّعَهَا أَمِنَا
وَرَدَّ الطَّيْرُ غَايِرَ الْبَيْتِ فَانْطَلَقَتْ تَرْمِي حِجَارَتَهَا لَمْ يَسْأَلُوا هُدَنَا

(١) الشهاب المنصوري هو الشاعر الكبير أحمد بن محمد بن علي السلمي الشافعي ثم الحنبلي المعروف بالهائم، أحد السبعة الشهاب الشعراء الذين اجتمعوا في عصر واحد، من ذرية الصحابي الجليل الشاعر العباس بن مرداس رضي الله عنه، مات سنة ٨٨٧هـ. أنظر كتاب (المنجم في المعجم، للسيوطي - تحقيق/ إبراهيم باجس عبد المجيد - دار ابن حزم بيروت لبنان - ط ١ - ١٩٩٥م ص ٦٨)

(٢) المجموعة النبهانية للعلامة يوسف النبهاني - م ١ - ص ٦٠٥.

(٣) محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب: وزير مؤرخ أديب نبيل، كان أسلافه يعرفون ببني الوزير. ولد ونشأ بغرناطة، عام (٧١٣هـ الموافق ١٣١٣)، واستوزره سلطانها أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (سنة ٧٣٣هـ) ثم ابنه (الغني بالله) محمد، من بعده، وعظمت مكانته. أنظر (الأعلام للزركلي، ج ٦، ص ٢٣٥)

(٤) المجموعة النبهانية للعلامة، م ١ - ص ٦٠٠.

(٥) ديوان صادق البان يحيى الفادني - ص ١٦.

(٦) المجموعة النبهانية للعلامة يوسف النبهاني - م ١ - ص ٦١٥.

(٧) ديوان صادق البان يحيى الفادني - ص ١٧.

وَأَبْرَكَ الْفِيلَ هَوْلٌ فَاقَ جُنَّتَهُ وَرَاحَ أَشْرَمُهُمْ بِالْشَّرِّ إِذْ فُتِنَا
شَالَتْ بِأَعْضَائِهِمْ فِي الْجَوِّ عَاصِفَةً كَالْعَصْفِ مُحْتَمِلًا لِلرَّيحِ مُرْتَهِنَا

وذكر ذلك في القِدم الإمام الشاعر البوصيري، ذكره في حادثة الفيل^(١):

وَمُذْ هَدَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ مَبْعُثُهُ دَهَى الشَّيَاطِينِ وَالْأَضْنَامِ تَجْدِيلُ
وَانْظُرْ سَمَاءً غَدَتْ مَمْلُوءَةً حَرَسًا كَأَنَّ الْبَيْتَ لَمَّا جَاءَهُ الْفِيلُ
فَرَدَّتْ الْجِنَّ عَنْ سَمْعٍ مَلَائِكَةٍ إِذْ رَدَّتْ الْبَشَرَ الطَّيْرُ الْأَبَابِيلُ
كُلَّ غَدَا وَلَهُ مِنْ جِنْسِهِ رَصْدٌ لِلْجِنِّ شُهْبٌ وَلِلْإِنْسَانِ سَجِيلُ

ومن قصائد محمود سامي البارودي في المديح النبوي قصيدته [كشف الغمة في مدح سيد

الأمّة] وعدد أبيات هذه القصيدة (٤٤٧)، يقول في مطلعها:

يَا زَائِدَ الْبَرْقِ يَمِّمْ دَارَةَ الْعِلْمِ وَاخُذِ الْعِمَامَ إِلَى حَيِّ بِذِي سَلَمٍ
وَأْمُنْ عَلَى عَبْدِكَ الْعَانِي بِمَغْفِرَةٍ تَمْحُو خَطَايَاهُ فِي بَدْءٍ وَمُخْتَمٍ

ويحذو أحمد شوقي حذو البارودي في معارضة الشعراء القدامى في إبداع القصائد المدحية

التي تتعلق بذكر مناقب النبي ﷺ وتعداد معجزاته وصفاته المثلى كما في همزته الرائعة التي مطلعها^(٢):

وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَقَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءُ
الرُّوحُ وَالْمَلَأُ الْمَلَائِكُ حَوْلَهُ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا بِهِ بُشْرَاءُ
وَالْعَرْشُ يَزْهَوُ وَالْحَظِيرَةُ تَزْدَهِي وَالْمُنْتَهَى وَالسِّدْرَةُ الْعَصْمَاءُ
وَحَدِيقَةُ الْفُرْقَانِ ضَاحِكَةُ الرُّبَا بِالتُّرْجُمَانِ شَذِيَّةٌ غَنَاءُ

ويقول الشاعر أحمد شوقي أيضاً في ذكرى المولد النبوي^(٣):

تَجَلَّى مَوْلِدُ الْهَادِي وَعَمَتْ بِشَائِرُهُ الْبَوَادِي وَالْقَصَابَا
وَأَسَدَتْ لِبَرِيَّةٍ بِنْتُ وَهْبٍ يَدًا بَيْضَاءَ طَوَّقَتْ الرِّقَابَا
لَقَدْ وَضَعَتْهُ وَهَّاجًا مُنِيرًا كَمَا تَلِدُ السَّمَاوَاتُ الشَّهَابَا
فَقَامَ عَلَى سَمَاءِ الْبَيْتِ نُورًا يُضِيءُ جِبَالَ مَكَّةَ وَالنِّقَابَا

(١) المجموعة النبهانية للعلامة يوسف النبهاني - م ٣ - ص ١١.

(٢) ديوان الشوقيات - أحمد شوقي - ج ١ - ص ٣٤.

(٣) المصدر السابق نفسه - ص ٧١.

قصة الإسراء والمعراج في المديح:

وقد نالت قصة الإسراء والمعراج اهتماماً كبيراً، وربما يرجع ذلك يقول ابن حجر الهيتمي في شرح لهزمية (البوصيري) إلى أن "قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين والبيان وأقوى الحجج وأصدق الأنباء وأعظم الآيات^(١).

ويقول الإمام البوصيري^(٢) في ميميته مادحاً الرسول ﷺ ، وذاكراً قصة الإسراء والمعراج^(٣):

كَيْفَمَا تَقُوزُ بِوَضَلٍ أَيْ مُسْتَتِرٍ	عَنْ الْعُيُونِ وَسِرٍّ أَيْ مُكْتَتَمٍ
فَحُزَّتْ كُلُّ فَخَارٍ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ	وَجُزَّتْ كُلُّ مَقَامٍ غَيْرِ مُزْدَحَمٍ
وَجَلَّ مِقْدَارُ مَا وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ	وَعَزَّ إِذْرَاكُ مَا أُلِّيتَ مِنْ نَعَمٍ
بُشْرَى لَنَا مَعَشَرَ الْإِسْلَامِ إِنَّ لَنَا	مِنْ الْعِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمٍ
لَمَّا دَعَا اللَّهُ دَاعِيَنَا لِطَاعَتِهِ	بِأَكْرَمِ الرُّسُلِ كُنَّا أَكْرَمَ الْأُمَمِ

وتحدث الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي في قصائده المدائحية في قصة الإسراء والمعراج، فالشاعر

هنا يستخدم ثقافته الدينية حيث قال في قصيدته [مدحت طه]^(٤):

أولاه بالقرب في المعراج منزلةً	صار النبيون بها من تحت مرقاه
وكان أن نال في الآفاق منزلة	ما نالها قبل من بالطور ناداه
وأمّ للرسول في الأقصى كخاتمة	بأكرم الرسل إذ كاللمح علاه
جاز الطباق إلى الرحمن مصطحباً	حتى تفرد يرجو بعد مولاه
كقباب قوسين منه في مكالمة	وأنس القلب منه ثم ناجاه

وكذلك أورد قصة الإسراء والمعراج في قصيدة أخرى من ديوانه [قد أمّ للرسول]^(٥):

قد أمّ للرسول في الإسراء مكرمةً	طَيَّ المكان وطياً من قبل لم ينل
---------------------------------	----------------------------------

ونجد الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي وافق ابن الخطيب^(٦) في مفردة (تفرد) في

شعره في قصة الإسراء والمعراج:

سرى وجنح ظلام الليل منسدلاً	والنجم لا يهتدي في الأفق ساربه
-----------------------------	--------------------------------

(١) رسالة الماجستير (الداميني شاعرا وناقداً) ، ص ١٦٠ .

(٢) تقدمت ترجمته ص ٤٨

(٣) المجموعة النبهانية للعلامة يوسف النبهاني - م ٤ - ص ١٢ .

(٤) ديوان صادق البان يحيى الفادني ص ٢٦ - ٢٧ .

(٥) المصدر السابق نفسه - ص ٢٥ .

(٦) محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي، ولد سنة ٧١٣ هـ الموافق ١٣١٣ م، الشهير بلسان الدين الخطيب، توفي سنة ٧٧٦ هـ الموافق ١٣٧٤ م. أنظر كتاب (الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٢٣٥)

يسمو لكل سماء منه منفرد
لمنتهى وقف الروح الأمين به
لقاب قوسين أو أدنى فما علمت
عن الأنام وجبرائيل صاحبه
وامتاز قريباً فلا خلق يقاربه
نفس بمقدار ما أولاه واهبه

ونذكر لنا الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي قصة شق صدر النَّبِيِّ ﷺ عندما كان في بني سعد، وهي قصة مشهورة، وفي قصيدة [مدحت طه] يقول الشاعر (١):

وكان يحفظه الرحمن من صغر
تروي حليلةً أمراً شق مَراه
تحكي حليلة شق الصدر إذ وردت
تلك الكرامة في ثبّت لما فاه

والإمام البوصيري (٢) ذكر قصة شق صدر النَّبِيِّ ﷺ في همزيته (٣) في مدح الرسول ﷺ:

وَأَتَتْ جَدَّهُ وَقَدْ فَصَلَتْهُ
إِذْ أَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ اللَّهِ
شُقَّ عَنْ قَلْبِهِ وَأُخْرِجَ مِنْهُ
خَتَمَتُهُ يُمْنَى الْأَمِينِ وَقَدْ أَوْ
وَبَهَا مِنْ فَصَالِهِ الْبُرَحَاءُ
فَطَنَّتْ بِأَنَّهُمُ الْقُرَنَاءُ
مُضْغَةً عِنْدَ غَسْلِهِ سَوْدَاءُ
دِعَ مَا لَمْ تُدْعَ لَهُ أَنْبَاءُ

مدح صحابة رسول الله (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ):

مدح الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي كانت نعم الزوج للنبي ﷺ، وكان لها دورٌ كبير في بداية نزول الوحي على الرسول ﷺ حينما جاءه جبريل وهو في غار حراء، يتعبد و يتحنث فيه، فقال له: [اقرأ]، فرجع إلى بيت خديجة وهو خائف ومرتعش من شدة ما رأى، فطمأنته زوجه خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حيث يقول الفادني (٤):

وافاه في الغار يسمو في تحنثه
وقال: إقرأ وكانت لمة عجباً
وضمه النور إذ بالوحي وافاه
وأسفر الفجر للماحي فعشاه

(١) ديوان صادق البان-يحي الفادني-ص ٢٨.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٤٨.

(٣) المجموعة النبهاية للعلامة يوسف النبهاية، م ١- ص ٧٩-٨٠.

(٤) ديوان صادق البان- يحي الفادني-ص ٢٨.

وقال: إقرأ ولم يخلع بلمته
ما أكرم الزوج إذ قالت مطمئنةً
قلبُ الفتى الذي كان يرقاه
لا لن يضيمك ربّ في عليّاه

ويمدح الشاعر يَحْيَى الْفَائِزِي الأنصارَ من صحابة رسول الله ﷺ الذين آووه ونصروه
وجاهدوا معه حق الجهاد وكان لهم فضل النصرة للنبي ﷺ يقول في قصيدته [قد أمّ للرسول] (١):
وأمّ في الهجرة الأنصار آصرةً قامت على حب بين العلم والعمل
آووه إذ نصروا للحق إذ جعلوا كل الحياة لدين الخير للدول
وذكر شاعرنا يَحْيَى الْفَائِزِي الصحابة في مدح لهم في قصيدته، وذكر بطولاتهم لنشر
الإسلام، وتحدث عن أخلاقهم، ومحاربتهم للكفار والبطش بهم، واستبسالهم في القتال، يقول في
قصيدته [قد أمّ للرسول] (٢):

قام النبي به يدعو لخالقه
بين الحجاز ونجدٍ منهم نفرٌ
الحافظون حُدُودَ الله عهدهم
والراكضون بلحق الخيل آونةً
والنازلون من الهضبات أشمخها
الحاملون سيوف النصر بارقةً
أجلت كتابتهم للكفر ماحقةً كما
خير الصحاب فكانوا أفضل الرُّسل
قد بشر الله في الجنات بالثُّلُ
والفالقون بهم هامةً البطل
والراكبون ظهور الأينق الذل
والرافلون بعزٍ غير منتقل
تجلو الظلام إذا جُردن كالشُّعل
دهى السيل دين الفرس في الملل

ويذكر الشاعر الدماميني (٣) جهاد رسول الله ﷺ وبطولاته الخالدة لنشر الإسلام ومحاربة
الكفار والبطش بهم، ويثني على المجاهدين الأوائل من أصحاب الرسول ﷺ فيقول (٤):
وأيّد بالصُحْبِ الَّذِينَ لِنَاسِهِمْ
رِمَاحُهُمْ فِي الْحَرْبِ أَرْشِيَةُ الرَّدَى
وَالسِّنَةُ الْأَسْيَافِ قَدْ كَلَّمُوا الْعِدَا
لُيُوثُ وَغَى حُلُوا عَزَى النَّصْرِ وَانْتَثُوا
أُولَئِكَ قَوْمٌ أَعَزُّوا عَنْ فَضَائِلِ
إِذَا حُورِبُوا بِأَسِّ بِأَسْدِ الشَّرَى أَرَزَى
فَكَمْ مِنْ دِمَا الْأَبْطَالِ قَدْ وَرَدَتْ غُدْرَا
بِهَا فَانْتَثُوا بُكْمًا كَانَ بِهِمْ وَقَرَا
لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ قَدْ عَقَدُوا الْأُزْرَا
بَنَوَهَا عَلَى التَّقْوَى فَكَانَتْ لَهُمْ دُخْرَا

(١) المصدر السابق نفسه- ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٢٢.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٤٤.

(٤) المجموعة النبهانية للعلامة يوسف النبهاني- م ٢- ص ٢١٧.

المبحث الثالث

شعرُ الرِّثاءِ

تعريف الرثاء :

الرثاء: لغةً هو البكاء على الميت بعد موته، قال ابن منظور في كتابه: (ورثأتُ الرجل رثاً، مدحته بعد موته، لغة في رثيته، ورثأت المرأة زوجها، كذلك، وهي المَرثئة، وقالت امرأة من العرب: رثأت زوجي بأبيات، وهمّزت، أرادت رثيته) ^(١).

الرثاء هو إظهار الحزن والأسى، وهو ذكر صفات الميت الحسنة ونعته بكل الصفات الحميدة الموجودة فيه من شجاعة وإقدام وعزيمة وكرم ووفاء، وحماية للجار ونسب عال وصواب للرأي، بأسلوب ينم عن التأثر بحادثة الموت وعاطفته تجاه الميت مع الأسف عليه واستظهار الغم والهم الذي يلحق الشاعر جراء الفقد وقد يكون عزيزاً.

والرثاء أحد فنون الشعر العربي البارزة بل أنه ليتصدرها من حيث صدق التجربة وحرارة التعبير ودقة التصوير، ويحتفظ أدبنا العربي بتراث ضخم من المراثي منذ الجاهلية إلى يومنا الحاضر.

الرثاء في العصر الجاهلي:

الشاعرُ الجاهلي كان يتبع في رثائه المنهج الشعري الجاهلي المعروف أحياناً ويدخل في الرثاء مباشرة أحياناً أخرى، وفي إتباعه المنهج الشعري الجاهلي كان يقف على الأطلال وبقايا منزل الحبيب، فيبكي ويسائل الأشياء عن حبيبه، ثم لكي ينسى ألمه ينتقل إلى الصحراء بالركوب على جمل قويّ سريع يشبه حمار الوحش، فيصف ما تقع عليه عيناه، ثم يدخل في الرثاء، ومن أشهر مراثي الجاهليين لبيد بن ربيعة ^(٢) والمهلهل التغلبي ^(٣) الذي رثى أخاه كليباً فقال ^(٤):

دَعَوْتُكَ يَا كَلِيبُ فَلَمْ تُجِبْنِي	وَكَيْفَ يُجِيبُنِي الْبَلَدُ الْقِفَارُ
أَجِئْنِي يَا كَلِيبُ خَلَاكَ دَمٌ	ضَنِينَاتُ النَّفُوسِ لَهَا مَزَارُ
أَجِئْنِي يَا كَلِيبُ خَلَاكَ دَمٌ	لَقَدْ فُجِعْتُ بِفَارِسِهَا نِزَارُ
سَقَاكَ الْغَيْثُ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثاً	وَيُسْرًا حِينَ يُلْتَمَسُ الْيَسَارُ

(١) مادة رثى، لسان العرب، ابن منظور، ج ١ ص ٨٣.

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن العامري، وكان يقال لأبيه (ربيعة المقترين) لسخائه، وكان من شعراء الجاهلية وفرسانهم، أدرك لبيد الإسلام وأسلم مع وفد بني كلاب، ويقال إن وفاته كانت في أول خلافة معاوية، عن عمر ناهز ١٥٧ عاماً. أنظر (الشعر والشعراء، لابن قتيبة ص ٢٧٤)

(٣) هو عدي بن ربيعة بن الحارث التغلبي، يكنى بأبي ليلى، ولقب بالمهلهل لأنه أول من هلهل بالشعر، وكان المهلهل منغمساً في لهو ومعايشة النساء حتى سماه أخوه كليب بـزير النساء، توفي سنة ٩٢ هـ. ٥٣٠ م. أنظر كتاب (موسوعة شعراء العصر الجاهلي)

(٤) ديوان المهلهل بن ربيعة-شرح وتقديم طلال حرب-الدار العالمية-ص ٣٢.

إِلَّا أَنْ مَا قَالَتْهُ الشاعرة الخنساء^(١) في رثاء أخيها صَخْرٍ وَمُعَاوِيَةَ تَجَاوَزَ كُلَّ الْحُدُودِ فِي
مَجَالِ الرِّثَاءِ فَتَقُولُ^(٢):

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَلَكِنْ لَا أَرَأَى عَجُولًا وَنَائِحَةً تَتَوَخَّحُ لِيَوْمِ نَحْسٍ
هُمَا كِلَاهُمَا تَبْكِي أَخَاهَا عَشِيَّةَ رُزْيِهِ أَوْ غِبَّ أَمْسٍ

الرثاء في عصر صدر الإسلام:

إقتصر الرثاء في هذا العصر، على رثاء قتلى المسلمين واستشهادهم في سبيل
الله والدعاء لهم، ولقد رثوا شعراء الإسلام وفاة رسول الله ﷺ فهذا الصحابي الجليل
حسان بن ثابت رضي الله عنه يرثي رسول الله ﷺ في قصيدته^(٣):

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنِيرٌ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ
وَلَا تَتَمَجَّى الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ
وَوَاضِحُ آيَاتٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ
بِهَا حُجَرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا مِنْ اللَّهِ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ

وهذه قصيدة قالتها صفية بنت عبد المطلب عنها ترثي فيها رسول الله ﷺ، وقد ذكرها
الطبراني في معجمه الكبير، عن عروة قال: قالت صفية بنت عبد المطلب^(٤) رضي الله عنها ترثي رسول
الله ﷺ فقالت^(٥):

أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا وَكُنْتَ بِنَا بَرًا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا
وَكَُنْتَ بِنَا رُؤْفًا رَحِيمًا نَبِيَّنَا لِيَبْكُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ مَنْ كَانَ بَاكِيًا
أَفَاطَمَ صَلَّى اللَّهُ رَبُّ مُحَمَّدٍ عَلَى جَدَّتِ أُمِّسَى بِيْثَرِبِ ثَاوِيَا

(١) خنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة المشهورة، إسمها تماضر، قدمت إلى النبي (ﷺ) مع قومها بني سليم فأسلمت معهم. أنظر

كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة، للعسقلاني - ج ٨ - ص ١٠٩)

(٢) ديوان الخنساء-حققه د.أنور أبو سليم-جامعة مؤتة-دار عمار-الأردن عمان-ص٣٢٦.

(٣) ديوان حسان ابن ثابت - ص ٦٠.

(٤) هي صفية بنت عبد المطلب، الهاشمية، عمه الرسول (ﷺ) ووالدة الزبير بن العوام، وهي شقيقة سيدنا حمزة، أسلمت وروت وعاشت إلى

خلافة عمر، وهاجرت مع ولدها الزبير بن العوام. أنظر (الإصابة في تمييز الصحابة، ج ٨، ص ٢١٣)

(٥) المجموعة النبهانية للعلامة يوسف النبهاني - م ١ - ص ٤٩.

ونجد الصحابي الجليل حسان يرثي ويكي سيدنا حمزة^(١)، فقال^(٢):

أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ
بَيْنَ السَّرَادِيحِ فَأُذْمَانَةً فَمَذْفَعِ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلِ
سَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَعْجَمَتْ لَمْ تَذِرِ مَا مَرْجُوعَةُ السَّائِلِ
دَعُ عَنْكَ دَارًا قَدْ عَفَا رَسْمُهَا وَأَبُكَ عَلَى حَمَزَةِ ذِي النَّائِلِ
الْمَالِي الشَّيْزَى إِذَا أَغْصَفَتْ غَبْرَاءُ فِي ذِي الشَّبَمِ الْمَاجِلِ

الرثاء في العصر العباسي:

وقد توسع في هذا العصر، وكان الرثاء فيه إما رثاء خليفة، أو لعظيم من الولاة والقادة أو من أقارب الشاعر كأبنائه، أو من وسعت وعلت منزلته من أصحاب الجاه و الثراء، وأشهر شعراء الرثاء في هذا العصر أبو تمام^(٣) وابن الرومي^(٤) ودعبل الخزاعي^(٥)، وكان أول خليفة بكاه الشعراء هو أبو العباس السفاح، وقد كان رثاء أبو دلامة^(٦) بقوله^(٧):

أَمْسَيْتُ بِالْإِنْبَارِ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ غَيْرِهَا تَحْوِيلًا
وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلٌ أَهْلِي كُلِّهِمْ وَيْلًا وَعَوْلًا فِي الْحَيَاةِ طَوِيلًا
فَلْتَبْكَيْنَ لَكَ النِّسَاءُ بِعَبْرَةٍ وَلِيَبْكَيْنَ لَكَ الرِّجَالُ عَوِيلًا
هَلْكَ النَّدَى إِذْ بِنْتُ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ فَجَعَلَتْهُ لَكَ فِي التُّرَابِ عَدِيلًا

ونرى أبا نواس في رثاء الخليفة محمد الأمين^(٨) يقول^(٩):

(١) حمزة بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف، وهو عم رسول الله وأخوه من الرضاعة، أسلم في الثانية من المبعث، وكان مقتل حمزة للنصف من شوال من سنة ثلاث، وكان عمره أربعاً وخمسين سنة. أنظر كتاب (أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٢٩٨).

(٢) ديوان حسان ابن ثابت - ص ١٩٤.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٩.

(٤) هو علي بن العباس بن جريج الرومي، ولد ببغداد سنة ٨٣٥م، يكنى أبا الحسن، وبدأ يقرض الشعر في فترة مبكرة من عمره، ومات سنة ٢٨٣هـ ببغداد. أنظر (موسوعة شعراء العصر العباسي م ١ ص ٢٥).

(٥) شاعر عباسي، دُغِلَ بن علي بن رزين، من خزاعة، وكنى أبا علي، نشأ في الكوفة، ثم ارتحل إلى بغداد، واتصل بالرشيد والمأمون، كان شاعراً هجاءً لم يسلم منه أحد، توفي سنة ١٢٦هـ - ٧٤٤م. أنظر (موسوعة شعراء العصر العباسي ص ١٣٥).

(٦) زند بن الجون، وقال بعضهم زيد، كان أبو دلامة شاعراً مطبوعاً مغلقاً طريفاً كثير النواذر في الشعر، وهو أحد الشعراء المعاصرين لخلفاء بني العباس الثلاث الأوائل وهم السفاح والمنصور والمهدي، توفي ١٦١هـ. أنظر (موسوعة شعراء العصر العباسي ص ٤٠).

(٧) شعراء عباسيون - الدكتور رشدي حسن - دار يافا العلمية - عمان الأردن - ٢٠١٠م - ط ١ - ص ٦٧.

(٨) الخليفة، أبو عبد الله محمد بن الرشيد - هارون - بن المهدي محمد، بن المنصور، الهاشمي العباسي البغدادي، عقد له أبوه بالخلافة بعده، وكان مليحاً، بديع الحسن، أبيض وسيما طويلاً، ذا قوة وشجاعة وأدب وفصاحة، وقد جعله أبوه ولي عهده، وله خمس سنين، وتسلم الأمر بعد موت أبيه ببغداد، وعاش الأمين سبعة وعشرين سنة، وقتل في المحرم سنة ١٩٨هـ. أنظر (سير أعلام النبلاء - للذهبي - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٩٨٣م - ج ٩ - ص ٣٣٥).

(٩) ديوان أبي نواس - ص ٣٤٣.

طَوَى الْمَوْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحَازِرُ

الثناء في العصر الحديث:

وفي هذا العصر إستمر الرثاء، ولكن تغيرت بعض جوانب هذا الفن فأصبح بدل البكاء والنواح والحنين على شخص ما، أصبح الرثاء يبكي شهداء الأمة العربية والإسلامية ويرفع من مكانتها، وواكب الشعراء الأحداث المحزنة المؤسفة التي حلت بالعلم العربي والإسلامي، وبكوا الكرامة والمهانة والأعراض المستباحة وقوافل الشهداء، ورثى الشاعر الكبير أحمد شوقي الذي خلد حادثة إعدام الشيخ المجاهد البطل عمر المختار الليبي، وهو من الأسرة السنوسية، ظل يقاتل الطليان في سبيل الذود عن وطنه وقومه، حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقاً سنة ١٩٣١م ويُعد رمزاً لجهاد الشعب المسلم ضد الكفار يقول شوقي^(١):

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرِّمَالِ لِوَاءِ يَسْتَنْهَضُ الْوَادِي صَبَاحَ مَسَاءِ
يَا وَيْحَهُمْ نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمٍ تُوجِي إِلَى جِيلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءِ
مَا ضَرَّ لَوْ جَعَلُوا الْعَلَاةَ فِي غَدٍ بَيْنَ الشُّعُوبِ مَوَدَّةً وَإِخَاءِ؟
جُرْحُ يَصِيحُ فِي الْمَدَى وَضَحِيَّةُ تَتَلَمَّسُ الْحُرِّيَّةَ الْحَمْرَاءِ
يَا أَيُّهَا السَّيْفُ الْمُجَرَّدُ بِالْفَلَا يَكْسُو السُّيُوفَ عَلَى الزَّمَانِ مَضَاءِ
تِلْكَ الصَّحَارِي غَمْدُ كُلِّ مُهَنَّدٍ أَبْلَى فَأَحْسَنَ فِي الْعُدُوِّ بَلَاءِ
إِفْرِيقِيَا مَهْدُ الْأُسُودِ وَلَخْدُهَا ضَجَّتْ عَلَيْكَ أَرْجِلًا وَنِسَاءِ

(١) ديوان الشوقيات- أحمد شوقي- ص ٦٢٥.

الرثاء عند الشاعر يَحْيَى الفَادَنِي:

رثى الشاعرُ يَحْيَى الفَادَنِي في ديوانه (صادح البان)، شخصيتين عظيمتين في تاريخ الأمة العربية والإسلامية، بدأ الشاعر الفادني في مرثيته أولاً برثاء الشيخ عبد العزيز بن باز، أحد الذين لهم مكانة عظيمة في أوساط المسلمين عامة، وفي المملكة العربية السعودية خاصة، بمثابته أحد العلماء والدعاة.

للشيخ ابن باز قدمٌ راسخةٌ في الدعوة إلى الله [عز وجل]، فالدعوة تجري في عروقه، فكل وقته دعوة إلى الله، و هُموم الدعوة وتبليغ دين الله وإرشاد الناس ونفعهم أطار النوم من عينه، فمن قبيل الفجر إلى هزيع من الليل يستوي في ذلك أيام الجمع والعديد وغيرها صيفاً وشتاءً مقيماً مسافراً، بل حتى قبيل وفاته بأربع ساعات فقط كان جالساً للناس في منزله يرد على أسئلة المستفتين وعلى الرسائل والخطابات، وقضايا الطلاق، وسخر ماله وجهده ووقته في سبيل الدعوة إلى الله.

وأما الشخصية الثانية التي رثاها شاعرنا يَحْيَى الفَادَنِي هو البروفسور الشيخ عبد الله الطيب^(١) الذي يُعد رمزا من رموز اللغة العربية الذين يشار إليهم بالبنان في هذا العصر وهو الذي خدم اللغة العربية.

ويقول الأستاذ مروان الجبوري^(٢): (عبد الله الطيب هو ذلك الرجل الذي كانت الأصالة والبلاغة سمتين مميزتين لمنهجه وللغة التي كان يفهمها ويتفاعل معها جميع شرائح المجتمع السوداني، وقد كان له حضوره الواضح وسحره المتميز؛ وهو ما جعل السودانيين يجمعون على حبه والاعتزاز به بوصفه شخصية قومية).

كان عبد الله الطيب شاعراً وأديباً وباحثاً لغوياً ومؤرخاً أدبياً، وناقداً من الطراز الأول ويُصنّف بأنه من رواد المدرسة القديمة؛ إذ كان شديد الإعجاب بالشعر العربي القديم ويقدمه على الشعر الإنجليزي وسواه من الآداب الأوروبية، ويرى أن الكثير من شعراء الفرنجة من أمثال، (دانتي ومارفيل ووليام بليك والرومانسيين) قد تأثروا بالشعر العربي.

(١) هو عبد الله الطيب بن عبد الله بن محمد المجذوب، ولد بالتميراب غرب الدامر، عام ١٩٢١م، بدأ دراسته بالخلوة حيث حفظ القرآن الكريم، التحق بكلية غردون التذكارية، ثم أصبح عميداً بكلية الآداب بجامعة الخرطوم، وكان رئيساً بمجمع اللغة العربية بالسودان، توفي عام ٢٠٠٣م. أنظر كتاب (تراجم شعراء وأدباء وكتاب بالسودان ص ٢٤٣)

(٢) كاتب وصحفي عراقي المصدر: (ويكيبيديا) الموسوعة الحرة.

وللشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي قصائد أخرى، رثى فيها الشيخ محمد صادق الكاروري، رئيس مجلس الجامعة الإسلامية، وكذلك له قصائد رثائية في الشيخ البروفسور بابكر البدوي دُشِين، وأخرى في الأستاذ عون شريف قاسم، ورثى كذلك والده.

رثاء الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي للشيخ عبد العزيز بن باز:

الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي بدأ في قصيدته يرثي فيها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، بدأ بمقدمة من شعر الحكمة والزهد، يصف فيها حال الدنيا وما فيها من إبتلاء يقول الشاعر^(١):

يَزِينُ الصَّبْرُ إِنَّ عَظْمَ الْبَلَاءِ	فَإِذَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِبْتِلَاءُ
فَلَمْ يَزَكُنْ لَهُ أَبَدًا عَلِيمٌ	تَقَكَّرَ فِي الْعَوَاقِبِ مَا يَشَاءُ
وَصَعَبَ مَا نَحْمَلُهُ فِرَاقُ	إِذَا مَا حَلَّ يَصْحَبُهُ الْعَنَاءُ
وَمَا كَالْمَوْتِ يَخْشَاهُ أَنْاسٌ	بِمَا يُغْري التَّنَزُّهُ وَالنَّمَاءُ

ويمدح الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي الشيخ عبد العزيز بن باز، بأنّه كان كالنور ينير الكون، وشبهه في المحافل كالقمر المضيء حيث قال^(٢):

رَفِيقٌ قَدْ خَلَا مِنْهُ مَجَالٌ	يُنِيرُ الْكَوْنَ وَالْعِلْمُ إِصْطِفَاءُ
خَلَّتْ الْمَحَافِلُ يَوْمَ جَفَّتْ	بِهَا الْأَمْلاكُ يَتَّبَعُهَا الضِّيَاءُ
سَيَذْكُرُهُ الرِّجَالُ وَقَدْ تَبَدَّى تَمَامٌ	الْحِرْصُ وَالْعَقْلُ الْمُضَاءُ
سَتَذْكُرُهُ رِيَاضُ الذِّكْرِ عِبْرَى	وَتَبْكِيهِ الْمَعَارِجُ وَالنِّسَاءُ

ويقول الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي أيضاً ستذكره هذه المتون التي كان يشرحها لتلاميذه من طلبة العلم، وهي قد تدلت من الحزن ومفارقة الشيخ لها، ويصف الطلاب إذا قام يرشدهم إلى سبيل الحق تساموا وإرتفعوا إلى أعلى المقامات، ووصف الشاعر الشيخ بأنّه وسطي في كل أموره، ولحنوه على تلاميذه كانوا ينادونه بالوالد^(٣):

وَتَذْكُرُهُ الْمُتُونُ وَقَدْ تَدَلَّتْ	عَلَى الطُّلَابِ إِذْ مُلِئَتْ دِلَالَةٌ
إِذَا مَا قَامَ يُرْشِدُهُمْ تَسَامَوْا	فَيَدْعُوهُمْ لَهُ حَاءٌ وَبَاءُ
تَوَسَّطَ فِي الْأُمُورِ فَلَا غُلُوٌّ	لِسَمْحِ الدِّينِ يُنْعِشُهُ الْوَلَاءُ
دَعَاكَ النَّاسُ وَالِدَنَا فَأَدْنَوْا	فَلَوْ تُفَدَّى لَكَ الْفِدَاءُ

(١) ديوان صادق البان يحيى الفادني - ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق نفسه - ص ٣٦.

(٣) المصدر السابق نفسه - ص ٣٦.

رثاء الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي للبروفسور عبد الله الطيب:

ورثي كذلك الشاعرُ يَحْيَى الْفَادِنِي البروفسير عبد الله الطيب في أربع قصائد بكى وشجى وأظهر فيهن الحزن والأسى على الفقيد، وكذلك ذكر صفاته وشجاعته وغبارة علمه وكرمه، فمقدمة قصيدة [لا ترحلن] بدأها بالصياح والنواح على رحيل العالم الفذ المتفرد في مكانته، أو كفايته في علمه، حتى الأشجار صَدَرَ عَنْهَا نَوَاحٌ اهْتَرَّتْ لَهُ جُدرانُ النَّيْتِ، وكل بكى، حتى الدمع بالسر من شدة الحزن والأسى ظهر وإنكشف، الجميع بكى هذا العالم الجليل المقدم والمسموح يقول^(١):

لَا تَرْحَلَنَّ فَرْهَرُ الْعِلْمِ صَوَّاحُ وَالْأَيْكُ بَعْدَ رَحِيلِ الْفَذِّ نَوَّاحُ
يَبْكِي الْجَمِيعُ كَمَا تَبْكِي الرُّبُوعُ دَمَاءُ وَالْدَّمْعُ بِالسَّيْرِ إِذْ يَهْمِي لَبَّوَّاحُ
يَبْكِي لَمَنْ فَقَدَ الْإِسْلَامُ قَاطِبَةً قِيلاً مِنْ الْقَوْمِ مِقْدَامٌ وَمِسْمَاحُ

ويقول البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: (وفي قصيدة [لا ترحلن])، توجع الشاعر توجعاً شديداً في رثائه للبروف عبد الله الطيب، وهذا التوجع يظهر في مطلع القصيدة وإنَّ فقده فقد للإسلام والأمة الإسلامية قاطبة، ومدحه بكثرة الإقدام والسماحة:

يَبْكِي الْجَمِيعُ كَمَا تَبْكِي الرُّبُوعُ دَمَاءُ وَالْدَّمْعُ بِالسَّيْرِ إِذْ يَهْمِي لَبَّوَّاحُ
يَبْكِي لَمَنْ فَقَدَ الْإِسْلَامُ قَاطِبَةً قِيلاً مِنْ الْقَوْمِ مِقْدَامٌ وَمِسْمَاحُ

وعدّد الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي مؤلفات الفقيد المتمثلة في ديوانه [إبانات رامة] و[أصداء النيل] و[كتابه المرشد]، وكذلك شرّحه للسيرة النبوية الشريفة، ووصف الفقيد بأنّه يفك مغلاق الأمور ومعتاضها، والقصيدة غاية المدح وقمة الحزن^(٢).

يقول الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي يكفي هذا العالم الجليل الشيخ عبد الله الطيب فخراً، من ذكره للقرآن حينما يشرّحه يندفع على الأفهام، وكذلك الشعر والأدب يبعثه في الروح فتري الأهازيج في الأفق تتداح وتتسع، وترك هذا العالم لنا كتباً توحى لنا عن عالم تحرير في الشعر والأدب، وعندما يقول الشعر يجد الراحة فيه^(٣):

يَكْفِيكَ مِنْ ذِكْرِ الْقُرْآنِ يَشْرَحُهُ حَتَّى يَظُلَّ عَلَى الْإِفْهَامِ يَنْسَاحُ
وَالشَّعْرُ يَبْعَثُهُ فِي الرُّوحِ مَائِلَةً مِنْهُ الْأَهَازِيجُ فِي الْآفَاقِ تَنْدَاحُ

(١) ديوان صادق البان-يحي الفادني-ص ٣٩

(٢) إضاءات حول ديوان [صادق البان] البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد.

(٣) ديوان صادق البان-يحي الفادني-ص ٣٩-٤٠.

أَهْدَى لَنَا كُتُباً تُبَيِّ بِمُجْمَلِهَا عَنْ عَالِمٍ عِلْمٍ بِالشَّعْرِ يَزْتَاحُ
إِبَانَاتُ رَامَةٍ غَنَّتْ فِي مُرَجِّهَا يُشْجَى بِسَجْعِهَا فِي الْعَصْرِ فَلَا حُ
يَسْمُو اللِّسَانُ بِهَا أَعْلَى مَرَاتِبِهِ فَتَطْرُبُ الْقَوْمَ مَنْ حَلَّوْا وَرَا حُ
تَجَاوَبُ النَّيْلُ مِنْ أَبْيَاتِهِ زُمَرُ وَالنَّيْلُ لِلشَّعْرِ مُنْصَاعٌ وَمُرْتَاحُ

وهكذا نجد الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي في آخر القصيدة [لا ترحلن] يبكي ويتحسر على فقيد العلم والمعرفة وكيف يهنأ لي العيش بعدكم يا سيدي ومولاي^(١)، وأنت كنت لنا بمثابة المفتاح للأذهان المغلقة، فذهنكم قدّاح بالعلم لينير سبيل السالكين، ويحزن الشاعرُ يَحْيَى الْفَادَنِي على فراغ البروفسور عبد الله الطيب حتى يكون للجفن قراح^(٢):

هَلْ يَهْنَأُ الْعَيْشُ يَا مَوْلَايَ بَعْدَكُمْ وَأَنْتَ مِنْ قَبْلُ لِلْأَذْهَانِ مِفْتَاحُ
تَقْلُكَ مِغْلَاقٌ مُعْتَاضٍ بِفَهْمِكُمْ فَذِهْنُكُمْ قَبْلُ يَا مَوْلَايَ قَدَّاحُ
حَيَّاكَ رَبُّكَ عَبْدَ اللَّهِ مُرْتَحِلًا وَالْحُزْنُ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْجَفْنِ قَرَّاحُ

وفي قصيدة عصماء لشاعرنا يَحْيَى الْفَادَنِي (سما من دامر المجذوب)، ومدينة دامر المجذوب هي موطن الفقيد البروفسور عبد الله الطيب، وإستهل بمقدمة حزينة ليخلص منها إلى مدح الفقيد حيث قال^(٣):

بَكَيْتُ عَلَى بُكَاءٍ مِنْ وَدُودٍ لِأَنَّ أَخَذَ التَّجَارُبُ مِنْ وُجُودِي
وَذَلِكَ أَنَّهَا تُقْسِي حَلِيمًا لِيَغْدُو بَعْدُ فِي قَلْبٍ جَالِدٍ
عَلَى أَنَّ الطَّبَّاعَ لَهَا غِلَابٌ إِذَا مَا كَانَ مِنْ فَقْدِ الْوَحِيدِ
كَعَبْدِ اللَّهِ تَفْقُدُهُ غُلُومٌ وَتَدْهَشُ مِنْهُ أَسْرَارُ الْجُدُودِ

إستخدم الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي خاصية تكرار المفردة [وتفقده]، وفي خاصية التكرار يسعى الشاعر إلى تكرار مفردة معينة في القصيدة ويكون هذا التكرار ناتجا عن أهمية هذه المفردة وأثرها في إيصال المعنى وتأتي مرة للتأكيد أو التحريض ولكشف اللبس فضلا عن ما تقوم به من إيقاع صوتي داخل النص الشعري)، حيث قال^(٤):

وَتَفْقُدُهُ الْمَنَابِرُ فِي شُرُوقٍ وَتَفْقُدُهُ الْحَضَارَةُ فِي الصَّعِيدِ

(١) تطلق بمعنى السيد الشريف، والفاضل الكريم، والحليم ومتحمل أذى قومه والزوج والرئيس والمقدم، والمولى والولي معنى يطلق على المحب والمحبوب والصديق والناصر وغير ذلك، ولا يختص بالله سبحانه.

(٢) ديوان صادق البان-يحيي الفادني-ص ٤٠.

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٤١

(٤) المصدر السابق نفسه- ص ٤١.

وَتَقْفُدُهُ الْعُرُوبَةُ فِي لِسَانٍ بِهِمَّةٍ مَاجِدٍ بَطْلٍ فَرِيدٍ
وَتَقْفُدُهُ الْمَخَافِلُ إِذْ تَبَدَّتْ وَقَدْ خَلَّتِ الْمَخَافِلُ مَنْ عَمِيدٍ
كَأَهْلِ الذِّكْرِ تَقْفُدُهُمْ مَجَالٌ مَصَاعِدُ ذِكْرِهِمْ وَمَدَى السَّجُودِ

وختم الشاعرُ يَحْيَى الْفَادَنِي هذه القصيدة [سما من دامر المجدوب] بخاتمة دعائية للفقيد الراحل له بالجنة يوم القيامة، وأن يكون ظننا فيه بالخير زيادة عفوك وجودك له، وكذلك شمل الدعاء للسودان بأن يعمه الله بالأمن والسلام، لكي ينعم أهل السودان في خيراته العديدة قال^(١):

فَذَا هِبَةُ اللَّهِ وَقَدْ طَوَّاهَا لِأَنَّ الرَّبَّ قَهَّارُ الْعَبِيدِ
أَلَا يَا رَبَّ فَاجْعَلْهُ مُضَافاً لِحَنَةِ عَذْنِكُمْ يَوْمَ الْوُرُودِ
وَحَقِّقْ ظَنَّنَا يَا رَبَّ فِيهِ بَعْفُو ثُمَّ جُودٍ مِنْ وَدُودِ
وَعِمِ إِلَهَنَا السُّودَانَ سِلْماً لِنُنْعَمَ بَعْدُ فِي الْخَيْرِ الْعَدِيدِ

وفي قصيدته الثالثة [عجباً يوارى القبر للمشهور] في رثاء الفقيد العالم الجليل البروفسور عبد الله الطيب، تَعَجَّبَ الشاعرُ يَحْيَى الْفَادَنِي كيف هذا النجم الساطع في سماء العلم يواريه هذا القبر الضيق، وهذا التعجب ليس تعجب الاعتراض على الموت، هذه هي نهاية كل إنسان في الدنيا كان صغيراً أم كبيراً أو كان وضعياً أم شريفاً، وينادي في مقدمة القصيدة بالصبر على المقدور من أمر الله، فجزاء الصبر هو الأجر العظيم، ثم يخلص في مدح الفقيد ويقص علينا الشاعر سيرته الذاتية فقال^(٢):

لَا بُدَّ مِنْ صَبْرٍ عَلَى الْمَقْدُورِ قَدَرِ الْمُصَابِ مُعْظَمُ الْمَأْجُورِ
وَلَيْنُ فَقَدْ نَا عَالِماً كَامِئِناً فَلَقَدْ وَجَدْنَا قَبْلُ فِي التَّكْوِيرِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ قَوْلًا صَادِقاً طَمَسَ النُّجُومَ وَظَلَمَةَ الدِّيَاجُورِ
وَلَيْنُ قُبِرْتَ وَكُنْتَ نَجْأً سَاطِعاً عَجَباً يُوَارِي الْقَبْرُ لِلْمَشْهُورِ
وَدَّعَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ فَوْقَ عَوَاتِقِ بِخُدَاهُمْ النَّسْبِ بِيحِ وَالتَّكْبِيرِ
مَا زِلْتَ تَرْقَى كُلَّ يَوْمٍ قِمَّةً حَتَّى سَمَوْتَ عَلَى سَمَاءِ النُّورِ

(١) ديوان صادق البان يحيى الفادني-ص ٤٤.

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٤٥

وقال البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: (لقد تأثر الشاعر في هذه القصيدة [عجباً يوارى القبرُ للمشهور]، وهي رثاء عبد الله الطيب، بالشاعر الحسين بن مطير الأسدي^(١) في رثاء معن ابن زائدة^(٢) إذ يقول^(٣):

أَلَمَّا عَلَى مَعْنٍ وَقُولًا لِقَبْرِهِ سَقَتَكَ الْعَوَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كُنْتَ أَوَّلَ حُفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتْرَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنٌ مَضَى الْجُودُ وَانْقَضَى وَأَصْبَحَ عَزِينُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

وقال البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: يرى يَحْيَى الْفَادَنِي علو المُرثَى البروفسور عبد الله الطيب، ويرى أَنَّ الأمة لم تتصفه، إذ لم تستقد من علمه، ثم سرد شيئاً من سيرته، وأَنَّهُ يفسر القرآن، ويشرح الشعر العربي القديم، لا سيما المشكل منه كشعر الزير سالم، وقصائد المُتَقَبِّ العبدِي، وديوان سقط الزند لإبي العلاء، ثم تحدث عن الجوائز العلمية التي نالها في قوله^(٤):

مَا زِلْتَ تَرْقَى كُلَّ يَوْمٍ قِمَةً حَتَّى سَمَوْتَ عَلَى سَمَاءِ النُّورِ
مَا أَنْصَفُوكَ وَلَا أَجَارُوا حِفْئَةً مَنْ جَهْدِكَ الْمَبْدُولَ بَيْنَ سَطُورِ

ثم ختم الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي قصيدته قائلاً^(٥):

حَتَّى اضْطَفَاكَ إِلَهْنَا فِي خُلْدِهِ وَسَعَدْتَ بَيْنَ وَلَائِدٍ مِنْ حُورِ
اللَّهُ أَكْبَرُ مَا تَرَدَّدَ ذِكْرُكُمْ فِي الْمُنْشِدِينَ أَجِبَةً الْمَأْثُورِ

وَيُعَدُّ الشاعر الفادني صفات ومحاسن الفقيه، أَنَّهُ كَانَ بَخْلِقٍ شَامَخٍ كَمَا كَانَ يفسر القرآن بعد تلاوة بصوت دافئ للشيخ صديق أحمد

(١) هو الحسين بن مطير بن مكمل، مولى لبني أسد بن خزيمه، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، شاعر متقدم في الصيد و الرجز، فصيح، قد مدح بني أمية وبني العباس توفي سنة ١٦٩ هـ الموافق ٧٨٥ م. أنظر (موسوعة شعراء العصر العباسي ص ١١٧)

(٢) أمير العرب أبو الوليد الشيباني، أحد أبطال الإسلام، وعين الأجواد، ولمعن أخبار في السخاء، وفي البأس والشجاعة، وله نظم جيد، ثم ولي سجستان، وثبت عليه خوارج وهو يحتجم، فقتلوه، فقتلهم ابن أخيه يزيد بن مزيد الأمير في سنة اثنتين وخمسين ومائة وقيل: سنة ثمان وخمسين. أنظر (سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٩٧)

(٣) شعر الحسين بن مطير الأسدي- حسين عطوان- دار الجيل- بيروت لبنان- ١٩٩١ م- ص ١٥

(٤) ديوان صادق البان يحيي الفادني- ص ٤٥.

(٥) المصدر السابق نفسه- ص ٤٧

حمدون^(١) [رحمه الله]، وأنت تعيد لنا بتصويرك الجميل، والجدير بالذكر أن هذا البرنامج كان يذاع مساء كل يوم عبر أثر إذاعة أمدرمان، وكان له متابعون كثر قال الشاعر^(٢):

قَرُنْتُ عَبْدُ اللَّهِ عِنْدَ مُكْرَمٍ بَيْنَ الرِّبَاطِ وَبَيْنَ دَارَتِ الْمُورِ
وَمَعِيَّةِ الْأَشْرَافِ تَخْفُلُ بِالْهُدَى وَكَذَا النَّجَاةِ فُيْلٌ نَفْخِ الصُّورِ
وَسَعِدْتُ فِي الْأَوَّلَى بِخُلُقٍ شَامِخٍ مِثْلَ الذِّي تَرْوِيهِ فِي النَّقْسِيرِ
صَدِيقٌ يَنْفَحُنَا بِصَوْتٍ دَافِيٍّ وَتُعِيدُ مَوْلَايَ بِالتَّصْوِيرِ

وكان شاعرنا من متابعي العالم الجليل البروفسور عبد الله الطيب ومن مستمعيه، في برامجه الإذاعية عبر أثر إذاعة [أم درمان] قال^(٣):

وَسَمِعْتُكَ شَارِحاً لِقَصَائِدِ جَمَعَ الْمُفَضَّلِ لَيْسَ شِعْرُ الزَّيْرِ
مِثْلُ [الْمُنْقَبِ] وَالْبَعِيرُ يُجِيبُهُ بَيْنَ الْوَضِيِّينَ وَنُصْبُهُ لِلْكَوْرِ
وَقَطَفْتَ [سَقَطَ الزَّنْدِ] رَوْعَةَ شَاعِرٍ صَافِي الْعَقِيدَةِ عَالِمٍ نَحْرِيرِ
وَجَوَائِزُ الْإِبْدَاعِ رَهْنٌ لِلذِّي هُوَ مِثْلُكُمْ فِي الشَّعْرِ وَالْمَنْثُورِ

وهذه مرثية الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي فِي الدكتور عبد الله الطيب، قيلت لطلاب في كلية اللغة العربية بجامعة أمدرمان الإسلامية، وبدأها بمقدمة حزينة وشجية، ويذكر فيها جميل صفات الفقيد، وبموته ناح الحمام حزناً حيث سَجَعَتْ، هَدَرَتْ وَرَدَدَتْ صَوْتَهَا، كناية عن الحزن الشديد فقال في قصيدة [ناح الحمام]^(٤):

نَاحَ الْحَمَامُ وَصَوَّحَ الْبُسْتَانُ وَتَعَالَتْ لِبْكَائِهَا الْأَرْمَانُ
صَمَتَ الْإِمَامُ وَكَانَ هَاتِفُ دَوْحَةِ شَرُفَتْ بِهِ وَتَشَرَّفَ التَّبْيَانُ
السَّيْرَةُ الْغَرَاءُ كَانَتْ رَوْضَةً وَالْقَلْبُ فِيهَا صَادِقُ الْإِنْسَانِ
يَحْكِي بِهَا الْإِرْهَاصُ وَالْإِعْجَازُ وَالتَّصَدِيقُ وَالْإِيمَانُ وَالْإِيقَانُ

(١) ولد الشيخ صديق أحمد حمدون في قرية الهبيكة عكود بالقرب من رفاعة من اسرة متدينة، بعثت به اسرته الى خلوة ود ابوصالح فحفظ القرآن وعمره لم يتجاوز الخامسة على يد الفكي احمد ود المقبول الذي وصفه (بالفطن الذكي)، رعى الشيخ صديق احمد حمدون الاغنام في باكر صباه وبعد حفظه للقران التحق بمعهد مدني الديني الثانوي، عين استاذاً للقران الكريم في (جامعة ام درمان الاسلامية)، من اكبر انجازاته مشاركة البروف عبد الله الطيب في البرنامج الاذاعي المشهور (دراسات في القران الكريم) والذي تواصل لاحد عشر عاما وكان البرنامج المفضل لكثير من المستمعين داخل وخارج السودان، توفي سنة ١٩٨٥ م.

(٢) ديوان صادق البان يحيي الفادني-ص ٤٦

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق نفسه- ص ٤٨-٤٩.

حَفِظَ الْجَزِيلَ مِنَ الْجَمِيلِ فَذَكَرُهُ
 مِنْ دَامِرِ الْمَجْدُوبِ أَوْ مِنْ قُرْبِهَا
 يُعْطِيكَ مُبْتَسِماً مَشَاعِرَ عَالِمٍ
 عَاشَ الْجَلِيلُ فَكَمْ بَگَاهُ ضَمِيمٍ
 أَخْلَى مَكَاناً لَيْسَ يَسْعَدُ بَعْدَهُ
 هُوَ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْمَعَارِفِ مُفْرَدٌ
 أَحْيَا الْعُلُومَ جَلِيلَهَا وَدَقِيقَهَا
 رُوحُ الْقُلُوبِ وَأَتَّهَ رِيحَانُ
 نَشَأَ الَّذِي بَعَطَائِهِ جَذْلَانُ
 مَثَلَ الْهَدَايَةِ زَانَّهَا الْأَفْنَانُ
 بِرِئِيرِهِ وَتَصَدَّعَتْ أَرْكَانُ
 بِالنَّاشِطِينَ يُسَاعِفُ الْعُرْفَانُ
 وَلَقَدْ يَقِلُّ هُنَالِكَ الْأَقْرَانُ
 حَتَّى يَكَادُ يَبْرُهُ عَدْنَانُ

وقال البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: (وفي قصيدة [ناح الحمام]، سار الشاعر على نهج القصيدة [عجبا يوارى القبر للمشهور]، غير أنه زاد عليها بعض الأشياء وهي: صمت الإمام عن الكلام وذلك بسبب موته وذلك في قوله^(١):

صَمَتَ الْإِمَامُ وَكَانَ هَاتِفٌ دَوْحَةٍ شَرُفْتُ بِهِ وَتَشَرَّفَ النَّبِيَانُ

ثم وصف الشاعرُ يَحْيَى الْفَادَنِي إِبْتِسَامَةَ الْمُرْثِي عَبْدِ اللَّهِ الطَّيِّبِ، التي لا تفارق محياه، وهو يعطيك العلم وذلك في قوله^(٢):

يُعْطِيكَ مُبْتَسِماً مَشَاعِرَ عَالِمٍ مَثَلَ الْهَدَايَةِ زَانَّهَا الْأَفْنَانُ

ثم ذكر الشاعرُ يَحْيَى الْفَادَنِي البروفسورَ عَبْدَ اللَّهِ الطَّيِّبِ، على تفرده بالعلم، وإحياءه للعلوم الجليلة فقال^(٣):

هُوَ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْمَعَارِفِ مُفْرَدٌ وَلَقَدْ يَقِلُّ هُنَالِكَ الْأَقْرَانُ
 وَلَقَدْ يَقِلُّ هُنَالِكَ الْأَقْرَانُ حَتَّى يَكَادُ يَبْرُهُ عَدْنَانُ

(١) ديوان صادق البان-يحيى الفادني ص ٤٨.

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٤٨.

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٤٩.

المبحث الرابع

شعرُ الغَزَل

تعريف الغزل:

الغزل لغةً: بفتح الزاي من فعل غَزَلَ ومعناه أبرم، قال ابن منظور في كتابه: (غزل: غزلت المرأة القطن والكتان وغيرهما تغزله غزلاً، وكذلك اغترلته وهي تغزل بالمغزل، ونسوة غزل غوازل؛ على أن الغزل قد يكون هنا الرجال لأن فعلاً في جمع فاعل من المذكر أكثر منه في جمع فاعلة، والغزل أيضاً: المغزول، والغزل: ما تغزله، مذكر، والجمع غزول؛ قال ابن سيده: وسمى سيبويه ما تنسجه العنكبوت غزلاً).

وإصطلاحاً: هو التشبيب بالمرأة وإمالة قلبها وإبرام وإحكام له.

الغزل من أقدم الفنون الشعرية عند العرب وأكثرها شيوعاً، لأنه متصل بطبيعة الإنسان وبتجاربه الذاتية خاصة وإن الحب يحرك كل القلوب، والشعراء دون غيرهم يصورون هذا الحب بعاطفة صادقة فيتدفق على ألسنتهم من وجدان مرهف ليعبّر عما يجيش في خاطر الشاعر وعما يختلج في قلبه، الغزل ينبع من النفس بعد أن يتجرّب الحب في أعماقها وبما أن الحب إحساس مشترك بين جميع الناس فأنهم يجدون لذة في سماع أشعار الحب فيتخيل كل واحد أن هذا الشعر يمثل قصته ويحكي آلامه وآماله، ليس الغزل تعبيراً عن تجربة ماضية فقط أنه تعبير عن تجربة ماضية أو حاضرة تترك أثرها في مستقبل كل إنسان^(١).

الغزل في العصر الجاهلي:

لقد طغى الغزل على معظم الفنون الشعرية التي وصلت إلينا، ولا تكاد تخلو قصيدة جاهلية، مهما كان نوعها من الغزل، فكل الشعراء بدأوا مدائحهم وأهاجيهم ومراثيهم بالغزل، تحدثوا عن أطلال ديار الأحبة، وعن الوصل والهجر، والسعادة والعذاب، وعن القرب والبعد، ووشي الوشاة.

أكثر شعراء الغزل الجاهليون من الوقوف على الأطلال، ووصفوا ارتحال الأحبة، وكما توقفوا عند وصف محاسن الجسد، ولقاء الشاعر بصاحبته، وتحدثوا أيضاً عن آرائهم في الحب^(٢)، ومن أجمل مطالع القصائد الغزلية للشاعر الجاهلي المثقّب العبدى^(٣) يقول فيها^(٤):

(١) موسوعة روائع الشعر العربي-سراج الدين محمد- ص ٦

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٨

(٣) هو عائد بن مخصن بن ثعلبة العبدى، أبو غدي، من بني نكرة بن عبد القيس، من بني ربيعة، شاعر فحل، ولقب (المثقب) لقوله في قصيدته المشهورة (وثقبتن الوصاوص للعيون)، شاعر قديم جاهلي، وهو أقدم من النابغة، وكانت وفاته سنة ٩٧م. أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص ٢٨٩)

(٤) ديوان المثقب العبدى - تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي-معهد المخطوطات العربية-القاهرة ج مصر- ١٩٧١م- ص ١٣٦

أَفَاطِمُ! قَبْلَ بَيْتِكَ مَتَّعِينِي
فَلَا تَعِدِي مَوَاعِدَ كَاذِبَاتٍ
فَإِنِّي لَوْ تُخَالَفَنِي شِمَالِي
إِذَا لَقَطَعْتُهَا وَلَقُلْتُ: بَيْنِي
لِمَنْ ظُغُنْ تَطْلُعُ مِنْ ضَبِيبٍ
وَمَنْعُكَ مَا سَأَلْتُكَ أَنْ تَبِينِي
تَمُرُّ بِهَا رِيَاخُ الصَّيْفِ دُونِي
خِلَافَكَ مَا وَصَلْتُ بِهَا يَمِينِي
كَذَلِكَ أَجْتَوِي مَنْ يَجْتَوِينِي
فَمَا خَرَجْتُ مِنَ الْوَادِي لِحِينِ

الغزل في عصر صدر الإسلام:

في صدر الإسلام خَفَّتْ شعر الغزل، لأنَّ العرب إنشغلوا بالدعوة الإسلامية وبالفتوحات، لا بد من الإشارة أن الإسلام لم يحرم الحب، لكنَّه أراد أن يجعل منه قوة دافعة نحو الخير، وكما أراد أن يحصن هذا الحب ويرفعه عن مستوى الجاهلية، وأن يسمو بهذه العاطفة فلا تتطلق في المعصية.

عموماً الإسلام لم يحرم الشعر لكن الشعراء الأتقياء خاصة كفوا لفترة عن النظم ما عدا بعض القصائد في المديح النبوي وشرح العقيدة وهجاء الكفار، وأما شعراء الغزل فقد تأقلموا مع الدين الجديد، وخلاصة القول، أننا وجدنا أنَّ الإسلام هَذَّبَ الغزل في هذه الفترة^(١). وهذا الصحابي الجليل كعب بن زهير رضي الله عنه، بدأ قصيدته بالغزل وهي في مدح الرسول ﷺ، ولم ينكر عليه الرسول ﷺ، حيث قال فيها:

بَانَ سَعَادٌ وَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ
مَتَّيْمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدْ مَكْبُولٌ

الغزل في العصر الأموي:

تطور الغزل في العصر الأموي وعاد الشعراء يكثر من النظم فيه، ولقد ظهر في هذا العصر ثلاثة أنواع من الغزل: الغزل العذري الذي يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة يتغزل بها بأسلوب عفيف يتلاءم مع الفكر الإسلامي، والغزل العمري أي الفاحش مع تعدد الحبيبات، والغزل التقليدي الذي كان يلجأ إليه الشعراء منهم لتقاليد القصيدة العربية التي إعتادوا علي البدء بها بالغزل، ومن أشهر شعراء الأمويين في الغزل الشاعر جميل بن معمر (بثينة)^(٢) إذ يقول^(٣):

وَإِنِّي لَأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذِي
لَوْ أَبْصَرَهُ الْوَاشِي لَقَرْتُ بِلَابِلُهُ

(١) موسوعة روائع الشعر العربي-سراج الدين محمد- ص ١٩

(٢) هو جميل بن عبد الله بن معمر، يكنى أبا عمرو، وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته بثينة، وهما جميعاً من غُذرة. أنظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٣٤)

(٣) ديوان جميل بثينة دار بيروت للطباعة والنشر-بيروت لبنان- ١٩٨٢م- ص ٨٨

بلا وبلاً أَسْطِيعَ وبالمُنَى
وبالنظرة العجلى وبالحول تتقضي
وبالوعدِ حتى يسأمَ الوعدَ آمله
وأخـرُه لا نلتقي وأوائـله

الغزل في العصر العباسي:

تطور الغزل في هذا العهد تغيراً بارزاً خاصة مع تعدد مظاهر اللهو والرفاهية، فأقبل الشعراء على متع الدنيا يتلمسونها في كل جوانب حياتهم في هذا العصر ضعف أثر الدين والأخلاق، وشاع الفسق بين العامة والخاصة فتعدى الغزل حدوده التقليدية وفقد الحب قيمته الحقيقية، وفي هذا العصر إنطلق الشعراء يتغزلون بجرأة كبيرة جعلتهم يسخرورن من كل القيم والأخلاق، ومن كل الشعراء العذريين، وكان الأنثيال على الخمرة وإنتشار الجواري والغلمان والمغنين دافعاً للإبتعاد عن الحشمة والعفة، إلا أن نوعاً جديداً من الغزل ظهر في هذا العصر وهو قمة الفجور، أنه التغزل بالمذكر.

ومن أمثلة شعراء الغزل في هذا العصر الشاعر ابن الرومي إذ يقول في قصيدته^(١):

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تداني
وألثم فاهها كي تموت حزازتي فيشتد ما ألقى من الهيمان

الغزل في العصر الحديث:

أصبح الغزل في العصر الحديث تعبيراً عن التجربة النفسية الكاملة وجاء في أسلوب رومنطقي ورمزي كما جاء واقعياً منسجماً مع التقدم الحضاري.

إلا أن معظم الشعراء في العصر الحديث تبناوا الغزل العفيف وسموا بحبهم، واتخذوا رمزاً للوجدانيات فربطوا الحب بالإحساس بالطبيعة كما ربطوه بأسرار الوجود.

تمكن شعراء الغزل في العصر الحديث من التفوق على الشعراء في العصور القديمة من حيث سعة الخيال، ووفرة الإستعارات والتشبيهات، وظهرت المرأة في أشعارهم بكل صفاتها الجسدية والنفسية وتجسدت في صور شتى.

ولم يعد الشعراء في هذا العصر يرون في المرأة، أنها الحبيبة فقط، بل يرى فيها الأم والزوجة والصديقة ويدعو إلى تحررها وينظر إليها باحترام^(٢).

(١) ديوان ابن الرومي-شرح أحمد حسن بسج-ج ٣-دار الكتب العلمية-بيروت لبنان-ط ٢-٢٠٠٢م-ص ٤٠٦
(٢) موسوعة روائع الشعر العربي-سراج الدين محمد-ص ٧١.

ولعل أجمل قصائد الحب في الشعر العربي الحديث و المعاصر هي قصيدة

[أطلال] للشاعر المصري إبراهيم ناجي^(١) يقول فيها^(٢):

يا من بواديهِ حَطَطْتُ الرِحالَ ورَحَّبْتُ بي وارفاتِ الظلالِ
بسَطْتُ كالآبادِ عمرَ المنى لطامعٍ في لحظاتٍ قِلالِ
أمهلَ فؤادي ساعةً ريثما أخلعُ عن قلبي سرابَ الضلالِ
خليعةً الطبعِ على كُتُبها عريضةً الريحِ وكفرُ الرمالِ

وفي هذه القصيدة نرى الشاعر المصري احمد شوقي يتحدث عن المرأة وكيف خدعها

بقولهم جميلة، ويصف حالها حين تسمع الثناء، يقول فيها^(٣):

خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ حَسَنَاءُ وَالْغَوَانِي يَغُرُّهُنَّ الثَّنَاءُ
أَتَرَاهَا تَنَاسَتْ إِسْمِي لَمَّا كَثُرَتْ فِي غَرَامِهَا الْأَسْمَاءُ
إِنْ رَأَيْتِي تَمِيلُ عَنِّي كَأَنَّ لَمْ تَكُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا أَشْيَاءُ
نَظْرَةً ، فَأَبْتَسَامَةً ، فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ ، فَمَوْعِدٌ ، فَلِقَاءُ

(١) شاعر مصري، ولد في القاهرة سنة ١٨٩٨م، وفيها درس المدرسة الابتدائية ثم المدرسة التوفيقية، وبعد دراسته الثانوية التحق بكلية الطب، وانتسب إلى جمعية (البلو) سنة ١٩٣٢م، وتوفي سنة ١٩٥٣م. أنظر (الجامع في تاريخ الأدب العربي الحديث-ص ٦٦١)

(٢) ديوان إبراهيم ناجي-دار العودة-بيروت لبنان-١٩٨٠م-ص ٢٦٣

(٣) ديوان الشوقيات-أحمد شوقي- ج ٢-ص ١١٢

الغزل عند الشاعر يَحْيَى الفاذني:

لم أجدُ للشاعرِ يَحْيَى الفاذني إلا قصيدةً واحدةً في ديوانه [صادح البان] تناول فيها غرض الغزل في شعره، ويُعد من الغزل العفيف وهي بعنوان [يا جميلاً]^(١):

يا جميلاً قد تبدى	في عفاف عبقري
ساحر الطرف كحليلاً	ملهم القلب الشجي
نفحه تحتار فيه	مثل أنفاس الصبي
يا طري العود إنني	همت باللحن الندي

ليس يَحْيَى الفاذني من الشعراء المُتَيَّمين، ولا هو من الشعراء الإباحيين، وإنَّما هو شاعرُ الجمال يترامى عليه من عل، فلا يتبذل ولا يغرق في الوصف والقصص ولا يتمادى في التحليل والتعليل، وكأنني بالرغبات تتحقق عنده في غير مشقة، وكأنني بالحب عنده غير مأسوي، فلا ذهول ولا تلُّوع، ولا تفجر عاطفي عنيف، ولكنها السوائح الطيبة للقاء حافل بالطيب والجمال، أو لنظرة ملؤها الشفق والسؤال فيقول^(٢):

يَا جَمِيلاً مُسْتَحِيلاً	إِنِّي أَرْجُو وَصَالَكَ
أَنْتَ فِي دُنْيَا عَذَابِي	لَمْ أَجِدْ رَمِزاً حِيَالَكَ
إِنْ تَكُنْ قَدْ مِسْتُ حُسْنًا	فَأَنَا أَشْدُّ جَمَالَكَ
أَوْ تَكُنْ قَدْ زِدْتَ دِلًّا	فَأَنَا أَزْوِي خِصَالَكَ
قَالَ فَاشْمَلِينِي بِهِمْسٍ	مِنْهُ - صَدَّاح - الْمَعَالِي
أَنْتَ أَلْهَبْتَ شُعُورِي	مِنْكَ فِي حُلُوِّ الْمَقَالِ
قُلْتُ: أَنْفَاسُكَ تَسْرِي	مِثْلَ أَصْدَاءِ الْخِيَالِ
أَنْتَ أَنْشُودُهُ عُمْرِي	أَنْتَ يَا حُلُوَّ الْمِثَالِ

(١) ديوان صادح البان يحيى الفاذني ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٦٨.

المبحث الخامس

الشعر السياسي

تعريف الشعر السياسي:

وَيُعَرَّفُ الشَّعْرُ السِّياسِيُّ بِأَنَّهُ كُلُّ مَا يَنْظُمُ فِي شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ السِّياسَةِ يَدْعُو بِهِ الشَّاعِرُ لِقَبِيلَةٍ أَوْ حِزْبٍ أَوْ دَوْلَةٍ، أَوْ مَبْدَأٍ سِياسِيٍّ مِثْلَ الشُّورَى أَوْ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ، وَاخْتَلَفَتْ دَوَاعِي النِّظْمِ فِيهِ، وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ كَتَبَ بِدَافِعِ العَصَبِيَّةِ أَوْ المَنْفَعَةِ وَهناك مَنْ دَفَعَهُ مَبْدَأٌ أَوْ تَبَنَّى فِكْرَةً.

إِرتَبَطَ الشَّعْرُ العَرَبِيُّ بِرُؤْيَا الشَّاعِرِ السِّياسِيَّةِ مِنْذُ العَصْرِ الجاهليِّ، فَالْقَبِيلَةُ العَرَبِيَّةُ هِيَ الصُّورَةُ المَصْغُورَةُ لِلدَّوْلَةِ، وَالشَّاعِرُ لِسَانُ حَالِ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ، وَمَنْ ثَمَّ كَانَ شَعْرُهُ يَتَّصِلُ بِمَوَاقِفِ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ إِحتِجَاجًا عَلَيْهَا أَوْ تَأْيِيدًا لَهَا، وَيُفَسِّرُ ذَلِكَ إِحتِفالُ العَرَبِ بالشَّاعِرِ أَكْثَرَ مِنْ إِحتِفالِها بِالكَاتِبِ، فَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ مَكَانَتَهَا بَيْنَ الْقَبَائِلِ الأُخْرَى.

الشعر السياسي في العصر الجاهلي:

وَإِذَا تَتَبَعْنَا نَجْدَ لِلشَّعْرِ السِّياسِيِّ مَكَانَتَهُ الكَبِيرَةَ، فِي هَذَا العَصْرِ، فَهَذَا الشَّاعِرُ دَرِيدُ بَنِ الصُّمَّةِ^(١) يَتَحَدَّثُ عَنِ قَبِيلَتِهِ، فيقول^(٢):

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ	غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّتُهُ أَرَشُدُ
دَعَانِي أَخِي وَالْخَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ	فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدَدِ
تَنَادَوْا فَقَالُوا: أَرَدْتُ الْخَيْلُ فَارِسًا	فَقُلْتُ: أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَمُ الرِّدِّي
فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَائِهِ	فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ

فَالشَّعْرُ السِّياسِيُّ كَانَ يَرُدُّ ضَمْنَ قِصَائِدِ المَدْحِ وَالْفَخْرِ وَالْحَمَاسَةِ، فَهَذَا الشَّاعِرُ زَهِيرُ بَنِ أَبِي سَلْمَى^(٣) يَوْضَحُ مَوْقِفَهُ السِّياسِيَّ الْمُؤَيِّدَ لِهَرَمِ بَنِ سَنانٍ وَالْحَارِثِ بَنِ عَوْفٍ وَذَكَرَ سَعِيَهُمَا بِالصِّلَحِ بَيْنَ عَبَسَ وَذُبْيَانَ فيقول^(٤):

عَظِيمَيْنِ فِي عَلِيًّا مَعَدِّ هُدَيْتُمَا	وَمَنْ يَسْتَبِخُ كَنْزًا مِنْ المَجْدِ يَعْظُمُ
تُعَفَّى الكُلُومُ بِالمِئِنِ فَأَضَبَحَتْ	يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ
يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرَامَةً	وَلَمْ يُهَرِّقُوا بَيْنَهُمْ مِلءَ مَحْجَمِ
وَمَا الحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَدُقْتُمْ	وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرْجَمِ

(١) هو دريد بن الصمة بن جثم بن معاوية بن بكر بن هوازن، شاعر جاهلي، كان دريد من فخذ من جشم يقال لهم بنو غزيرة، وهو أحد الشجعان المشهورين، وذوي الرأي في الجاهلية أنظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٤٩)

(٢) ديوان دريد الصمة تحقيق د. عمر عبد الرسول - دار المعارف - القاهرة - مصر - ١٩٨٥ م - ص ٦٢-٦٣.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٥

(٤) ديوان زهير بن أبي سلمى - شرح الأستاذ علي حسن فاعور - ص ١٠٦.

ويقول الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى أيضاً^(١):

تَذَارَكْتُمَا الْأَخْلَافَ قَدْ ثَلَّ عَرْشُهَا وَذُبْيَانٍ قَدْ زَلَّتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلُ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ سَبِيلَكُمَا فِيهِ وَإِنْ أَحَزُّوْا سَهْلُ
إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجَحَفَتْ وَنَالَ كِرَامَ الْمَالِ فِي الْجَحْرِ الْأَكْلُ
رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ قَطِينًا بِهَا حَتَّى إِذَا نَبَتَ الْبَقْلُ
هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْبَلُوا الْمَالُ يُخْبَلُوا وَإِنْ يُسْأَلُوا يُعْطُوا وَإِنْ يَنْسِرُوا يُغْلُوا
وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حَسَنٌ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ

وكان الجاهليون الصرحاء يفخر بعضهم بنجدة بعض، ففي يوم [الهديل] أغار الهذيل بن هبيرة التغلبي على ضبة والرياب فأنجدهما بنو سعد بن زيد مناة -وضبة والرياب وسعد يرجعون إلى أد بن طانجة - سلامة بن جندل^(٢) قال^(٣):

وَتَغْلِبُ إِذْ حَزْبُهَا لَأَقْحٌ تُشَبُّ وَتُسْعَرُ نِيرَانُهَا
غَدَاةً أَتَانَا صَرِيحُ الرِّيبِ وَلَمْ يَكْ يَصْلُحْ خِذْلَانُهَا
صَرِيحٌ لِضَبَّةَ يَوْمَ الْهُذِيلِ وَضَبَّةٌ تُزْدَفُ نِسْوَانُهَا
تَذَارَكُهُمُ وَالضُّحَى غُدُوَّةٌ خَنَازِيرُ تُشَعْلُ أَعْطَانُهَا

الشعر السياسي في عصر صدر الإسلام:

وفي عهد النبوة، كان حسان بن ثابت رضي الله عنه، شاعر الرسول ورهطه من الشعراء المسلمين يقفون موقفاً سياسياً، حين ينافحون عن الدعوة، ويذودون عنها، ويردون كيد شعراء المشركين في نحورهم، وقال ابن إسحق: ثم إن صفوان بن المعطل إعترض حسان بن ثابت رضي الله عنه بالسيف حين بلغه ما كان يقول فيه، وقد كان حسان رضي الله عنه قال شعراً مع ذلك يُعَرِّضُ بآبن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مضر فقال:

أَمْسَى الْجَلَابِيبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفَرِيعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ
قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ وَاجِدَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْثَنِ الْأَسَدِ
مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَسْمُو فَأَخَذَهُ مِنْ دِيَةٍ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدَ

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى -شرح الأستاذ علي حسن فاعور- ص ٨٦

(٢) هو من بني عامر بن غبيد التميمي، شاعر جاهلي قديم، من فرسان تميم المعدودين، وكان سلامة بن جندل أحد من يصف الخيل فيحسن. أنظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٧٢)

(٣) ديوان سلامة بن جندل -تحقيق د. فخر الدين قباوة- دار الكتب العلمية-بيروت لبنان- ١٩٨٧م- ط ٢ ص ٢٥٦-٢٥٧.

مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهْبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَعْطِئُ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزَّبَدِ
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي أَفْرِي مِنَ الْغَيْظِ فَرِي الْعَارِضِ الْبَرَدِ

وهذا الشاعر الصحابي الجليل كعب بن مالك الأنصاري^(١) مفتخرا بيوم بدر وهو يجيب ابن العاص و ضرار بن الخطاب، فقال^(٢):

أَبْلَغُ قُرَيْشًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا سِرَاتَكُمْ أَهْلَ اللِّوَاءِ فَفِيمَا يَكْثُرُ الْقِيلُ
وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدُ فِيهِ مَعَ النِّصْرِ مِيكَالُ وَجَبْرِيلُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ الْحَقِّ فَطَرْتَنَا وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَقْضِيلُ
وَإِنْ تَرَوْا أَمْرَنَا فِي رَأْيِكُمْ سَفْهًا رَأَى مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ
فَلَا تَمْنُوا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاقْتَعِدُوا إِنْ أَخَا الْحَرْبِ أَصْدَى اللَّوْنِ مَشْغُولُ

فجوهر الشعر السياسي في أيام الرسول ﷺ كان هجاءً لأعداء الإسلام، ومدح النبي وصحبه، وهذا حسان بن ثابت^(٣) يتحدث عن قتلى يوم أُحُد، وذكر ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت^(٤) يبكي حمزة بن عبد المطلب^(٥)، ومن أصيب من المسلمين يوم أُحُد، وهي على روي قصيدة أمية بن أبي الصلت في قتلى المشركين يوم بدر^(٦):

يَا مَيِّ قُومِي فَأَنْدُبِنْ بِسُحَيْرَةٍ شَجْوِ النَّوَائِخِ
كَأَلْحَامَاتِ الْوُفْرِ بِأَلِ شَقْلِ الْمُلْحَاتِ الدَّوَالِحِ
الْمُغُولَاتِ الْخَامِشَا تُ وَجُوهَ حُرَّاتِ صَحَائِحِ
وَكَأَنَّ سَيْلَ دُمُوعِهَا أَلِ أَنْصَابُ تَخَضُّبٍ بِالذَّبَائِحِ

الشعر السياسي في عصر بني أمية:

وفي عصر بني أمية ظهرت أحزاب سياسية كل حزب يدّعي أحقيته بالحكم منها حزب بني أمية الحاكم، وحزب الشيعة، وحزب الخوارج، وحزب عبد الله بن الزبير، ولكل حزب شعراؤه

(١) تقدمت ترجمته ص ٣٢.

(٢) ديوان كعب بن مالك- دراسة وتحقيق سامي مكي العاني- ص ٢٥٥.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٢٣.

(٤) تقدمت ترجمته ص ٦٢.

(٥) الروض الأنف - م ٣- ص ٣٤٣.

المدافعون عن مبادئه، وجُلُّ من اتبع الحزب الحاكم كان عن طريق الإغراء بالمال يقول عبد الله بن همام السلولي^(١) مؤيدا لبني أمية:

خلافة ربكم كونوا عليها إذا غمزت عنابسة أسودا
تلقفها يزيد عن أبيه فدونها معاوية عن يزيد
ثم يُحرض بني أمية في أبيات أخرى على التشبث بالخلافة قائلاً:

إن الخلافة إن تثبت لثالثكم تثبت معادنها فيكم فلا ترم
فما لمن سالك الشورى مشاورة إلا بطعن وضرب صائب خذم
أنى تكون له شورى؟ وقد قتلوا عثمان ضحوا به في الأشهر الحرم

يُروى أنَّ الروم إعتدوا على [بظرة] التي توجد على التخوم، وسمع الخليفة المعتصم بصراخ المرأة المسلمة [وامعتصماه] فَهَبَّ في حينه، وجيش الجيوش، فلم يكتف باستعادة [بظرة] بل قصد مدينة [عمورية] المقدسة لدى الروم، وفيها ولد قيصرهم، إلا أنَّ المنجمين حذروه من فتح [عمورية] في هذا الوقت، فقد استعانوا بالكتب السوداء، ونظروا في الكواكب السبعة، وأخبرتهم بأن فتح [عمورية] لا يكون إلا وقت نضج التين والعنب، فلم يعبأ الخليفة بذلك، فقال: (كذب المنجمون ولو صدقوا) فدك حصون الروم، وأشعل النار في مدينة [عمورية]، وفتحها فتحا مبينا، ورافقه الشاعر أبو تمام^(٢) في هذه المعركة، وشاهد وقائعها فقال عنها^(٣):

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ
بَيْضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُثُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةً بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ، لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
فَتَحُ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِّنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِّنَ الْخُطْبِ
يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةٍ إِنْصَرَفَتْ مِنْكَ الْمُئَيُّ حُقُلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ

الشعر السياسي في العصر الحديث:

وجد الشعرُ السياسي في هذا العصر نشاطًا كبيرًا، وتفاعلت النهضة الأدبية مع الوعي القومي تأثرًا به وتأثيرًا فيه، وكانت مقاومة الاستبداد، وفساد الحكم الداخلي ومكافحة

(١) هو من بني مرة بن صعصعة، من قيس عيلان، وبنو مرة يعرفون ببني سلول، لأنها أمهم. أنظر (الشعر والشعراء لأبن قتيبة ص ٦٥١)

(٢) تقدمت ترجمته ص ٢٩.

(٣) ديوان أبي تمام-شرح التبريزي-تحقيق راجي الأسمر- ص ٣٢

الاستعمار والتدخل الأجنبي ، وتعبئة الشعور القومي، وإثارة الثورات الوطنية والتعبير عنها في قضايا عربية إسلامية كثيرة وغيرها من قضايا التيار السياسي كانت كلها موضوعاً الشعور القومي.

فقد ظهر تيارُ الشعر القومي بجانبه السياسي والاجتماعي، وكان للثورات الشعبىة ومقاومة الإستعمار أعظم الأثر في هذا الشعر كما أدى الشعر السياسي دوره في يقظة الوعي القومي فقام ينادي بالثورة، ويحث عليها، ويسجل في عزة وفخار إنتصارات الشعوب ضدّ المستعمرين فهذا حافظ إبراهيم^(١) يخاطب المستعمرين الإنجليز متحدّياً جرأئمة فيقول^(٢):

حَوِّلُوا النِّيلَ وَاحْجُبُوا الضُّوءَ عَنَّا	وَاطْمِسُوا النَّجْمَ وَاحْرِمُونَا النَّسِيمَا
وَامْلَأُوا الْبَحْرَ إِنْ أَرَدْتُمْ سَفِينًا	وَامْلَأُوا الْجَوَّ إِنْ أَرَدْتُمْ رُجُومًا
وَأَقِيمُوا لِلْعَسْفِ فِي كُلِّ شَبْرٍ	كُنُتُمْ تَبْلًا بِالسُّوْطِ يَفْرِي الْأَدِيمَا
إِنَّا لَنْ نَحُولَ عَنْ عَهْدِ مِصْرٍ	أَوْ تَرُونَا فِي الثَّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا
عَاصِفٌ صَانَ مُلْكُكُمْ وَحَمَاكُمْ	وَكَفَاكُمْ بِالْأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا
غَالٌ أَرْمَادَةَ الْعَدُوِّ فَفَزْتُمْ	وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ شَأوًا عَظِيمَا

وهذا معروف الرصافي^(٣) يقول في شأن معاهدة محففة فرضها الإنجليز على العراق إذ يقول^(٤):

نَشَرُوا الْمُعَاهِدَةَ الَّتِي فِي طَيِّهَا	قَيَّدَ يَعْضُ بِأَرْجُلِ الْأَمَالِ
قَدْ أْبْلَعُونَا حَبَّةَ اسْتِعْبَادِنَا	لَكِنْ مُمَوَّهَةٌ بِالْإِسْتِقْلَالِ
وَالْعَهْدُ بَيْنَ الْإِنْجِلِيزِ وَبَيْنَنَا	كَعَهْدِ بَيْنِ الشَّاةِ وَالرُّبَالِ

وهذا الشاعر السوداني حسن طه محمد علي^(٥) يهاجم الإنجليز ومن أيدهم وتحدث عن انفصال جنوب السودان، قبل إنفصاله الحقيقي^(٦):

صرتم ضحايا أمانى الإنجليز فهل
قدمتم الشعب للعزى قرايينا؟

(١) تقدمت ترجمته ص ١٧.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم- ضبطه وشرحه ورتبه مجموعة أساتذة، ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٧.

(٤) ديوان معروف الرصافي- راجعه مصطفى الغلاييني- دار هنداوي- القاهرة ج مصر- ٢٠١٢- ص ٧٧٣

(٥) هو حسن بن طه بن محمد علي، ولد عام ١٩١٤م، درس بكلية غردون التذكارية، وبعد تخرجه صار مفتيشاً بالسكة الحديد السودان، له

ديوان (هتاف الجماهير) . أنظر كتاب (تراجم شعراء وأدباء وكتاب من السودان ص ١٦٥)

(٦) الشعر في السودان- د. عبده بدوي- عالم المعرفة- الكويت- ١٩٨١م- ص ١٢٨- ١٢٩.

الإنجليز عرفناهم ونعرفكم
 قد قسمونا كما شاءت إرادتهم
 لنن شكونا لهم فصل الجنوب رأوا
 وإن رأونا نصلي في الجنوب على
 أو قلدونا وساماً كان قصدهم
 وإن أفاءوا علينا من مناصبهم
 ولا يفكرون أغلالاً بأرجلنا
 كالذئب غدرأً وكالحرباء تلويها
 وفرقونا فلم تعمّر مغانيها
 أن ينشبوها رهباً اظفارهم فينا
 مرأى من الناس..ويل للمصاليها
 أن نستكين وأن نحني نواصيها
 قد سخرونا على ويلات اهليها
 إلا إذا أحكموا تقييد أيديها

وإذا كان بعض الشعراء يستردون وطنهم بالشعر، وكانوا يحسون أنهم كلما تكلموا عن جانب منه أعادوه إلى المواطنين فإن هناك بعض الشعراء الذين رفضوا هذا العالم الذي يرى فيه المحتل، ومن ثم كان انسحابهم إلى بعض الأطراف على نحو ما فعل الشاعر عبد الله محمد عمر البنا^(١) حين اعتصم [بالبطانة]^(٢):

رحلت إلى [البطانة] وهي روح
 تتأثرت الأطباء على تراها
 إذا ضج البهائم بها عشاء
 وان غنت جواربها ابتهاجا
 وريحان وعشـرتها سلام
 وراتعها مع الأنس السوام
 أجاب من الطلا فيها بغام
 شدا بجوانب الأيك الحمام

(١) هو نجل الشاعر الشيخ محمد عمر البنا، ولد عام ١٨٩١م، حفظ القرآن الكريم في بيته، ثم إنتظم في مدرسة رفاة الأولية، فتخرج فيها فالتحق بقسم المعلمين في كلية غردون، وتخرج فيه سنة ١٩٩٢م. أنظر (تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ج ١٠، ص ٦٨٦)
 (٢) الشعر في السودان- د. عبده بدوي- ص ١٣٦.

الشعر السياسي عند الشاعر يَحْيَى الفَادَنِي:

لم أجدُ للشاعر يَحْيَى الفَادَنِي، من الشعر السياسي إلاّ بعضاً من القصائد التي في ديوانه [صادح البان]، مثل قصيدة بعنوان [دعيني من حسود]، وقصيدة [عروس الروض]، وقصيدة بعنوان [الخرطوم]، وفي قصيدة [دعيني من حسود].

يقول البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: إستهل الشاعر القصيدة بالحوار بينه وبين امرأة، تقول له: ما سمعته من بعض الناس في ذم أهل السودان، وكان الجواب حاضراً عند شاعرنا، بأنّه حمل لها كتاباً كسفر الدهر يعطيها الجواب حيث قال^(١):

تَقُولُ وَقَدْ حَمَلْتُ لَهَا كِتَاباً	كَسَفَرِ الدَّهْرِ يُعْطِيهَا الْجَوَابَا
فَقَالَتْ قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَ غِرٍ	مَقَالَةَ خَاطِي جَافَى الصَّوَابَا
وَقَالُوا: شَعْبُنَا شَعْبٌ كَسُولٌ	فَمَا زَرَعَ الْمَهَابَةَ وَالْيَتَابَا
وَقَالُوا: شَعْبُنَا لَيْسَتْ لَدَيْهِ	عَوَامِلَ رُفْعَةٍ يَرْقَى الْهَضَابَا

ويواصل أ.د. المهدي حديثه: (إن أسلوب الحوار، أسلوب شعري قديم، يقرب الصورة، ويقرب المعنى، سلكه شعراء الغزل بشقيه العذري والصريح، وأيضاً يسلكونه شعراء السياسة، إذا أرادوا أن يرفضوا أمراً صوروه في صورة حوارية، وما شعراء الصعاليك عنا ببعيد، وقصيدة (دعيني من حسود) هي قصيدة سياسية، إذ أنّها نادت بالسلام، والوفاق لإصلاح الشعب، والعدل في توزيع النفط، وتحسين أوضاع المعلمين وختمها بأن أساس ذلك كله السلام، فقال الفادني^(٢):

وَإِنَّ الشَّعْبَ يُضْلِحُهُ وَفَاقٌ	يُطَرِّزُ بُرْدَ عَشِيَّتِهِ إِنْ تَخَابَا
وَيُسْعِدُ بَيْتَهُ فِي كُلِّ آنٍ	وَيُسْعِدُ سَعْدَهُ تِلْكَ الرِّحَابَا
وَإِنَّ النَّفْطَ تَمْكِينٌ وَعِزٌّ	يُمْلِكُ مَوْطِنِي صَوْتاً مُجَابَا

يقول الشاعر عروة بن الورد^(٣):

ذَرِينِي وَنَفْسِي أُمُّ حَسَّانٍ إِنَّنِي	بَهَا قَبْلَ لَا أَمْلِكُ الْبَيْعَ مُشْتَرِي
أَحَادِيثَ تَبْقَى وَالْفَتَى غَيْرُ خَالِدٍ	إِذَا هُوَ أَمْسَى هَامَةً فَوْقَ صِرِّ
ذَرِينِي أَطَوِّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي	أُخْلِكَ أَوْ أُغْنِيكَ عَنْ سُوءِ مَخْضَرِ
فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَةِ لَمْ أَكُنْ	جَزُوعًا وَهَلْ عَنْ ذَاكَ مِنْ مُتَأَخِّرِ

(١) ديوان صادق البان-يحيى الفادني -ص ٥٣.

(٢) المصدر السابق نفسه-- ص ٥٨.

(٣) ديوان عروة بن الورد-شرح بن السكيت-مطبعة جول كريونل الجزائر-ص ٦٦-٦٧.

وَإِنْ فَارَ سَهْمِي كَفُّكُمْ عَنْ مَقَاعِدِ لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ الْبُيُوتِ وَمَنْظَرِ
تَقُولُ لَكَ الْوَيْلَاتُ هَلْ أَنْتَ تَارِكٌ ضُبُوءاً بِرَجُلٍ تَارَةً وَبِمُنْسِرٍ

وهنا نجدُ عروة بن الورد^(١) يحاورُ زوجه في تقريره لسياسة الصعاليك ونبذه لتقاليد وأعراف وسياسات مجتمعه، والصعلكة ثورة على النظام المالي في الجاهلية، والصعاليك هم جماعة من الشباب الشجعان الفقراء فوارس اقوياء ذوي حس مرهف، أدركوا ما بين الاغنياء وبينهم من فوارق اجتماعية فآلمهم هذا الادراك فتجمعوا لتحقيق ما بأنفسهم عنوة عن طريق القوة والغنيمة يقسمونه بينهم وبين الفقراء من بني جلدتهم لذا كانوا يثأرون من الاغنياء البخلاء خاصة فهم فرسان اجواد وشعراء منهم: عروة بن الورد وتأبط شرا والشنفري والسلبيك وعمرو بن بركة وأبوخراس الهذلي والحارث بن ظالم المري، وغيرهم وأشهرهم كان عروة بن الورد.

وينادي يَحْيَى الْفَادِنِي الأحزاب السياسية السودانية، بالتفاهم والوفاق إذ يقول^(٢):

نِدَاءٌ لِلْوَفَاقِ وَقَدْ تَسَامَتَ لَهُ الْأَرْوَاحُ تُنْشِدُهُ مَآبَا
لِتَبْنِي بَعْدَهُ السُّودَانَ عِزًّا لِيَعْلُو فِي تَسَامِيهِ السَّحَابَا

ويرد الشاعرُ يَحْيَى الْفَادِنِي على الذين يزعمون بأنَّ السودان ليس به مقومات حضارة، وأنَّ الجوع والفقر قد هدداه، فهؤلاء بصائرهم قد طمست، حتى أنَّهم يحسبون الآل ماءً، ووصفهم بأنَّهم حساد والأبيات هي:

وَقَالُوا: هَذِهِ جُوعٌ وَفَقْرٌ فَلَا لَنْ يُدْرِكَ الْبَيْضَ الرِّغَابَا
يَرَوْنَ الْآلَ مِنْ بَعْدِ كَمَاءٍ وَقَدْ طَمَسَتْ بَصَائِرُهُمْ مَثَابَا
فَقُلْتُ لَهَا: دَعِينِي مِنْ حَسُودٍ فَمَا كَشَفَتْ ذِكَاءً لَهُ نِقَابَا
فَلَوْ سَفَرْتُ ذِكَاءً لَكَانَ فِيهَا ضِيَاءٌ ثُمَّ يَسْتَلِبُ اسْتِلَابَا

وذكر الفادني كرم أهل السودان، بأنَّ الطير قد تغنت به فقال^(٣):

كَمَا غَنَّتْ حَمَامَاتُ بَائِيكِ لِمَنْ حَفَظُوا الْكَرَامَةَ وَالشَّبَابَا
رَعُوا هَذِي الْبِلَادَ فَمَا أَضَاعُوا وَلَوْ غَفَلُوا أَضَاعُوهَا اسْتِلَابَا
فَإِنَّ عَوَامِلَ الشَّعْبِ إِقْتِدَارٌ وَمَحْمِيَّةٌ وَقَدْ نُسِبَ إِنْتِسَابَا

(١) هو عروة بن الورد بن زيد بن عبد الله، من عبس، عاش عروة متبرما من خؤولته، وكثيرا ما هجاهم، فلجأ إلى الصعلكة، عاش عروة حياته ثائراً، متمرداً رافعاً لواء المساواة والعدالة الاجتماعية. أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص ٢١٠)

(٢) ديوان صادق البانيحي الفادني ص ٥٣.

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٥٧

إِذَا هَزَّ الْعَنَادِلُ غُصْنَ بَانَ فَذَا الْقُمْرِيُّ صَادِحَهَا أَجَابَا

وفي قصيدة الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي [عروس الروض]، قال البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: بدأ القصيدة بالنداء المحذوف للحمامة، التي وصفها بقوله: [عروس الروض]، وبها سُمي القصيدة، والحمامة هي رمز للسلام، وأحسن الشاعر أن يستهل قصيدته بها ليدل على أن القصيدة، ذات وجه سياسي، وتحدثت القصيدة عن القيادة الرشيدة، التي هي أساس الدولة، وإنَّ الحرب دمارٌ، ولا تنمو البلاد بها، ونبذ دعوة العرق وأكد على التمسك بالأخوة، ونبه إلى أنَّ السودان تتكالبه الأعداء المتمثلين في الدُّخلاء إذ يقول^(١):

عروس الروض يا ذات الجناح شجاني من هديك في الصباح
وقال الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي في ذات القصيدة كذلك^(٢):

فأطماع الدخيل بلا حدود وليس يكف عن عذلي ولاح
فلا دعوة إلى عرق وأصل ولا فصل يعجل بإقتراح
فمن يستشرف السلم إحتقالا فقد أوفى فحي على الفلاح
لنا الحرية البيضاء تسمو على كل الدعاة إلى إنفتاح
وما إن بعدها إلا اضطراب وهل تسعى الشعوب إلى إجترار
لنا الآمال في الأجيال ترقى إلى الإشرار من قبل الصباح
بكور الطير عنى مستقيدا جمال الكون في الفيح الفساح

وهذا البيت له أشباه ونظائر في الشعر العربي كثيرة الورود وهو قوله:

فإن تسلم قيادتنا سلمنا وكللت المساعي بالنجاح

وهذا الشاعر الجاهلي الأَفَوْه الأَوْدِي^(٣) قال^(٤):

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سُرَاةَ لَهُمْ وَلَا سُرَاةَ إِذَا جُهَِّاهُ لُهُمْ سَادُوا
تُلْفَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرُّشْدِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَبِالْأَشْرَارِ تَنَقَّادُ
إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ الْقَوْمِ أَمْرُهُمْ نَمَا عَلَى ذَلِكَ أَمْرُ الْقَوْمِ فَارْزَادُوا
أَمَارَةُ الْغَيِّ أَنْ تُلْفَى الْجَمِيعَ لَدَى الدِّ إِبْرَامَ لِلْأَمْرِ وَالْأَذْنَابِ أَكْتَادُ

(١) ديوان صادق البان-يحي الفادني ص- ٨٣

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٨٧-٨٨

(٣) هو صلاءة بن عمرو بن مالك، كان من كبار شعراء الجاهلية، وكان سيد قومه، وقائدهم في الحروب، البعض يعده أول من قصد القصيد وقال الشعر، وكانت وفاته سنة ٥٦٠م، جاهلي لم يدرك الإسلام بالاتفاق. أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص ٣٣)

(٤) ديوان الأفوه الأودي-شرح وتحقيق د. محمد التونسي-دار صادر بيروت لبنان ط١-١٩٩٨م ط١-ص ٦٦.

ونجدُ الشاعرَ يَحْيَى الْفَادِنِي فِي هَذَا الْبَيْتِ يَدْعُو إِلَى تَجْمِيعِ الصَّفُوفِ
وَنَبْذِ التَّحْزُبَ وَالتَّفَرُّقَ قَوْلُهُ^(١):

وجمعت الصفوف إلى إزدهار وقد نُبِذَ التحزب والتلاح
وإن تسلم روابنا نهضنا وهل تنمو المواطن بالرماح
وهذا البيت يشبه قول^(٢) الشاعر السوداني محمد سعيد العباسي:

فَلَوْ دَرَى الْقَوْمُ بِالسُّودَانِ أَيْنَ هُمْ؟ مِنْ الشُّعُوبِ قَضَوْا حُزْناً وَاشْفَاقاً
جَهْلٌ وَفَقْرٌ وَأَحْزَابٌ تَعِيَتْ بِهِ هَدَّتْ قُوَى الصَّبْرِ إِرْعَاداً وَإِبْرَاقاً
إِنَّ التَّحْزُبَ سَمٌّ فَاجْعَلُوا أَبَداً يَأْقُومُ مِنْكُمْ لِهَذَا السَّمِّ تَزْيَاقاً
ضُمُّوا الصُّفُوفَ وَضُمُّوا الْعَامِلِينَ لَهَا لِكَيْ تُثِيرُوا لِهَذَا الشَّعْبِ آفَاقاً

وشابه قولُ يَحْيَى الْفَادِنِي ، قولَ الشاعرِ الجاهلي لقيط بن يعمر الأيادي^(٣) الذي قال^(٤):

أَبْلَغُ إِيَاداً وَخَلِلٌ فِي سَرَاتِهِمْ إِنِّي أَرَى الرَّأْيَ إِنْ لَمْ أُغْصَ قَدْ نَصَعَا
يَا لَهْفَ نَفْسِي أَنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ شَتَّى وَأُحْكِمَ أَمْرُ النَّاسِ فَاجْتَمَعَا
أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَا لَكُمْ أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدَّبَا سُرْعَا
لَوْ أَنَّ جَمْعَهُمْ رَأَوْا بِهِدَّتِهِ شَمَّ الشَّمَارِيخِ مِنْ تَهْلَانٍ لَانْصَدَعَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْنُونُ الْحِرَابَ لَكُمْ لَا يَهْجَعُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَعَا

وكذلك شابهَ يَحْيَى الْفَادِنِي الشاعرَ الجاهلي زهير بن أبي سلمى^(٥) ونبذهُ للحروب والإقتال

وعدم جدواها للأمة والمجتمع فقال^(٦):

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ
مَتَى تَبْعَتْهُمَا تَبْعَتْهُمَا ذَمِيمَةً وَتَضُرَّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضُرَّمِ
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِقَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافاً ثُمَّ تُنْتِجُ فُتْنَتِيمِ
فَتُنْتِجُ لَكُمْ غُلْمَانَ أَشَامَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعُ فَنَقْطِمِ

(١) ديوان صادق البان-يحيى الفادني - ص ٨٥.

(٢) ديوان العباسي، محمد سعيد العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة ج مصر، ص ٦٧.

(٣) هو لقيط بن يعمر بن خارجة الأيادي، شاعر جاهلي مقل، كان يحسن الفارسية، وكان كاتباً ومترجماً لدى كسرى. أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص ٢٨١)

(٤) ديوان لقيط بن يعمر الأيادي-حققه وقدم له د. عبد المعيد خان-دار الأمانة ببيروت لبنان-ص ٣٩.

(٥) تقدمت ترجمته ص ١٥

(٦) ديوان زهير بن أبي سلمى - شرح الأستاذ علي حسن فاعور- ص ١٠٧.

وكقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي^(١)، مُنْكَرًا من شأن الحرب، فصورها في صورة فتاة، أول أمرها، ثم تتحول إلى شمطاء قبيحة الشكل فقال^(٢):

الْحَرْبُ أَوَّلَ مَا تَكُونُ فُتْيَةً تَبْدُو بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهْلٍ
حَتَّى إِذَا حَمِيَتْ وَشُبَّ ضِرَامُهُ عَادَتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ خَلِيلٍ
شَمْطَاءُ جَزَتْ رَأْسَهَا وَتَتَكَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْيِيلِ

وفي قصيدة [أنا الخرطوم]، تحدث الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي فيها عن ميزة الخرطوم التي جعلتها تفوق جميع العواصم بفن معمارها والتي حفلت بالرموز والقامات أمثال: [كرومة وسُرور والشعراء والسياسيين مثل خليل والتجاني يوسف بشير والشاعر الكبير عمر البنا والشاعر محمد سعيد العباسي، والشاعر إدريس جماع] وغيرهم، فقال^(٣):

أَنَا الْخَرْطُومُ نَشَّزْتُ الْمَفِيدَا وَأَخْلَقَ بِالْخَمَائِلِ أَنْ تَجُودَا
وَتَهَتَ بِحُلَّةِ الْأَضْوَاءِ أَزْهَوَا لِأَجْعَلَ جِلْهَا لِلْجِيلِ عِيدَا
وَقَلَدْتُ الْحَوَاضِرَ وَالْبُودَايَ طَرِيفًا يَزْدَهِي فِرْعَاً وَجِيدَا
وَبَاهَيْتُ الْعَوَاصِمَ مِنْ قَدِيمٍ بَفَنٍ أَنْتَ تَلْمَسُهُ فَرِيدَا
وَجَمَعْتَ الْجَلِيلَ مِنَ الْمَعَانِي بِلَحْنٍ قَدْ تَرَدَّدَ جَدِيدَا

وقال الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي وهو يسرد الحكاية عن العاصمة السودانية [الخرطوم]^(٤):

سَلْ أَمْدِرْمَانَ هَلْ سَلْتَ الْمَغْنَى وَهَلْ سَلْتَ الْمَحَافِلَ وَالْقَصِيدَا
وَهَلْ تَسْلُو خَلِيلًا أَوْ عَبِيدَا هَلْ تَسْلُو التَّجَانِيَّ وَالنَّشِيدَا
وَهَلْ تَتَسَّى كَرْوَمَةً أَوْ سُرُورَ فَقُلْ يَا قَامَةَ الْإِبْدَاعِ جُودَا
تَغْنَى ذَلِكَ الْبِنَا هَوَاهُ وَغْنَى الْمَجْدِ قَدْ عَشَقَ الْجُدُودَا

وقال البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: وَعَدَّدَ الشَّاعِرُ يَحْيَى الْفَادَنِي فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ [أَنَا الْخَرْطُومَ]، طَوَائِفَ السُّودَانِ مِنْ طَرُقٍ صُوفِيَّةٍ وَغَيْرِهَا،

(١) عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ويقال له الأكبر تمييزاً له عن عمرو بن معدي كرب الزبيدي الآخر، وهو شاعر أدرك الإسلام واستشهد سنة ٢١هـ - ٦٤٠م. أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي ص ٢٤٢)

(٢) ديوان عمرو بن معدي كرب - جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي - مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق سوريا ١٩٨٥م - ٢ حصص ١٥٤.

(٣) ديوان صادق البان - يحيى الفادني - ص ٨٧.

(٤) المصدر السابق نفسه - ص ٨٨

وبين أن منهم أهل العلم والمعرفة، وأهل التجارة الذي تمسكوا بمكارم الأخلاق،
إذ يقول^(١)

تأصل في ذرايهم مجيدا	تواضع بالتصوف منه جيل
يسير إلى المعالي مستفيدا	ويرقى بالتعلم منه جيل
بيذل يجعل الأوطان طودا	ويسمو للمكارم منه تجرّ

ثم تحدث الشاعر يَحْيَى الفاذني عن تاريخ السودان الذي يشهد على قدم عهده نهر النيل
حيث كتب بأواجه على الصخور تاريخاً لا يمحي أبداً، وختم قصيدته بالفخر بقومه، وأنهم قوم
كتابة وحضارة وحرب، ولا يكرههم شخص على أمر إذ يقول^(٢):

لنا التاريخ من عهد سحيق	فهذا النيل كم كتب العهودا
وخطّ على الحجارة كل راق	توثق يطبّي سهلا وييدا
بأننا الفاعلون لما أردنا	وأننا الكاتبون بها رشيدا
عرفنا الحرب قد علمت رجال	وقدمنا لها الغالي شهيدا

(١) ديوان صادح البان- يحي الفاذني- ص ٩٠.
(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٩٠.

المبحث السادس

شعرُ الزُّهد والحكمة

تعريف الزهد:

الزهد لغةً: هو عدم الرغبة، فيقال زهد في الشيء إذا لم يرغب فيه.

إصطلاحاً: فهو حنين الروح إلى مصدرها الأول ولمعرفة خالقها عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها وتفضيل نعيم الآخرة عليها^(١).

الزهد ظاهرة نفسية كان لها أثر كبير في الشعر العربي.

الزهد الذي حث عليه الدين الحنيف هو أن تكون الدنيا في يد الإنسان لا في قلبه، فيتحكم بها وليس العكس، فينفق ويجود ويعطي، كما قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل الآية ٢١).

وليس الزهد إعراضاً عن الدنيا في كل الحالات، وهو أيضاً ليس انسحاباً من المجتمع، وإقبالاً على الخلوات والفلوات والزوايا وحبس النفس فيها، فذاك زهد النصارى لا المسلمين، يؤيد ذلك هذا الحديث، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، سَمِعَهُ يُخْبِرُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ). [أخرجه مسلم في صحيحه]

وورد عن سفيان الثوري [رحمه الله] أنه قال: (ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن، وأكل الجشيب أي [الطعام الغليظ] إنما الزهد في الدنيا قُصْرُ الأمل)^(٢).

والمقصود بقصر الأمل هنا أن يكون الإنسان واقعياً في سلوكه، وأن ينهض بمسئوليته الكاملة تجاه الخالق والمخلوقين.

شعر الزهد والحكمة في العصر العباسي الأول:

أول ما ظهر واشتهر شعر الزهد كان في العصر العباسي الأول، وشعر الزهد في الأصل جاء رداً على تيار اللهو والمجون، والعيش الترف، وانتشار الخمر ومجالس الغناء، فقامت طائفة من الشعراء على رأسهم أبو العتاهية بالتصدي لهذه التيارات بإستعمال غرض جديد هو الزهد، فكانت قصائده داعية إلى التوبة والرجوع إلى الله، ونبذ هذه الظواهر.

وأكثر ما نجد هذا اللون الشعري لدى العُباد والزُّهاد والعلماء، بينما هو قليل ضامر لدى مشاهير الشعراء الذين شغلتهم الأغراض الأخرى للشعر عن هذا الغرض، والمتقدم في هذا

(١) موسوعة روائع الشعر العربي - إعداد سراج الدين محمد - ٣-ج-٢ ص ٥.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للقاري، شرح التبريزي، تحقيق جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٩٦٣.

الغرض من أعلام الشعراء بلا منازع هو أبو العتاهية، فقد إستحوذ الزهد على معظم شعره، ومما ورد عنه في هذا الباب: قال ثمامة بن أشرس^(١): أنشدني أبو العتاهية^(٢) فقال^(٣):

أَيَا جَامِعِي الدُّنْيَا! لِمَنْ تَجْمَعُونَهَا وَتَبْنُونَ فِيهَا الدُّورَ لَا تَسْكُونُهَا
وَكَمْ مِنْ مُلُوكٍ قَدْ رَأَيْنَا تَحَصَّنَتْ فَعَطَّلْتُ الْأَيَّامُ مِنْهَا حُصُونَهَا
وَكَمْ مِنْ ظُنُونٍ لِلنُّفُوسِ كَثِيرَةٍ فَكَذَّبَتِ الْأَحْدَاثُ مِنْهَا ظُنُونَهَا
وَإِنَّ الْعُيُونَ قَدْ تَرَى غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ الْقُلُوبَ لَمْ تُصَدِّقْ عُيُونَهَا

ومن بديع شعر أبي نواس الزهدي ما قاله وقد تصوّر نفسه مُسَجَّى على فراش الموت، تَقْلِبُهُ الأيدي، ثُمَّ هُوَ يُغَسِّلُ وَيَحْنُطُ وَيُكَفِّنُ، ثُمَّ يَحْمِلُ عَلَى سَرِيرِ الْمَوْتِ، ثُمَّ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَدْ فَرَّطَ فِي حَقِّ اللَّهِ أَيْمًا تَقْرِيطُ، يقول النُّوَاسِيُّ نَادِمًا وَمُنَاجِيًا نَفْسَهُ، وَهُوَ مِنْ رَوَائِعِ الشَّعْرِ السَّهْلِ الْمَمْتَنِعِ^(٤):

إِضْبِرْ لِمَرِّ حَوَادِثِ الدَّهْرِ فَلَتَحَمَدَنَّ مَعَبَّةَ الصَّبْرِ
وَأَمْهَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ مِيتَتِهَا وَادْخَرْ لِيَوْمِ تَقَاضِي الدُّخْرِ
فَكَأَنَّ أَهْلَكَ قَدْ دَعَاكَ فَلَمْ تَسْمَعْ وَأَنْتَ مُحْشَرَجُ الصَّدْرِ
وَكَأَنَّهُمْ قَدْ عَطَّرُوكَ بِمَا يَتَزَوَّدُ الْهَلَكَى مِنَ الْعَطْرِ
وَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَلَّبُوكَ عَلَى ظَهْرِ السَّرِيرِ وَظُلَمَةِ الْقَبْرِ
يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ عَلَى ظَهْرِ السَّرِيرِ وَأَنْتَ لَا تَذْرِي
أَوْ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتَ إِذَا غَسَّاتِ بِالْكَافُورِ وَالسِّدْرِ

(١) أبو معن، من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين، كان له إتصال بالرشيد، ثم المأمون، وكان ذا نواذر وملح، ومن تلاميذه الجاحظ. أنظر (الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ١٠٠)

(٢) إسماعيل بن القاسم، ولد سنة، مولى لَعَنَزَة، يكنى أبا إسحق، وأبو العتاهية لقب، وكان جراراً، ويُرْمَى بالزندقة (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧٩١)

(٣) ديوان أبي العتاهية دار بيروت للطباعة والنشر-بيروت لبنان ١٩٨٦م-ص ٤٥١.

(٤) ديوان أبي نواس- ص ٤١٣.

شعر الزهد والحكمة عند يَحْيَى الفَادِنِي:

تطرق الشاعر يَحْيَى الفَادِنِي لهذا الغرض في ديوانه [صادح البان]، في بداية الديوان في قصيدتين، قصيدة بعنوان [تنزه ربنا الباري] وقصيدة بعنوان [رباعيات]، ففي الأولى تحدث بأنّه راض بمن خلقه الله من طين ثم علقه كما جاء في الآية قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون الآية ١١-١٤].

وينزه الرب جلّ جلاله الذي جمّل الشفق في صورة جمالية مبدعة، وأرسل لنا النّبي ﷺ لهدايتنا إلى الدين الإسلامي، فبلغ وبين وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وجاء في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: (وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ موعظة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنّها موعظة مودع، فأوصينا، قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فأثنى من يعش منكم بعدي فسيروا إختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة) [رواه أبو داود والترمذي]

وجاء في معني الحديث قول الشاعر يَحْيَى الفَادِنِي الذي ذكر فيه، أنّ معلمنا الرسول ﷺ الذي هو هدية لنا من الله، فعلمنا وبين لنا سنن الهدى^(١):

أَنَا رَاضٍ بِمَنْ خَلَقَا	وَصَوَّرَ طِينَتِي عَلَقَا
إِلَهٌ جَلٌّ فِي عِزِّ	وَجَمَّلَ ذَلِكَ الشَّفَقَا
وَأَهْمَدَانَا مَعْلَمَنَا	فَبَيْنَ تِلْكَ الطُّرُقَا
تَنَزَّهُ رَبُّنَا الْبَارِي	فَكَمْ أَهْدَى وَكَمْ رَزَقَا

وتحدث الشاعر يَحْيَى الفَادِنِي عن الطير التي بقدرة الله تطير في الفضاء وتقطع مسافات لا تكل ولا تمل وهذه من الحكمة والتدبر في ملكوت الله، قال

(١) ديوان صادح البان يحيى الفادني ص ٣.

الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (سورة الملك الآية ١٩).

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة النحل الآية ٧٩).

ويدعو الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي لكي نُمَتِّعَ نظرونا فيما أبدع الله في هذا الكون الجميل الفسيح
وأن نتفكر في هذه الطيور الصافات في جو السماء، إذ يقول^(١):

وَذَاكَ الطَّيْرُ أَهْـدَاهُ	جَنَاحًا كَمْ بِهِ خَفَقَا
لِيَعْبُرَهُ مَسَافَاتٍ	فَلَمْ يَمْلَأْ وَمَا قَلَقَا
أَجَلْ ذَا الطَّرْفِ فِي الْكَوْنِ	وَمَتَّعَ مَنَّاكَ ذَا الْحَدَقَا
وَقُلْ فِي كُلِّ مَا تَتْلُو	مِنَ الْآيَاتِ قَدْ صَدَقَا

وفي ختام القصيدة، يؤكد الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي، حُبَّهُ للرحمن [جلَّ جلاله]، لأنَّه هَدَانَا إِلَى
النور، وقدر لكل مخلوق، في الكتاب المسطور، ويتحدث عن الزهد في الدنيا، وأنَّها دنيا الإختبار
والإبتلاء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) الَّذِي خَلَقَ
الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك الآية ١-٢].

ويقول الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي^(٢):

هَـوَ الرَّحْمَنُ أَحَبُّنَا	كَمَا أَهْدَى إِلَى النُّورِ
فَقَدَرَ كُلَّ مَيْسُورٍ	لِمَا خُلِقَ بِمَسْـطُورٍ
قَدْ نَسِينَا إِخْبَارَاتِ	فَكَمْ دَانَتْ لِمَغْرُورٍ
يُصِرُّ فَهَذَا إِذَا شَاءَتْ	بِأَهْوَاءٍ وَتَبْذِيرٍ

وفي القصيدة الثانية إستخدم يَحْيَى الْفَادَنِي شعرَ الحكمة، وهي تُعد من المعانى
الإسلامية التي نجدُها كثيرا في شعر يَحْيَى الْفَادَنِي، فهنا يسأل الشاعر من الذي يختار
في أمور قد سبقت وَقَدِرْتُ عَلَى الْإِنْسَانِ؟، وَالنَّهْيُ لِلْإِنْسَانِ هُوَ بِمَثَابَةِ الْقَدْرِ، ويحدثنا

(١) ديوان صادق البان-يحيى الفادني ص ٣.

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٤.

بأن نملاً قلوبنا باليقين متدبرين ومتفكرين في ملكوت السموات والأرض هذا الكون البديع، ونأخذ منها العبر والعظات فقال^(١):

مَنْ ذَا الَّذِي يَخْتَارُ فِي أَمْرِ بَدَرٍ وَالنَّهْيُ لِلْمَرْءِ أَيَّاثُ الْقَدَرِ
فَأَمْلَأَ الْقَلْبَ يَقِيناً بِالْفِكْرِ وَأَعْتَبِرْ يَا صَاحِبَ مِنْ تِلْكَ الْعِبَرِ

ونظر الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي في قول الشاعر أبي إسحاق الألبيري الأندلسي^(٢) الذي بدأ الكلام في قصيدته على غفلة الإنسان عما تصنعه آلة الزمن في بني آدم، وأن الإنسان مسؤول عن علمه والعمل به وعن جهله لو جهل، وحذر من الإخلاق إلى الدنيا ومن نسيان الآخرة، وإلى تذكر يوم الحساب، حيث قال^(٣):

تَقُبْتُ فُوَادَكَ الْأَيَّامُ فَتَاً وَتَنَحَّيْتُ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتَا
وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دُعَاءَ صِدِّيقٍ: أَلَا يَا صَاحِبَ أَنْتَ أُرِيدُ أَنْتَا
أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ خِذْرِ أَبَتَ طَلَّاقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتَا
تَنَامُ الدَّهْرَ وَيَحَاكَ فِي غَطِيطٍ بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهَتْهَا
فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى مَتَى لَا تَرَعُوي عَنْهَا وَحَتَّى؟

وتحدث الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي عن الدنيا وخداعها للإنسان، وأنها كَلِيلٌ يذهب ويأتي بعده الصباح، وأنها متاع زال، وهي خيال مثل ظل الإنسان، ويسأل أين الذين عاشوا قبلنا، وبنوا القصور والحصون، كلهم رحلوا، وصار تحت التراب، ولا تقل مالي وجاهي هذا كله سراب، ونصح الشاعر صاحبه، بأن يغتنم الوقت قبل فواته، وأن يذكر الله، وخاصة أن يجعل القرآن صاحبه، وأن نعتبر بمن ماتوا وصاروا تحت التراب إذ يقول^(٤):

هَـذِهِ الدُّنْيَا كَلِيلٌ لِبَعْدِهِ يَأْتِي الصَّبَاحُ
وَبِهَـذَا الْإِنْسَانُ يَسْعَى عُمْرُهُ شَيْئٌ يُتَاحُ
أَيُّنَ مَنْ عَاشُوا قَدِيمًا مِنْ دُجَى الْجَهْلِ أَزَاخُو
أَيُّنَ مَنْ عَاشُوا بَعْدَ زَمٍ وَبِهِ نَيْلُ الْفَلَاحِ

(١) ديوان صادق البان-يحيى الفادني ص ٥.

(٢) إبراهيم بن مسعود بن سعيد، أبو إسحق التُّجِيبِي الألبيري: شاعر أندلسي أصله من أهل حصن العقاب، اشتهر بغرناطة وأنكر على ملكها كونه استوزر ابن نغزلة (اليهودي) فنفي إلى البيرة، مات سنة ٤٦٠ هـ. أنظر (الأعلام للزركلي ج ١ - ص ٧٣)

(٣) ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي-تحقيق د. محمد رضوان الداية-دار الفكر-دمشق سورية-١٩٩١م-ص ٢٤.

(٤) ديوان صادق البان-يحيى الفادني-ص ٦-٥.

هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ سَوُفَ تَمُضُ بِبَغْدَادٍ حِينَ
مِثْلِ ظِلٍّ أَوْ خَيْالٍ مِثْلَمَا تَجْزِي الْفُرُونُ
أَيُّنَ مَنْ عَاشُوا قَدِيمًا مَنْ بَنَوْا تِلْكَ الْخُصُونُ
كُلُّهُمْ مَآثُوا وَصَارُوا بَيْنَ حَضْبَاءَ وَ طِينِ

لَا تَقُلْ مَالِي وَ جَاهِي لَا يَغْنِيكَ السَّرَابُ
فَإِنْ كُنْتَ لِلَّهِ كَثِيرًا وَ أَصْطَحِبْ خَيْرَ الْكِتَابِ
وَاجْعَلْ الْوَقْتَ مَتَاعًا وَ أَتْرُكَنَّ لَهُوَ الشَّابِ
وَاعْتَبِرْ يَا صَاحِبِ بُخْبٍ قَدْ غَدَا تَحْتَ الثَّرَابِ

وختم الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي القصيدة بحسن الختام وهو الدعاء فقال^(١):

رَبِّ سُبْحَانَكَ فَاعْفِرْ مَا عَرَفْنَا مِنْ دُنُوبِ
وَكَذَا تِلْكَ الْخَفَايَا أَنْتَ سَيِّدُ الْعُيُوبِ
أَنْتَ يَا رَبُّ رَحِيمٌ تُمَهِّلُ الْعَبْدَ الْمُعِيبَ

وَأَرْزُقِ السُّودَانَ حِصْنًا مِنْكَ يَا رَبَّ السَّمَاءِ
وَاجْعَلْ الْإِنْسَانَ فِيهِ فِي إِزْدِهَارٍ وَنَمَاءِ

(١) ديوان صادق البانيجي الفادني- ص ٩-١٠.

المبحث السابع

شعرُ الغُربة والحَنين

معنى الغربة في اللغة:

جاء في لسان العرب^(١) لابن منظور: {الْغُرْبَةُ وَالْغَرْبُ النَّوْيُ وَالْبَعْدُ، وَيُقَالُ أَغْرَبْتُهُ وَغَرَّبْتُهُ إِذَا نَحَيْتُهُ وَأَبْعَدْتُهُ، وَالتَّغْرِيبُ النَّفْيُ عَنِ الْبَلَدِ، إِذَا الْغُرْبَةُ هِيَ الْبَعْدُ وَالتَّحْيِي، إِنَّ مَعْنَى الْغُرْبَةِ فِي الْمَعَامِ الْعَرَبِيَّةِ يَشِيرُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ دَلَالَةِ أُبْرَازِهَا وَضُوحاً تِلْكَ الَّتِي تَرْتَبُطُ بِالْمَكَانِ وَالْإِنْتِقَالِ عَنْهُ، فَالْأَزْهَرِي فِي تَهْذِيبِ اللُّغَةِ يَشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَفْهُومِ بِقَوْلِهِ: {يُقَالُ: الْغَرْبُ الذَّهَابُ وَالتَّحْيِي، وَيُقَالُ أَغْرَبْتُهُ وَغَرَّبْتُهُ إِذَا نَحَيْتُهُ} وَالْغَرْبُ أَيْضاً هُوَ التَّحْيِي عَنْ حَدِّ الْوَطَنِ، وَيَشِيرُ الْجَوْهَرِيُّ فِي الصَّحَاحِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ: {التَّغْرِيبُ النَّفْيُ عَنِ الْبَلَادِ، وَأَيْضاً غَرْبٌ بَعْدُ، وَأَغْرَبَ عَنِي أَيُّ تَبَاعَدٌ}.

شعر الغربة والحنين في العصر الجاهلي:

بدأ شعر الغربة والحنين إلى الوطن والأرض ومن عليها من أهل وأصحاب، بالظهور بصورة بارزة في الشعر الجاهلي، ويكفي أن نقرأ المعلقات، وشعر الجاهليين بصفة عامة، حتى تسترعي انتباهنا هذه الظاهرة. وتشكل الأطلال الجاهلية مادة غزيرة في هذا الموضوع، ويكفي أن نذكر أن إمرأ القيس، أول من بكى الديار، واستبكى الرفاق عليها حيث يقول^(٢):

أَجَارَتْنَا إِنَّ الْمَزَارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتْنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَاهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

شعر الغربة والحنين في العصر الإسلامي والأموي:

وقد ثبت حب النبي ﷺ لبلده مكة المكرمة، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ وهو يخاطب مكة: (ما أطيبك من بلد، وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك). [رواه الإمام الترمذي]

وذكر ابن هشام في سيرته^(٣): قال ابن إسحق: وحدثني هشام بن عروة، وعمر بن عبد الله بن عروة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم، فصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ، قالت فكان أبو بكر^(٤)، وعامر

(١) لسان العرب، ابن منظور، م ١، ص ٦٣٨.

(٢) ديوان إمرئ القيس - تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل - ص ٢٥٧.

(٣) السيرة النبوية - ابن هشام - تعليق وتخريجها أ.د. عمر عبدالسلام تدمري - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان - ط ٢ - ج ٢ - ١٩٩٠م - ص ٢٢٩.

(٤) اسمه عبد الله - ويقال عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي رضي الله عنه، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، وهو أول الخلفاء الراشدين، توفي في يوم الاثنين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وه ابن ثلاث وستين سنة. أنظر (سير أعلام النبلاء - الخلفاء الراشدين ص ٧)

بن فهيرة^(١)، وبلال^(٢)، مواليا أبي بكر، مع أبي بكر في بيت واحد، فأصابتهما الحمى، فدخلت عليهما أعودهم، وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر، فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

قالت: فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول، قالت: ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة فقلت له:

كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لَقَدْ وَجَدْتُ الْمَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنَّ الْجَبَانَ حَتَفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

كُلُّ امْرِئٍ مُجَاهِدٌ بِطَوْقِهِ كَالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول قالت: وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء

البيت ثم رفع عقيرته فقال:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَ لَيْلَةً بِفَخٍّ وَخَوْلِي إِذْ خَرَّ وَجَلِيلٌ

وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٣): ثم إنني دخلت على رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا

المدينة كحُبِّنا مكة، اللَّهُمَّ وصَحِّحْها وبارك لنا في مُدَّها وصاعِها، وانقلْ حُمَّاها واجعلْها بالجحفة، فغرس الله بعد ذلك حبَّ المدينة في قلب الصحابة ومن بعدهم أبد الدهر.

وفي العصر والأموي، وصلنا أصداء الغزل العذري، وما عاناه الشعراء من غربة الإبعاد

والحرمان عن المحبوبة، من النَّفْيِ والبعد عن الوطن، حيث ذكر جميل بن معمر^(٤) ذلك في أجمل تصوير في شعره بقوله:

هاجبت فؤادك للحبيبة دار أقوت وغير آيها الأمطار

وعفا الربيع رسومها فكأنَّها لم يغن قبل بربعها ديار

لما وقفت بها القلوص تبادرت مني الدموع وهاجني استعبار

(١) مولى سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم مملوكاً، وكان حسن الإسلام، وعذَّب في الله، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، وشهد عامراً بدرأً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة سنة ٤هـ. أنظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة ص ٦١٩)

(٢) بلال بن رباح (رضي الله عنه)، مولى أبي بكر الصديق، وأمه حميمة من مولدي مكة لبني جُمَح، شهد بدرأً والمشاهد كلها، وكان من السابقين إلى الإسلام، توفي بلال بدمشق سنة ٢٠هـ. أنظر (أسد الغابة في معرفة الصحابة ص ١٣١)

(٣) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما)، وأمها أم رومان بنت عامر الكنانية، ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، فقد ثبت في الصحيح أن النَّبِيَّ ﷺ تزوجها وهي بنت ست وقيل بنت سبع، كانت عائشة أفقه، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة، ماتت (رضي الله عنها) سنة ٥٨هـ. أنظر (الإصابة في تمييز الصحابة ج ٨ ص ٢٣١)

(٤) تقدمت ترجمته ص ٧٦.

شعر الغربة والحنين في العصر العباسي:

أمّا في العصر العباسي ففيه إنصهرت جميع اتجاهات الشعر على مر عصوره فضلاً عن موازنته زمنياً لمرحلة ازدهار الأدب في الأندلس، ولقد كانت بغداد في عصر الخلافة العباسية تمثل مركزاً جذب لكثير من الشعراء الذين كانوا يفدون عليها من أماكن مختلفة تاركين أسرهم وديارهم، وهكذا اجتمع في البلاط العباسي شعراء متنافسون. كان للصراع بينهم دور مهم في تغريب بعض الشعراء، وأحياناً نفيعهم، بل وصل الصراع والتنافس بينهم أن يستعان بعضهم على بعض بذوي السلطة لإستصدار أحكاماً ضدهم بالسجن.

وغربة الشعراء أصعب من سواها فهم في طبيعتهم المنفردة وإحساسهم المرهف يحسون بوطأة الغربة، ولا سيما إذا كانوا في وسط لا يفهم ولا يقيم لهم وزناً، عندها يسعى الشاعر إلى محاولة لإعادة صياغة واقعية من أجل إصلاح المجتمع، والنهوض به، أو إلى أن يتمرد على هذا الواقع من خلال نقده وتوجهه، لشعوره بقوة شخصية ترفض الذوبان والإستسلام^(١).

ويقول الأستاذ مصطفى قاسم عباس^(٢): لا مكان في الحياة بالنسبة للإنسان، أجمل وأبهى من المكان الذي ولد فيه وترعرع، وتقياً ظلاله وارتوى من فرائد مائه، فالمكان هو تذكّر لمراتع الصبا، وضحكات الطفولة البريئة، وهو جزء من كيان الإنسان، فمهما ابتعد عنه، وشطت به الدار، فلا بد أن تبقى أطلال بلاده في ثنايا مخيلته، وهذا جزء يسير من الوفاء لهذه الأرض التي حملتك على ظهرها وأنت تحبو، ثم وأنت تخطو، ثم تمشي، ثم بعد انتهاء الأجل تدفن فيها، فما أراها !!، وكثير من الناس من ارتشف شراب الهجر والغربة، في كؤوس من الحنين والأشواق، وكم من مغترب قال بلوعة بيت الطائي:

كَمْ مَنَزَلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلُفُهُ الْفَتَى وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ نُزُلٍ

والكل يعلم أن طريق الهجرة وعرة المسلك، ومليئة بالمنغصات، ومهما بقي الإنسان في بلاد الغربة فاسمه "غريب"، ولن يجد قلباً حنوناً، بين الحجارة الصماء، مما حدا بالقروي^(٣) في قروياته أن يقول بعدما أفنت الغربة شبابه:

دَفَنْتَ رَبِيعَ عُمْرِكَ فِي بِلَادٍ لَهَا طَالَتْ لَيَالِيكَ الْقِصَارُ

(١) رسالة ماجستير - راضي صدوق شاعرا - إعداد الطالب: معتصم دحيلان الضلاعين - جامعة مؤتة بالأردن لعام ٢٠٠٨م، ص ٩١.

(٢) مقال بعنوان (حب الوطن في عيون الشعراء) منشور في موقع (مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمي) بتاريخ عام ٢٠١١م

(٣) هو الشاعر اللبناني رشيد سليم الخوري، ولد سنة ١٨٨٧م في قرية البربارة اللبنانية، درس في مدرسة الفنون الأمريكية، ثم في الجامعة الأمريكية، عمل في التدريس في معاهد متعددة، توفي لبنان سنة ١٩٨٤م. أنظر (الجامع في تاريخ الأدب العربي ص ٧٥٤)

بُلاَدُ رَبَّمَا فِيهَا كِرَامٌ وَلَكِنَّ اللَّيْلَ بِهَا كَثَارُ
إِذَا لَمْ تَخَوْ تُرَبُّنَهَا حِجَارًا فَبَيْنَ ضُلُوعِ أَهْلِهَا الْحِجَارُ

وكان الناس يتشوقون إلى أوطانهم، ولا يفهمون العلة في ذلك، حتى أوضحها علي بن العباس الرّومي^(١) في قصيدة لسليمان بن عبد الله بن طاهر^(٢) يستعديه على رجل من التجار، يعرف بابن أبي كامل، أجبره على بيع داره واغتصابه بعض جُدرها، بقوله^(٣):

وَلِي وَطَنٌ آلَيْتُ أَلَّا أَبِيعَهُ وَأَلَّا أَرَى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكَا
عَهْدْتُ بِهِ شَرْخَ الشَّبَابِ وَنِعْمَةً كَنِعْمَةِ قَوْمٍ أَضْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا
وَحَبَّبَ أَوْطَانَ الرِّجَالِ إِلَيْهِمْ مَارَبُ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَا
إِذَا ذَكَرُوا أَوْطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ عُهْدَ الصِّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَا
لَقَدْ أَلْفَيْتُهُ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَهَا جَسَدٌ إِنْ بَانَ غَوِذْتُ هَالِكَا

يقرر الشاعر أن له بيت لن يملكه أحد غيره طول العمر فقد أقسم ألا يبيعه وألا يرى أحدا يسكنه غيره، وذلك؛ لأنّه قضى أيام شبابه الجميلة فيه منعما في ظلاله كما ينعم الرجال في ظل الوالى، وفي هذا المعنى نجد ابن زيدون^(٤) [رحمه الله] يقول: والكريم لا يجفو أرضاً فيها قوالبه، ولا ينسى بلداً فيها مراضعه، قال الأول^(٥):

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِجٍ إِلَيَّ وَسَلَمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا
بِلَادٌ بِهَا عَقَّ الشَّبَابُ تَمَائِمِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَابُهَا

وهذان البيتان يشابهان قول الآخر^(٦):

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَاسْتَهَلَّتْ مَدَامِعِي لَشَوْقِي إِلَى عَهْدِ الصِّبَا الْمُتَقَادِمِ
حَنَنْتُ إِلَى أَرْضٍ بِهَا أَخْضَرُّ شَارِبِي وَقُطِّعَ عَنِّي قَبْلُ حَلِّ التَّمَائِمِ

(١) ترجمته سبقت ص ٧٤

(٢) أبو أيوب الخزاعي، من بيت الإمارة والتقدم، ولي شرطة بغداد والسواد من قبل المعتز سنة ٢٠٥ هـ، وكان أديباً شاعراً، توفي سنة ٢٦٦ هـ. أنظر (الوافي بالوفيات للصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط ١، ٢٠٠٠ م ج ٢٥ ص ٢٤٢)

(٣) ديوان ابن الرّومي-شرح أحمد حسن بسج-، ص ١٤

(٤) صاحب الوزير، العلامة، أبو الوليد، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب المخزومي، القرشي، الأندلسي، القرطبي، الشاعر، حامل لواء الشعر في عصره، توفي في رجب سنة ٤٦٣ هـ. أنظر (سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٢٤٠)

(٥) تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون- للصفدي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة المصرية-صيدا لبنان- ١٩٦٩ م- ص ٣٣٢.

(٦) المصدر السابق نفسه- ص ٣٣٢.

وهذا شاعر المغرب أبو عبد الله محمد بن غالب الرصافي^(١) يتشوق إلى
بِلَنْسِيَةِ^(٢)، وهي قصيدة رائعة في حب الوطن والحنين إليه يقول^(٣):

بِلَادِي الَّتِي رِشْتُ قُوْدِمَتِي بِهَا فُرِيحًا وَآوْتَنِي قَرَارَتَهَا وَكُرَا
قِيَادِي لَيْنِ الْعَيْشِ فِي رَوْنَقِ الصَّبَا أَبَى اللَّهُ أَنْ أَنْسَى لَهَا أَبَدًا ذِكْرَا
لَبَسْنَا بِهَا ثُوبَ الشَّبَابِ لِبَاسَهَا وَلَكِنْ عَرِينَا مِنْ حُلَاهُ وَلَمْ تَعُرَا

وقد يحن الإنسان إلى أرض لم يرها ولم يسكنها، ولكن قلبه تعلق بها، أعني مكة والمدينة
المنورة. كيف لا وقد جعل الله القلوب تهوي إليها؟! أما قال الله [عز وجل] في كتابه على لسان
إبراهيم عليه السلام: ﴿بَنَّا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم الآية ٣٧].

ونجد الشاعر الشريف المرتضى^(٤) يحن إلى العراق، ويطلب من النسيم
أَنْ يَحْمِلَ السَّلَامَ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ، فهو يقول^(٥):

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أَرْضِ بَابِلٍ تَحْمَلُ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ سَلَامِي
وَإِنِّي لِأَهْوَى أَنْ أَكُونَ بِأَرْضِهِمْ عَلَى أَنَّي مِنْهَا اسْتَقَدْتُ سَقَامِي

وتحاصر القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي^(٦) الهموم ويؤلمه التهميش
والإحباط، ويؤذي قلبه شماتة الأعداء وإذا به ينادي^(٧):

بَعْدَادُ دَارُ لِأَهْلِ الْمَالِ وَاسِعَةً وَلِمَقَالِيسِ دَارِ الضَّنْكِ وَالضَّيْقِ
أَصْبَحْتُ فِيهَا مُهَانًا فِي أَرْقَتِهَا كَأَنَّنِي مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زُنْدِيقِ

وتراوده فكرة الرحيل ولكن كيف وإلى أين ومتى؟ وها هو يشدُّ الحنين فيحجم، وتطرقة
الأهوال فيقدم، ويدمدم بينه وبين نفسه^(٨):

(١) شاعر المغرب، أبو عبد الله محمد بن غالب الأندلسي الرفاء، من رصافة الأندلس، سار نظمه في الأفاق، وتوفي في رمضان سنة اثنتين
وسبعين وخمسمائة بمالقة. أنظر (سير أعلام النبلاء ج ٢١ ص ٧٤)

(٢) بلنسية مدينة في شرق الأندلس، وكانت عامرة كثيرة التجارات. أنظر (الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري،
تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط ٢، ١٩٨٤ م ص ٩٧-١٠١)

(٣) ديوان الرصافي البلنسي- جمع وتقديم د. إحسان عباس- دار الشروق-بيروت لبنان- ط ٢- ١٩٨٣ م ص ٦٧
(٤) العلامة الشريف المرتضى، تقيب العلوية، أبو طالب، علي بن حسين القرشي، من ولد موسى الكاظم، ولد ٣٥٥ هـ، هو جامع كتاب (نهج
البلاغ)، وله ديوان كبير، وكان صاحب فنون، مات سن ٤٣٦ هـ. أنظر (سير أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٥٨٨)

(٥) ديوان الشريف المرتضى- شرح الدكتور محمد التونجي- دار الجيل-بيروت لبنان- ط ٣- ١٩٩٧ م ص ٣١٣.
(٦) هو الإمام العلامة، شيخ المالكية، أبو محمد التغلبي العراقي، الفقي المالكي، وله أشعار راقية، وكان ذهابه إلى مصر لإفلاس لحقه، فمات بها
سنة ٤٢٢ هـ. أنظر (سير أعلام النبلاء، للذهبي ج ١٧ ص ٤٢٩)

(٧) ديوان عبد الوهاب البغدادي- جمع وتحقيق الدكتور عبد الحكيم الأنيس- دار البحوث-دبي الإمارات العربية المتحدة- ط ١- ٢٠٠٤ ص ٣٥

(٨) المصدر السابق نفسه- ص ٤٩.

طِيبُ الْهَوَاءِ بِبَغْدَادٍ يُؤَرِّقُنِي شَوْقاً إِلَيْهَا وَإِنْ عَاقَتْ مَقَادِيرُ
فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَنْهَا الْآنَ إِذْ جَمَعْتُ طِيبَ الْهَوَائَيْنِ مَمْدُودٌ وَمَقْصُورُ

والإنسان يتشوق ويحن للوطن والأهل في ديار الغربه بجميع الأحوال، فكيف به إذا كان أسيراً وفي ديار الغربه؟! لا بد أنه سوف يتجرع ألم النوى، وعلقم البعد والفرق، ولا نزال نذكر قصيدة أبي فراس الحمداني^(١) الرائعة التي قالها عندما كان أسيراً، وسمع حمامة تنوح على شجرة عالية بقربه فأراد منها أن تشاركه في أحزانه، وتحمل عنه بعض الهموم، فقال يخاطبها^(٢):

أَقُولُ: وَقَدْ نَاحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ أَيَا جَارَتَا، هَلْ بَاتَ خَالِكِ حَالِي؟
أَتَحْمِلُ مَخَزُونَ الْفُؤَادِ قَوَادِمَ عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالِي؟
تَعَالِي تَرَي رُوحاً لَدَيَّ ضَعِيفَةً تَرَدَّدُ فِي جِسْمٍ يُعَذِّبُ بَال!

شعر الغربه والحنين في العصر الحديث:

ويعدّ الشاعرُ القرويُّ رشيد سليم الخوري والذي عاش في البرازيل أمتن شعراء الجنوب لغةً، وأقدرهم على التصرف في القريض وأجودهم في تخير اللفظ الموحى بمرارة الغربه، ووحشة الأمل وأمل العوده، فهذا الشاعر محمد إقبال^(٣) يقول في رائعة من روائعه الشعرية^(٤):

أَشْوَاقُنَا نَحْوَ الْحِجَازِ تَطَلَّعَتْ كَحَنِينِ مُغْتَرِبٍ إِلَى الْأَوْطَانِ
إِنَّ الطُّيُورَ وَإِنْ قَصَصْتَ جَنَاحِيهِ تَسْمُو بِفِطْرَتِهَا إِلَى الطَّيْرَانِ
إِنْ كَانَ لِي نَعْمُ الْهُدُودِ وَلَحْنُهُمْ لَكِنَّ هَذَا الصَّوْتُ مِنْ عَدْنَانِ

كما أن الشاعر اللبناني رشيد أيوب^(٥)، عندما رأى الثلج يتساقط في المهجر، تذكر ثلج بلاده، وأهله وأمه وأشياء أخرى ذكرها في قصيدته التالية^(٦):

(١) هو الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني، ابن عم ناصر الدولة، وسيف الدولو إبنني حمدان، ولد سنة ٣٢٠ هـ، كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، مات سنة ٣٥٧ هـ. أنظر (شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن عماد، م ٣، ص ٣٠٠)
(٢) ديوان أبي فراس الحمداني- شرح الدكتور خليل الدويهي- دار الكتاب العربي- بيروت لبنان- ط ٢- ١٩٩٤ م- ص ٢٨٢
(٣) هو محمد إقبال ابن محمد نور بن محمد رفيق، ولد سنة ١٨٧٣ م في ولاية البنجاب الهندية، بدأ التعليم في طفولته على يد أبيه، وتعلم القرآن، توفي سنة ١٩٣٨ م، عن عمر ناهز ٦٧ عاماً. أنظر (معجم أدباء الإسلاميين المعاصرين ص ٩٣٧)
(٤) ديوان محمد إقبال- إعداد سيد عبد الماجد الغور- دار بن الكثير- دمشق بيروت- ٢٠٠٧ م- ج ١- ط ٣- ص ٩٩.
(٥) رشيد أيوب، شاعر لبناني، اشتهر في المهجر الأمريكي، ولد في إحدى قرى لبنان سنة ١٨٧١ م، ورحل سنة ١٨٨٩ م إلى باريس، ثم هاجر إلى أمريكا، فكان من شعراء المهجر المجلّين، كان ينعت بالشاعر الباكي، لكثرة ما في نظمه من شكوى عنت الدهر، مات ودفن في بروكلن سنة ١٩٤١ م. أنظر (الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٢٢)
(٦) ديوان أغاني الدرويش- رشيد أيوب- مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة والنشر- القاهرة ج مصر- ٢٠١٢ م- ص ٦١.

يَا ثَلَجُ قَدْ هَيَّجْتَ أَشْجَانِي
بِاللَّهِ عَنِّي فُلْ لِإِخْوَانِي
يَا ثَلَجُ قَدْ ذَكَرْتَنِي الْوَادِي
كَمْ قَدْ جَلَسْتُ بِحُضْنِهِ الْهَادِي
يَا ثَلَجُ قَدْ ذَكَرْتَنِي أُمِّي
مَشْغُوفَةً تَحَارُ فِي ضَمِّي

ذَكَرْتَنِي أَهْلِي بِلُبْنَانِ
مَا زَالَ يَرْغَى حُرْمَةَ الْعَهْدِ
مُتَنَصِّتاً لِعَدِيرِهِ الشَّادِي
فَكَأَنَّنِي فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
أَيَّامَ تَقْضِي اللَّيْلَ فِي هِمَّتِي
تَخُورُ عَلَيَّ مَخَافَةُ الْبَرْدِ

شعر الحنين والغربة عند الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي

ولقد وجدتُ للشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي في ديوانه [صادح البان] قصيدة بعنوان [خواطر مغترب]، ولا سيما أنَّه كان مغترباً في المملكة العربية السعودية، وعاش مرارة الغربة عن الوطن والأهل، ولوعة الشوق والحنين على الديار يقول يَحْيَى الْفَادَنِي^(١):

يَا نَسْمَةَ الْعِيدِ حَيِّ النَّيْلِ وَأَعْتَقِي وَسَطْرِي الدَّمْعَ أَلَاماً مَعَ الزَّرَقِ
طَلِيقَةً طَائِرِ الْمُشْتَاكِ مُنْتَفِضاً مَنْ رَانَ غُرْبَتُهُ فِي زَهْرَةِ الشَّفَقِ
خَوَاطِراً طَالَمَا كَانَتْ مُقَيَّدَةً جَاشَتْ بِهِ لَيْلَةٌ تَسْرِي مَعَ الْأَرْقِ
وَرِيفَةً رَوْضَةِ الْأَخْلَامِ مَائِلَةً نَفْحاً مِنَ الْوَرْدِ أَوْ عَرِفاً مِنَ الْعَبَقِ

ونجدُ الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي قد جسد نسمة العيد، وهي من الطبيعة، شخصها وأضاف إليها صفة ذلك الإنسان الشاعر يأمرها بأن تُحْيِي وتلوح للنيل، وتسطر بدمعة عيونها ألماً وحسرة، وتمتزج تلك الدموع مع زرقاة النيل، وهذه الخواطر قُيدت، كما يُقَيِّدُ الإنسان، وهذا تشخيص بليغ، وبعد أن تنفك من قيادها، وتبوح وتجوش الليل كله، وهذه الليلة مسحوبة بالأرق.

ونجدُ الشعراء القدماء في تصويرهم للطبيعة لا يقتصرون على وصفها بالمحسوسات المألوفة، بل يلجأون إلى تشخيصها وإضفاء السمات الإنسانية على مظاهرها، فيخرج الشاعر، والطبيعة إلفين متحدين يكمل بعضها البعض ويتودد كل واحدٍ إلى الآخر، فلا يقف عند حدود الأشياء في المعنى واللفظ، بل يتخطاها إلى أبعد الحدود، ويلبس الطبيعة لباس الحياة ويجعلها تضحك وتبكي وتغني وتطرب.

ونجدُ في بعض قصائد ابن الرومي^(٢)، يصور الغيث وكأنَّه يبكي الديار التي مُحيت آثارها، وقطرات المطر أصبحت مالحة المذاق، ومن يذقها يدرك أنَّها ملح لا يراوده الشك في ذلك، والبرق في هذه الحالة كالح والرعْد يندب ويعول لرحيلهم، وكأنَّ المطر والبرق والرعْد في موقف جنائزي لا يستسيغون هذا الرحيل، فقال^(٣):

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِذِي الْأَثَابِ وَالْمُنْحَنَى وَالسَّفْحِ مِنْ كَبْكَبِ؟
بَكَى الْعَيْتُ عَلَى أَهْلِهَا بِكُلِّ عَيْنٍ ثَرَّةَ الْمَسْكَبِ

(١) ديوان صادق البان يحيى الفادني-ص ٧٢.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٦٤

(٣) ديوان ابن الرومي-شرح أحمد حسن بسج-ج ١- ص ١٩٨

وَحَالَ مِنْ بَعْدِهِمْ قَطْرُهُ مَلَحًا أَجَاجًا غَيْرَ مُسْتَعْدَبٍ

ويأتي إلى شاعرنا يَحْيَى الْفَادِنِي وهو في غربته طيفٌ وخيالٌ، ويسمعُ همساً في الحس تترك في النفس الأرق والقلق وهذا الطيف يخاطبه بأنْ عُدْ إلى أهلك ووطنك كفى هجراً للديار^(١):

شَدَّوْا مِنَ الطَّيْرِ فِي الْآصَالِ حَالِمَةً مِثْلَ الْكَحِيلِ مِنَ الشَّطَّانِ وَالْحَدَقِ
يَا حَرَّةَ الطَّيْفِ يَسْرِي أَيْنَمَا اتَّجَهَتْ رَكَائِبُ الْقَوْمِ يَدْعُوهَا لِمُنَشَّقِ
هَمْسٌ يُرِدِّدُهُ فِي الْحَسِّ عَنْ كَثَبٍ مَا عَاوَدَ النَّفْسَ بِالنَّسْهِيدِ وَالْقَلَقِ
عُودُوا بُنَيَّ كَفَى هَجْرًا لِدَارِكُمْ لَمْ يَبْقَ فِي الْجِيدِ مِنْ عُطْرِ لِمُنَشَّقِ

ويُذَكِّرُ الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي المَغْتَرِبَ بأنْ عزته لا تكون إلا بين أهله وأحبابه في دياره ووطنه مهما عمرَ بلاد غيره لن يسمو بها، بل تجد الظلم والإيذاء، وتجد الآلام يضيق بها صدر الحليم، ويحترق من قلبه^(٢):

أَلْوِي اللَّوَى كُلَّ مِيعَادٍ وَمُدَّخَرٍ وَصِرْتُ مُحْتَطِبًا مَا عَادَ فِي الْأَلْقِ
مَا عِزَّةَ الْمَرْءِ إِلَّا بَيْنَ أَسْرَتِهِ كَفَى التَّفَرُّقُ فِي السَّاحَاتِ وَالطَّرُقِ
عَمَّرْتُ كُلَّ بِلَادٍ لَنْ تُسَامَ بِهَا سِوَى الْمَظَالِمِ وَالْإِيذَاءِ وَالنَّزَقِ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ آلَامٌ يَضِيقُ لَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ وَتَذْوِي النَّفْسُ بِالْحُرْقِ

قال البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: (وفي قصيدة [خواطر مغترب]، جعل من الطبيعة شخصاً بث له همومه وآلامه، وهي النسمة، وأمرها بأن تمزج دمع الألم مع زرق النيل أو موج النيل حيث قال^(٣):

يا نسمة العيد حيي النيل وأعتقي وَسَطَّرِي الدَّمْعَ آلاماً مَعَ الزَّرَقِ

أراد الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي أن يورد الخواطر التي تنتابه إزاء الغربة، وتلخصت في إنَّ المَغْتَرِبَ قلق النفس كثير الأرق على أهله إذ يقول^(٤):

خَواطر طالما كانت مقيدة جاشت به ليلة تسري مع الأرق
همس يردده في الحس عن كَثَبٍ ما عاود النفس بالنسهد والقلق

ويكرر قلق المَغْتَرِبَ في موضع آخر فقال^(٥):

(١) ديوان صادق البان-يحي الفادني-ص ٧٣.

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٧٤

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٧٣.

(٤) المصدر السابق نفسه- ص ٧٣

(٥) المصدر السابق نفسه- ص ص ٧٤

حتى إذا حل في الأوطان وانتبهت لكل ما فات نفس المترف القلق
والمغترب لم يفق من سكرة الغربة عن الأهل والوطن، مهما نال من مكاسب الدنيا ومن زهرة
العيش، ولكن فاتته أشياء لا تدرك في الغربة، حتى إذا حل بعد العودة من الغربة يجد وقد تغيرت
الأحوال وتبدلت، قال الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي^(١):

إِنْ نَالَ مُغْتَرِبٌ مَا نَالَ مُكْتَسِبًا مِنْ زَهْرَةِ الْعَيْشِ فَالْمِسْكِينُ لَمْ يَفِقْ
حَتَّى إِذَا حَلَّ فِي الْأَوْطَانِ وَانْتَبَهَتْ لِكُلِّ مَا فَاتَ نَفْسُ الْمُتَرْفِ الْقَلِقِ
تَذَكَّرَ الْأَهْلَ إِذْ وَلَّى جَلِيلُهُمْ وَصَارَ مُغْتَرِبًا فِي جَوَّةِ الرَّهَقِ
أَوْ عَاوَدَ الْهَمَّ لِلتَّرْحَالِ مُكْتَتِبًا إِذْ لَا صَدِيقَ وَلَا فِي النَّفْسِ مِنْ رَمَقِ

يقول البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: وفي قصيدة [شجون الغربة]، إستهلها بالبكاء
على صباه الماضي، بقوله^(٢):

بكيْتُ على صباي غداة ولى وكان صداه من نبض القلوب
فهو بهذا الإستهلال يحاكي كبار الشعراء إذ يكون على شبابهم وصباهم، وهذا سلامة بن
جندل^(٣)، شاعر قديم يستهل قصيدته بالبكاء على الشباب إذ يقول^(٤):

أَوْدَى الشَّبَابُ حَمِيداً ذُو التَّعَاجِيبِ أَوْدَى وَذَلِكَ شَأْوَ غَيْرِ مَطْلُوبِ
وَلَّى حَثِيثاً وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَعَاقِيبِ
أَوْدَى الشَّبَابُ الَّذِي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ فِيهِ نَلْدُ، وَلَا لَذَاتٍ لِلشَّيْبِ

وأعجب بيتاً في قصيدة الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي [شجون الغربة] قوله^(٥):

وينحت في طوي الأيام صمتاً ليبدو مثل مصفرِّ المغيب
ويختم الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي، بأن سره مكتوم، ودمعه محبوس، وذلك في كل حال إذ
يقول^(٦):

إلى عيش بعيداً عن بلادي فكيف يفر للصب الغريب
يكتم سره في كل حال وليس يبوح بالدمع السكوب

(١) ديوان صادق البان-يجي الفادني-ص ٧٤

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ٦٣.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٨٢

(٤) ديوان سلامة بن جندل-تحقيق د.فخر الدين قباوة- ص ٨٨-٩١.

(٥) ديوان صادق البان-يجي الفادني-ص ٦٣

(٦) المصدر السابق نفسه- ص ٦٣

الفصل الثالث

الصورة الفنية في شعر يَحْيَى الفَازَنِي

الخاتمة

المصادر والمراجع

الصورة الفنية عند الشاعر يحيى الفادني

تعريف الصورة الفنية:

جاء في لسان العرب لابن منظور^(١)، مادة (ص و ر)، الصورة في الشكل، والجمع صور، وقال ابن الأثير^(٢): الصورة ترد في لسان العرب لغتهم على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة كذا وكذا أي صفته^(٣).

إنَّ الدارس للأدب العربي القديم لا يعثر على تعبير الصورة الشعرية في التراث الأدبي بالمفهوم المتداول الآن، وإنَّ كان شعرنا القديم لا يخلو من ضروب التصوير لأنَّ الدرس النقدي العربي كان يحصر التصوير في مجالات البلاغة المختلفة كالمجاز والتشبيه والاستعارة. لكلٍّ من الفنون الجميلة وسيلة يبلِّغ من خلالها غايته، وهي التأثير في المتلقين، والشعر من هذه الفنون الجميلة، وهو كغيره من هذه الفنون له غاية جمالية هي التأثير في المتلقين، وهو يصل لهذه الغاية عن طريق اللغة.

فالشاعر يستخدم مفردات اللغة بطريقة خاصة بحيث تختلف عن الإستخدام العادي لها، ويجعلها أكثر تأثيراً " فالشعر فن ينتهي إلى غايته الجمالية عن طريق اللغة، أنَّه عالم حي، منفتح، متعدد الألوان، مفاجئ وسحري، يصلنا بحقيقة حياتية أو جمالية بواسطة اللغة الاستعارة ويولد فينا نتيجة هذا الاتصال نشوة غير عادية، أنَّه عالم الكلمة الجديدة، البكر، العذراء، الرمز، الإيقاع، الصورة^(٤).

ولهذه اللغة وسائلها الخاصة التي تُبلِّغ من خلالها رسالة الشاعر في نصه، ومن هذه الوسائل التي تستخدمها [الصورة الفنية] إحدى عمادي لغة الشعر.

والصورة الفنية قديمة قدم الشعر نفسه، حيث لا يمكن أن نتصور شعراً يخلو من الصورة الفنية، بل إن بعض الباحثين يرى أن الاستعارة هي لغة الإنسانية الأولى وأن الإنسان البدائي كان يفكر بالصور^(٥).

(١) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة، من نسل رويغ بن ثابت الأنصاري، ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. أنظر (الأعلام للزركلي، م ٧ - ص ١٠٨)

(٢) المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو السعادات، مجد الدين، المحدث اللغوي الأصولي. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر. وانتقل إلى الموصل، فاتصل بصاحبها، فكان من أخصائه. وأصيب بالنقرس فبطلت حركة يديه ورجليه. ولازمه هذا المرض إلى أن توفي في إحدى قرى الموصل. أنظر (الأعلام للزركلي، م ٥، ص ٢٧٢)

(٣) لسان العرب - ابن منظور - م ٤ - ص ٤٧٣.

(٤) الصورة الشعرية وجهات نظر غربية وعربية، د. ساسين عساف، دار الجيل، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٢.

(٥) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، علي البطل، دار أندلس، بيروت لبنان، ط ١، ١٩٨٠م، ص ٢٤.

وفي شعرنا العربي نجد الصورة ماثلة في الشعر الجاهلي أقدم شعر وصلنا باللغة العربية؛ وما قُدِّمَ امرؤ القيس، بشبه إجماعٍ نقدي إلا لإجادته في التصوير، وهذا ينطبق على الشعر العالمي كله في أيِّ مكان وزمان.

والصورة في الشعر الأصيل لا يؤتى بها للتزيين والزخرفة اللفظية، وإنما هي شيءٌ أصيل تمليه الحالة النفسية للشاعر، فالصورة الفنية هي الحامل الأمين لمشاعر الشاعر وتُرجمان نفسه الشاعرة، فالشاعر يترجم أحاسيسه وعواطفه، وينقل كوامن نفسه من خلال الصورة الفنية التي يبدعها في نصه الشعري، فالشعر من حيث هو ذو طبيعة حسية يخضع لنوعٍ من التنظيم أو التشكيل، ويُبين عن شعور بلغ درجة الانفعال فحرَّك الخيال الذي تأطَّر في سلسلة من الصور. فالشاعر "يقصد إلى تثبيت تجربة خاصة بوسائل التصوير والإيحاء؛ والصياغة في الشعر مقصودة لذاتها لا يتم الإيحاء إلا بها.

يُوصفُ شعرُنا العربي القديم بالحسيَّة، حتى نحس مع الشاعر بمدى الخوف الذي يعانیه، يقول النابغة الذبياني معتذراً من النعمان بن المنذر وكان قد توعده^(١):

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتُني ضَيِّلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمُّ نَاقِعُ

ويمكن إجمال التعريفات الكثيرة للصورة الفنية في تعريفٍ واحدٍ يجمع أشتاتها؛ فالصورة الفنية: ضربٌ من التعبير الأدبي يلجأ إليه الشاعر ليعبر من خلاله عما يجيش في نفسه من مشاعر وأحاسيس تجاه موقفٍ ما من مواقفه مع الحياة وأحداثها، أو ليعبر عن فكرة ما تدور في ذهنه في برهة من الزمن عندما يشعر أن اللغة المعيارية تعجز عن تأدية تلك المشاعر والأحاسيس أو الأفكار ليحدث في نفس المتلقي التأثير المرجو).

الإستهلال وحسن المطالع:

الاستهلال لغة: الابتداء، مادة [هـل] يقال [هل الشهر]؛ أي ظهر الهلال والهـل بالهاء المكسورة تعني استهلال القمر، جاء في لسان العرب: (هـل: هل السحاب بالمطر وهـل المطر هـلا وأنَّهـل بالمطر أنَّهـللاً واستهـل : وهو شدة إنصبابه، وفي حديث الاستسقاء، فألف الله السحاب وهـلتنا).

(١) النابغة الذبياني - شرح وتقديم عباس عبد الساتر - ص ٥٤.

قال ابن الأثير: جاء في رواية لمسلم ، يقال: هل السحاب إذا أمطر بشدة، والهلال الدفعة منه، وقيل: هو أول ما يصيبك منه، والجمع أهلة على القياس، وأهاليل نادرة، وأنَّهَل المطر أنَّهُلًا: سال بشدة، واستهلت السماء في أول المطر).

والإستهلال إصطلاحاً: هو ضرب من ضروب الصنعة التي يقدمها أمراء البيان ونقاد الشعر وجهابذة الألفاظ بان يبدأ المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وان وقع اثناء الكلام.

وتكلم الشيخ حجة الحموي^(١) في كتابه [خزانة الأدب] في تعريف الإستهلال وحسن المطالع، فقال: إعلم أنَّه اتفق علماء البديع، على أن براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعاني واضحة في استهلالها، وأن لا يتجافى بجنوب الألفاظ عن مضاجع الرقة، وأن يكون التشبيب بنسبها مرقصاً عند السماع، وطرق السهولة متكلفة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطلعها، مع اجتناب الحشو، ليس له تعلق بما بعده. وشرطوا أن يجتهد الناظم في تناسب قسميه، بحيث لا يكون شرطه الأول أجنبياً من شرطه الثاني، وقد سمي ابن المعتز براعة الاستهلال، حسن الابتداء، وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع، وإن أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء^(٢).

قال الشيخ علي صدر الدين المدني: (قال أهل البيان: من البلاغة حسن الابتداء، ويسمى براعة المطلع، وهو أن يتألق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحها مبنئاً، وأوضحها معنى وأخلاها من الحشو، والركعة والتعقيد، والتقديم والتأخير والملبس والذي لا يناسب، قالوا: وقد أتت فواتح السور من القرآن المجيد على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات، وحروف الهجاء، والنداء وغير ذلك، ويعتبر في مطلع القصيدة زيادة على ما ذكر أن لا يكون متعلقاً بما بعده من الأبيات، وأن يناسب بين قسميه أتم المناسبة، بحيث لا يكون أحد الشطرين أجنبياً عن الآخر لفظاً ومعنى، فإذا اجتمعت هذه الشروط في مطلع القصيدة، كان غاية في بابه، وقد نبه مشايخ هذا الفن، على أن ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيما يورده من كلامه في أربعة مواضع:-

أولها: المطلع؛ لأنه أول ما يقرع الأذن ويصافح الذهن، فإن كان حسناً جامعاً للشروط التي ذكروها في حسن الإبتداء، أقبل السامع على الكلام فوعي جميعه، وإن كانت حالة عن الضد من

(١) أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزرق، تقي الدين ابن حجة: إمام أهل الأدب في عصره، وكان شاعراً جيد الإنشاء، من أهل حماة (بسيورية) ولد ونشأ ومات فيها، أنظر (الأعلام للزركلي)، م ٢، ص ٦٧.
(٢) خزانة الأدب في غاية الإرب، ابن حجة الحموي، ج ١، ص ١٩.

ذلك، مجّه السمع، وزجّه القلب ونبت عنه النفس، وإن كان الباقي في غاية الحسن، والموضع الثاني: المخلص، والثالث: حسن الطلب، والرابع: الختام^(١).

ويقول أبو هلال العسكري^(٢) في كتابه الصناعتين: (وإذا كان الإبتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية إلى الإستماع لما يجيء بعده من الكلام، ولهذا المعنى يقول الله عز وجل: ألم. وحم. وطس. وطسم. وكهيعص، فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد، ليكون ذلك داعية لهم إلى الإستماع لما بعده والله أعلم بكتابه. ولهذا جعل أكثر الإبتداءات بالحمد لله، لأن النفوس تتشوف للثناء على الله فهو داعية إلى الإستماع، وقال رسول الله ﷺ: (كل كلام لم يبدأ فيه بحمد الله تعالى فهو أبت^(٣)).

ونحنا ابن رشيق^(٤) في كتابه [العمدة] إلى نفس الرأي بقوله^(٥): (وحسن الإفتتاح داعية الإنشراح ومظنة النجاح، لأنّه أول ما يقرع السمع، نحو قول إمرئ القيس^(٦):

قفنا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالنقاد القدامي يعتبرونه أفضل إبتداء صنعه شاعر، لأنّه وقف على الطلل وإستوقف الرفاق، وبكى وإستبكى، وذكر الحبيب في مصراع واحد، فالمقدمة هي جزء مهم من المتن الشعري؛ لهذا كانت بداية اشراق للنص كله تجذب انتباه المتلقى وتجعله يكمل القصيدة.

وبناء على ما ذكر أعلاه يمكننا أن نخلص إلى أن الشعراء كانوا يتوجهون إلى تدبيح مطالعهم لاهداف عندهم وليس فقط رغبة في التتميق وإظهار الفحولة.

الإستهلال وحسن المطالع عند يحيى الفاذني:

وفي قصيدة (قد أم للرسل) تُعد جيدة من حيث المطالع، ومن حيث معالجتها لموضوع القصيدة وهو مدح النبي ﷺ حيث تخلص الشاعر من وصف أرضه ونعت أهله الطيبين بنعوت الكرم والجود، وحسن الأخلاق وحفاظ العهد وكرم الضيافة، وجعل كل ذلك تمهيداً إلى مدح

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع-ع لي صدر الدين المدني- تحقيق شاكر هادي شكر- مطبعة النعمان العراق-ج ١-ط ١-١٩٦٨م-ص ٣٤-٣٥.
(٢) الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران العسكري، أبو هلال: عالم بالأدب، له شعر، نسبته إلى (عسكر مكرم) من كور الأهواز، من كتبه (التلخيص) في اللغة، و (معجم) في اللغة، و (جمهرة الأمثال) و (الحث على طلب العلم) رسالة، و (كتاب الصناعتين: النظم والنثر. أنظر (الأعلام للزركلي، ٢، ص ١٩٦)

(٣) كتاب الصناعتين، لإبي هلال العسكري-تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم-دار إحياء الكتب العربية-ط ١-١٩٠٢م-ص ٤٣٧.
(٤) الحسن بن رشيق القيرواني، أديب، نقاد، باحث، كان أبوه موالى الأزدي، ولد في المسيلة بالمغرب، وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) و(الشذوذ في اللغة). أنظر (الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ١٩١)

(٥) العمدة في صناعة محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني-تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- دار الجيل-بيروت لبنان-ط ٥-ج ١-١٩٨١م-ص ٢١٨.

(٦) تقدمت ترجمته ص ٢١.

النَّبِي ﷺ وصحبه الكرام ووصفهم بصفات المجد والشجاعة والإيمان، وسرد شيئاً من سيرة
النَّبِي ﷺ وجعل همَّ صحبه الكرام هو نصرة النَّبِي ﷺ وذلك في آخر القصيدة^(١):

وَأَمَّ فِي الْهَجْرَةِ الْأَنْصَارَ أَصْرَةً قَامَتْ عَلَى حُبِّ بَيْنِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
أَوْوَهُ إِذْ نَصَرُوا لِلْحَقِّ إِذْ جَعَلُوا كُلَّ الْحَيَاةِ لِدِينِ الْخَيْرِ لِلدُّوَلِ

وَاسْتَهْلَ الشَّاعِرُ يَحْيَى الْفَادَنِي قَصِيدَتَهُ [قَدْ أُمِّ لِلرَّسْلِ] بِالْدَّعَاءِ لِأَرْضِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالسَّقِيَا،
كَمَا كَانَ يَصْنَعُ الْفُحُولُ مِنَ الشُّعْرَاءِ، فَقَالَ^(٢):

سَقَى الْجَزِيرَةَ صَوْبُ الْعَارِضِ الْهَطْلِ وَجَادَتْ الْأَرْضُ ذَاتَ السَّلْمِ وَالْأَثَلِ
فَكَمْ تَغْنَتْ بِوَادِيهَا مُطَوِّقَةً وَرَقَاءُ تَشْدُو عَلَى غُصْنٍ نَدٍ خَضِلِ
قَامَتْ عَلَى سَاقِهَا تَدْعُو مُعْبِرَةً يَا سَاقَ حُرٍ بِلَحْنٍ مُطْرِبِ الثُّكُلِ
يَا سَاقَ حُرٍ بِلَحْنٍ مُطْرِبِ الثُّكُلِ فَالْحُنُّ يُحْسِنُ فِي الْأَبْكَارِ وَالْأُصْلِ

وهذا الشاعر لبيد بن ربيعة^(٣) يذكر الغيث والسقيا في مقدمة معلقته وذلك في قوله^(٤):

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلَّهَا فَمَقَامُهَا بِمَنْى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرَجَامُهَا
فَمَدَافِعُ الرِّيَّانِ غُرِّي رَسْمُهَا خَلَقًا كَمَا ضَمِنَ الْوُحْيِ سِلَامُهَا
دِمْنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أَنْبِيسِهَا حَجَجَ خَلَوْنَ حَالَهَا وَحَرَامُهَا
رُزِقْتُ مَرَايِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا وَذُقُّ الرُّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا

وأحياناً يأتي الدعاء بالسقيا في وسط القصيدة مثل رائعة القشيري^(٥) في قوله^(٦):

وَسِرْبٍ بَدَتْ لِي فِيهِ بَيْضُ نَوَاهِدْ إِذَا سُمْتُهِنَّ الْوَصْلَ أَمْسَيْنَ قُطْعَا
مَشَيْنَ اطِّرَادَ السَّيْلِ هَوْنًا كَأَنَّمَا تَرَاهُنَّ بِالْأَقْدَامِ إِذْ مَسْنَ ظُلْعَا
فَقُلْتُ: سَقَى اللَّهُ الْحَمَى دِيمَ الْحَيَا فَقُلْنَ: سَقَاكَ اللَّهُ بِالسُّمِّ مُنْقَعَا
وَقُلْتُ: عَلَيَكُنَّ السَّلَامُ فَلَا أَرَى لِنَفْسِي مِنْ دُونِ الْحَمَى الْيَوْمَ مَقْنَعَا

ويأتي الدعاء بالسقيا في آخر القصيدة، وهو الكثير الشائع ومثل ذلك معلقة الملك الضليل،
حيث ذكر المطر والسيل والرعد وكلها تدل على إنهمار الماء، وإن كان إمرئ القيس أعطاهَا

(١) ديوان صادق البان-يحي الفادني ص-٢٥.

(٢) المصدر السابق نفسه- ص ١٩.

(٣) تقدمت ترجمته ص ٥٨.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري- دار صادر- بيروت لبنان-ص ١٦٣.

(٥) تقدمت ترجمته ص ٩٧.

(٦) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري-جمعه وحققه د. خالد عبد الرؤوف الجبر- ص ١١٢.

دلالة جديدة وهي الحقد الدفين والغضب الثائر على بني أسد، الذين قتلوا أباه لذلك جعل الماء ينهمر بشدة والسيل يقتلع كل ما عاق طريقه يقول إمرئ القيس^(١) فيقول^(٢):

عَلَى قَطَنِ بِالشَّيْمِ أَيْمَنْ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّيَّارِ فَيَذُبُلِ
فَأُضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كُنَيْفَةٍ يُكْبُّ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَبِلِ

ونجد الشاعر السوداني الكبير محمد سعيد العباسي^(٣)، وهو يصف مدينة مليط، الكائنة غرب السودان، في إستهلال جميل قال^(٤):

حَيَّاكَ «مَلِيطُ» صَوْبُ الْعَارِضِ الْعَادِي وَجَادَ وَاذِيكَ ذَا الْجَنَّاتِ مِنْ وَادٍ
فَكَمْ جَلَوْتَ لَنَا مِنْ مَنْظَرٍ عَجَبٍ يُشْجِي الْخِلْيَ وَيُزَوِّي غُلَّةَ الصَّادِي
أَنْسَيْتَنِي بَرْحِ الْآمِي وَمَا أَخَذْتُ مِنْهَا الْمَطَايَا بِإِيجَافٍ وَإِخَادٍ

ولا ينفك الشاعر من ذكر دلالات الحياة المتمثلة في شجر السلم والأثل، الذي تنبتة المطر وهي مصدر الحياة لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ [يسن الآية: ٨٠].

إذا فالشاعر مولع بالثنائيات أو قل بالمتقابلات المتمثلة في [الماء والنَّار] وبين الطرب والتكل، وذلك في قوله^(٥):

قَامَتْ عَلَى سَاقِهَا تَدْعُو مُعْبِرَةً يَا سَاقَ حُرٍ بِلَحْنٍ مُطَرِبِ الثُّكُلِ

وساق حُرٍ: هي رمز الحمامة، والحمامة رمز للسلام، ورمز المرأة، كما غرد بعض العرب، وهذا النابغة يشبه المحبوبة بجناحي الحمامة في السمرة، وذلك للعلاقة، بين المرأة والحمامة من دلالات الخصب والنماء، فنلمس ذلك عند النابغة الذبياني^(٦) في وصفه للمتجردة إذ يقول^(٧):

تَجَلَّوْ بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيْكَةً بَرْدًا أَسِفَ لِنَثَائِهِ بِالْإِثْمِ
كَالْأَفْحْوَانِ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيَهُ وَأَسْفَلُهُ نَدِي

(١) تقدمت ترجمته ص ٢١.

(٢) ديوان إمرئ القيس- ضبطه وصححه الأستاذ مصطفى عبد الشافي- ص ١٢١.

(٣) تقدمت ترجمته ص ١٨.

(٤) ديوان العباسي، محمد سعيد العباسي، ص ٣٣.

(٥) المصدر السابق نفسه- ص ١٩.

(٦) تقدمت ترجمته ص ٣١.

(٧) ديوان النابغة الذبياني- شرح وتقديم عباس عبد الساتر - ص ١٠٨.

حسن الختام عند الشاعر يَحْيَى الفَادَنِي:

وفي حسن الختام: يقول^(١) الدكتور مختار عطية: (هي قدرة المتكلم على ختم كلامه شعراً كان أو نثراً، بأحسن الخاتمة؛ لأنها آخر ما يبقى في الأسماع، فيجب أن يجتهد المتكلم، في رشاقتها ونضجها)، ومن ذلك قول أبي نواس في محمد الأمين التي مطلعها^(٢):

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْيَّامُ ضَامَتِكَ وَالْأَيَّامُ لَيْسَ تُضَامُ
فَسَلِمْتَ لِلْأَمْرِ الَّذِي تُرْجَى لَهُ وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الْيَّامُ

وكقول أبي تمام في ختام قصيدته في فتح عمورية^(٣):

إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ
فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نُصِرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامِ بَدْرِ أَقْرَبِ النَّسَبِ
أَبْقَتْ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمِمْرَاضِ كَأَسْمِهِمْ صُفَرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ

ومن الشواهد في شعر يَحْيَى الفَادَنِي، على حسن الختام نجد ذلك في قصيدة (رباعيات) ختمها بالدعاء كما يصنع كبار الشعراء العرب، فدعا للسودان بأن يرزقه الله الحصن والأمان، ويزدهر وينمو فيه الإسلام^(٤):

وَأَرْزُقْ السُّودَانَ حِصْنًا مِنْكَ يَارَبَّ السَّمَاءِ وَأَجْعَلْ الْإِسْلَامَ فِيهِ فِي إِزْدِهَارٍ وَنَمَاءٍ
وفي قصيدة [مدحت طه] ختم يَحْيَى الفَادَنِي القصيدة بالصلاة والسلام على النبي المختار ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم، فدعا قائلاً^(٥):

صَلَّى عَلَيْهِ إِلَهُ الْعَرْشِ مَا بَرَقَتْ مِنْ الْوَصَالِ بُرُوقٌ مِنْ ثَنَائِهِ
مَعَ السَّلَامِ تَعُمُّ الْأَلْ أَجْمَعُهُمْ مَا رَدَدَ النَّاسُ فِي الْأَزْمَانِ ذِكْرَهُ

وختم الشاعر قصيدة [لا ترحلن] بالدعاء للمرثى البروفسور عبد الله الطيب فقال:

حَيَّاكَ رَبُّكَ عَبْدَ اللَّهِ مُرْتَحِلًا وَالْحُزْنَ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْجَفْنِ قَرَّاحُ

(١) علم البديع-دكتور مختار عطية-دار الوفاء-الإسكندرية ج مصر-٢٠٠٤م-ص٧٧.

(٢) ديوان أبي نواس-تحقيق إيفالد فاغتر- ج ٢- ص ٥٦٣.

(٣) ديوان أبي تمام-شرح التبريزي- ج ١- ص ٤٩.

(٤) ديوان صادق البان-يحيى الفادني-ص ١٠.

(٥) المصدر السابق نفسه-ص ٣٠.

المقابلة في شعر يحيى الفاذني:

تعريف المقابلة:

يقول صاحب جواهر البلاغة^(١): المقابلة هي أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠)﴾ (الليل الآية ٥-٨)

وكقوله تعالى: ﴿وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيَّاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف الآية ١٥٧)

وقال خالد بن صفوان يصف رجلاً: ليس له صديق في السر ولا عدو في العلانية، كقول الشاعر:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالْدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسُ بِالرَّجُلِ

وأما المقابلة عند شاعرنا يحيى الفاذني فتتمثل في [الطرب والشكل] في قوله:

قَامَتْ عَلَى سَاقِهَا تَدْعُو مُعْبِرَةً يَا سَاقَ حُرٍ بِلَحْنٍ مُطْرِبِ الثُّكُلِ
وَالطَّرِبُ دَلَالَةٌ عَلَى الْفَرْحِ وَالْكَرَمِ، وَالثُّكُلُ دَلَالَةٌ عَلَى الْحُزَنِ، وَهَذَا الشَّاعِرُ الْقَدِيمُ دَعْبِلُ الْخَزَاعِي يَقُولُ^(٢):

قَالَتْ سَلَامَةٌ: دَعْ هَذِي اللَّبُونُ لَنَا لَصِيْبَةٌ مِثْلَ أَفْرَاحِ الْقَطَا زُغْبَا
قُلْتُ: احْبِسِيهَا، فَفِيهَا مُنْعَةٌ لَهُمْ إِنْ لَمْ يُنْخِ طَارِقٌ يَنْغِي الْقَرَى سَغْبَا
لَمَّا احْتَبَى الضَّيْفُ وَاعْتَلَّتْ حُلُوبَتُهَا بَغَى الْعِيَالُ وَغَنَّتْ قِدْرُنَا طَرِبَا

وطرب القدر دليل على الكرم، ومن وجه آخر يدل على الحب فهذا الشاعر الكميّ^(٣) يشير بحب النبي ﷺ في مدحه^(٤):

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ وَلَا لَعِبًا مِنِّي وَدُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ
وَلَمْ يُلْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَنَزَلٍ وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّبُ
إِلَى النَّقْرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحُبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَابَنِي أَنْقَرَبُ

(١) جواهر البلاغة أحمد الهاشمي- ضبط وتدقيق الدكتور يوسف الصميلي- المكتبة العصرية- بيروت لبنان-ص ٣٠٤.

(٢) ديوان شعر دعبل الخزاعي- صنعة الدكتور عبد الكريم الأشر- مجمع اللغة العربية- دمشق سوريا- ط ٢- ١٩٨٣م- ص ٥٥-٥٦.

(٣) هو الكميّ بن زيد الأسدي، ويكنى أبا المستهل، وكان معلماً، يعلم الصبيان في مسجد بالكوفة، وكان الكميّ عدنانياً، وكان شديد التكلف في الشعر. أنظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٨١)

(٤) ديوان الكميّ الأسدي- جمع وشرح وتحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي- دار صادر- بيروت لبنان- ط ٢- ٢٠٠٠م- ص ٥١٢-٥١٥.

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَأَيُّنِي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ
والتُّكْلُ رمز للموت والتوجع والحزن، والشاعر الشماخ بن ضرار^(١) يصف رمحاً^(٢):
إِذَا أَنْبَضَ الرَّأْمُونَ عَنْهَا تَرْتَمَتْ تَرْتَمُ تَكْلَى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِرُ
قَدْوْفُ إِذَا مَا خَالَطَ الظَّنِّي سَهْمُهَا وَإِنْ رِيغَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِرُ
كَأَنَّ عَلَيَّهَا زَعْفَرَانًا تَمِيرُهُ خَوَازِنُ عَطَّارٍ يَمَانٍ كَوَانِرُ

يقول البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: أراد الشاعرُ يَحْيَى الْفَادَنِي أن يقول: إِنَّ الْحَيَاةَ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِهَا الْأَفْرَاحُ وَالْأَتْرَاحُ، وَمَضَى الشَّاعِرُ يَذْكُرُ الْمُتَقَابِلَاتِ فِي [الْعَمِّ وَالْخَوْلِ] حَتَّى فِي إِثْبَاتِ أَصْلِهِ وَنَسَبِهِ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ^(٣):

فَحَرَكْتُ لَحْنَهَا تُشْجِي الْخَلِيَّ بِهِ حَتَّى غَدَا بِدُمُوعِ الْوَالِيهِ الْعَزَلِ
وَأَسْمِعُ اللَّحْنَ هَمْسٌ فِيهِ يُفْهِمُنِي أَنَّ الْجَزِيرَةَ أَرْضُ الْعَمِّ وَالْخَوْلِ

وكذلك قابل الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي بَيْنَ [الطَرْدِ وَالْجَذْبِ] فِي قَوْلِهِ^(٤):
قَالَ دَارُ طَارِدَةٍ طَوْرًا وَجَاذِبَةٍ إِلَّا الْجِنَانُ فَقَدْ كَانَتْ لَمُعْتَمَلِ
وَالْعَرَبُ فِي قِيَمٍ مُثْلَى تُشْرِفُهُمْ حَتَّى غَدَا بِفَعَالٍ مَضْرَبِ الْمَثَلِ
الطَرْدُ يَدُلُّ عَلَى الْغَضَبِ وَالْإِسْتِضْعَافِ وَمُخَالَفَةِ الْقَوَانِينِ وَالْأَعْرَافِ،
وَدَلِيلُهَا الْإِسْتِحْقَارُ عِنْدَ الزَّرِيرِ سَالِمٍ^(٥) يَرِثِي كَلِيبًا قَالَ^(٦):

قَتِيلٌ مَا قَتِيلُ الْمَرْءِ عَمْرُو وَجَسَّاسٌ بُنْ مُرَّةً ذُو صَرِيرِ
كَأَنَّ التَّابِعَ الْمُسْكِينَ فِيهَا أَجِيرٌ فِي خُدَابَاتِ الْوَقِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُلِّيبِ إِذَا خَافَ الْمُغَارُ مِنَ الْمُغِيرِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُلِّيبِ إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجُرُورِ
عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كُلِّيبِ إِذَا مَا ضَمِيمٌ جَارُ الْمُسْتَجِيرِ

(١) هو مَعْقِلُ بْنُ ضَرَارٍ، وَهُوَ مِنْ أَوْصَفِ الشُّعْرَاءِ لِلْقُوسِ وَالْحُمْرِ، وَكَانَ الشَّمَاخُ جَاهِلِيًّا إِسْلَامِيًّا، وَقَالَ الْحَظِيئَةُ: أَبْلَغُوا الشَّمَاخَ، أَنَّهُ أَشْعَرُ غُطْفَانٍ أَنْظَرَ (الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ لِإِبْنِ قَتِيْبَةَ ص ٣١٥)

(٢) دِيَوَانُ الشَّمَاخِ بْنِ ضَرَارٍ الذُّبْيَانِيِّ-حَقَّقَهُ وَشَرَحَهُ صَالِحُ الدِّينِ الْهَادِي-دَارُ الْمَعَارِفِ-الْقَاهِرَةُ ج مِصْر-١٩٦٨م-ص ١٩١-١٩٤.

(٣) دِيَوَانُ صَادِحِ الْبَلَانِيِّ-يَحْيَى الْفَادَنِي-ص ١٩.

(٤) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ نَفْسُهُ-ص ٢٠.

(٥) تَقَدَّمَ تَرَجُمَتُهُ ص ٤٧.

(٦) دِيَوَانُ الْمَهْلَلِ بْنِ رَبِيعَةَ-شَرَحَ وَتَقَدَّمَ طَلَالُ حَرْبِ-ص ٤٠.

والجذب يدل على الرضى ومجالس البهجة وغيرها قال الشاعر الجاهلي الأعشى^(١) واصفاً مجلس الشراب^(٢):

فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الْحِيلُ
نَارَعَتْهُمْ قُضْبُ الرِّيحَانِ مُتَكِنًا وَقَهْوَةٌ مُرَّةٌ رَأَوْفُهَا خَضِيلُ
لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا ، وَهِيَ رَاهِنَةٌ إِلَّا بِهَاتِ ! وَإِنْ عَلَوْا وَإِنْ نَهَلُوا
يَسْعَى بِهَا ذُو رُجَاجَاتٍ لَهُ نُطْفٌ مُقْلِصٌ أَسْفَلَ السَّرْبَالِ مُعْتَمِلُ
وَمُسْتَجِيبٌ تَخَالُ الصَّنَجِ يَسْمَعُهُ إِذَا تُرَجِّعُ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضْلُ
مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ وَفِي التَّجَارِبِ طُولُ اللَّهْوِ وَالْعَزْلُ

إنَّ المعجم الإسلامي عند الشاعر يَخْيِي الْفَادِنِي لَا يَغِيب وَلَا يَخْمَلُ بل يتأجج لهيباً في كل قصيدة، هنا جاء بالكنايات [العزة القعساء] كناية عن العز والمجد القديم والمنيع، وكذلك جاء بكناية [صوت السماء] يقصد الوحي، مثل قوله^(٣):

أَرْضٌ حَبَاهَا إِلَهُ الْعَرْشِ رَهْبَتْهَا إِذْ كَانَتْ الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ فِي الْأَزْلِ
قَدْ صَاغَهَا اللَّهُ الْكَوْنُ مُسْمِعَةً صَوْتُ السَّمَاءِ بِمَا يَنْدَاخُ مِنْ رُسُلِ

يقول البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد، أتى الشاعر بتركيب إسلامي متمثلاً في [إله العرش وصوت السماء]، فلم يقل: [الله أو الرحمن] بل قال إله العرش وهو ينظر في ذلك إلى قول حسان بن ثابت رضي الله عنه، الذي جاء بتشبيهه بليغ، حيث شبه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كالسراج المنير الوهاج، وكذلك هو مثل السيف المهند المسلول اللامع، وطابق بين [أذنرنا ناراً] و[بشرنا جنّة] إذ يقول^(٤):

فَأَمْسَى سِرَاجاً مُسْتَتِيراً وَهَادِياً يُلَوِّحُ كَمَا لَاحَ الصَّقِيلُ الْمُهَنَّدُ
وَأُذْنَرْنَا نَاراً وَبَشَّرَ جَنَّةً وَعَلَّمَنَا الْإِسْلَامَ فَاللَّهُ نَحْمَدُ
وَأَنْتَ إِلَهُ الْخَلْقِ رَبِّي وَخَالِقِي بِذَلِكَ مَا عَمَرْتُ فِي النَّاسِ أَشْهَدُ

(١) هو ميمون بن قيس، من بني قيس، شاعر جاهلي حضر الإسلام ولم يسلم، كنيته أبو بصير، ولقب بالأعشى لعشاء في بصره، كان ألمع نجوم عكاظ، وكان أول من ركب الشعر، مات سنة ٦٢٩م. أنظر (موسوعة شعراء العصر الجاهلي)

(٢) ديوان الأعشى الكبير-تحقيق الدكتور محمد حسين-دار صادر-بيروت لبنان-١٩٨٣م-ص ٥٩.

(٣) ديوان صادق البان-يحيى الفادني-ص ١٩

(٤) ديوان حسان ابن ثابت-شرح وتقديم عبد أ علي مهنا- ص ٥٤.

وصوت السماء كناية عن القرآن الكريم، ينداح من رسل أي رسل ربك إلى أهل الأرض بالخير والشرائع، وأنظر إلى كلمة [ينداح] تكشف لك عن معنى السهولة والعذوبة وارضى التام عما حمله الرسل لأهل الأرض.

ثم ينتقل الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي ويتحدث عن أخلاق أهل الجزيرة العربية، مستصحباً معه القيم والمثل القديمة، من حفظ الجار وإكرام الضيف والوفاء بالعهد وأنهم جُبِلُوا على ذلك قال^(١):

لَا تَلْفَيْنَ عَمِيداً غَيْرَ ذِي كَرَمٍ	فَالْجُودُ وَاقِيَةٌ لِلْعَرَضِ مِنْ دَخَلٍ
وَالْجَارُ يَرْعَوْنَهُ فِي سَاحِهِمْ فَيَرَى	فِيهَا النَّدى وَجَمِيلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ
يُوفُونَ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ جُلُومُ	شَأْنُ الْجِبَالِ تُسَامَى السَّهْلِ بِالْقَلَلِ
تَنْظُلُ تَرْفَعُ سَادَاتٍ فَضَائِلُهُمْ	كَأَنَّهُمْ جُبِلُوا عُطْلاً عَنِ الْخَلَلِ

لقد نظر شاعرنا يَحْيَى الْفَادَنِي، في هذه الأبيات إلى كلمة مروان بن أبي حفصة^(٢) وهذه القصيدة تُعد أجود ما قاله في [اللامية] التي فُضِّلَ بها على شعراء زمانه وكانت في معن بن زائدة فأجازه عليها بـمال عظيم، ومن شعره في [اللامية] هذه الابيات التي يقول فيها^(٣):

بُنُو مَطَرٍ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَأَنَّهُمْ	أُسُودٌ لَهَا فِي غِيَلٍ خَفَّانٍ أَشْبُلُ
هُمْ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا	لِجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَائِكَيْنِ مَنْزِلُ
بَهَائِلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ	كَأُولِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دَعُوا	أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطَوْا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا
مَا يَسْتَطِيعُ الْفَاعِلُونَ فِعَالَهُمْ	وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي النَّائِبَاتِ وَأَجْمَلُوا

وجاءت المفردات اللغوية في غاية الجودة والفصاحة المتمثلة في كلمة [لا تلفين] أي لا تجد، وكما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ^٤﴾ [يوسف الآية: ٢٥].

وَالدَّخْلُ: الأمر الغير واضح، والقَلَل: هي رؤوس الجبال، والطَّيْل: يعني طول العهد، وإستخدام الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي لهذه المفردات الجميلة،

(١) ديوان صادق البان يحيى الفادني-ص-٢٠.

(٢) هو ابو الكمر مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، كان مولى لمروان بن الحكم، وكان يهوديا فأسلم على يد سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، وتولى الخزن لبني أمية، وهو من المُجَبِّدين للشعر، .أنظر (طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٢)

(٣) ديوان مروان بن أبي حفصة-جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان-ط-٣-دار المعارف-القاهرة ج مصر-ص-٨٨-٨٩.

يدل على سعة مفرداته وغازاتها، وإقذاره على حشدها، وهذه المفردة الأخيرة وردت في رائعة إمرئ القيس^(١) يقول^(٢):

لِمَنْ طَلَّ بَيْنَ الْجَدْيَةِ وَالْجَبَلِ مَحَلَّ قَدِيمِ الْعَهْدِ طَالَتْ بِهِ الطَّيْلُ
عَفَا غَيْرَ مُرْتَادٍ وَمَرَّ كَسْرَحِبٍ وَمُنْخَفِضِ طَامٍ تَتَكَّرَ وَاضْمَحَلَّ
وَزَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ عَنْهُ فَأَصْبَحَتْ عَلَى غَيْرِ سُكَّانٍ وَمَنْ سَكَنَ ارْتَحَلْ
تَنْطَحَ بِالْأَطْلَالِ مِنْهُ مُجَلِّجٌ أَحْمُ إِذَا اَحْمَوْتِ سَحَائِبُهُ انْسَجَلْ

الطَّبَاقُ فِي شَعْرِ يَحْيَى الْفَادَنِيِّ:

جاء في جواهر البلاغة^(٣) للهاشمي: (الطباق: هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى، وهما قد يكونان اسمين، نحو:

قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ﴾ (الكهف الآية: ١٨)

أو فعلين قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤)﴾ (النجم الآية ٤٣-٤٤)

أو حرفين نحو قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ اللّٰذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة الآية ١٢٨)

أو مختلفين نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٦)﴾ (الزمر الآية ٣٦)

وطابق الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِيُّ بين [الموت والحياة] وذلك في قوله^(٤):

أَوْ كَانَ بِالْعَدْرِ بَيْنَ النَّاسِ مُنْتَبِذًا لَا حَبْدًا مَيِّتٌ لَمْ يَحْيَ فِي الْأَوَّلِ
لَمْ يَحْيَ بِالذِّكْرِ إِنَّ الذِّكْرَ قَدْ عَمَرَتْ بِهِ الْقُرُونُ الْإِلَى كَانُوا عَلَى مَثَلِ

وإستخدم الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِيُّ الطباقات الحسنة وطابق بين [العلم والعمل]

وهو طباق الإيجاب في مثل قوله^(٥):

وَأَمَّ فِي الْهَجْرَةِ الْأَنْصَارَ أَصْرَةً قَامَتْ عَلَى حُبِّ بَيْنِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
قَدْ كَذَّبُوهُ بِمَا قَدْ جَاءَ يُنْذِرُهُمْ وَقَابَلُوهُ بِقَوْلٍ قَطُّ لَمْ يُقَلِّ

وأما استخدام الشاعر للطباق السلبي نجده في قوله [محتفل وغير محتفل]:

فَقَتْلَكَ أَخْلَاقَهُمْ وَالْحِلْمُ سَيِّدُهَا طَابَتْ لِمُحْتَقِلٍ أَوْ غَيْرِ مُحْتَقِلٍ

(١) تقدمت ترجمته ص ٢١.

(٢) ديوان إمرئ القيس-تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ص ٤٦٧.

(٣) جواهر البلاغة-أحمد الهاشمي-ضبط وتدقيق الدكتور يوسف الصميلي- ص ٣٠٣.

(٤) ديوان صادق البان يحيى الفادني -ص- ٢١.

(٥) المصدر السابق نفسه- ص- ٢٣.

ولقد طابق يَحْيَى الْفَادَنِي بين [الكرم والبخل] في قوله: غير ذي كرم، فالجود واقية، وبين القول والعمل، وبين السهل والجبل في قوله:

لَا تَلْفَيْنَ عَمِيداً غَيْرَ ذِي كَرَمٍ فَالْجُودُ وَاقِيَةٌ لِلْعَرَضِ مِنْ دَخَلٍ

التكرار في شعر يَحْيَى الْفَادَنِي:

التكرار لغة قال ابن منظور في لسان العرب^(١): الْكَرُّ: الرجوع، يقال: كَرَّهَ وَكَرَّرَ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى، وَالْكَرُّ مَصْدَرُ كَرَّرَ عَلَيْهِ يَكُرِّرُ كَرًّا، وَالْكَرُّ: الرجوع على الشيء، و منه التَّكْرَارُ قال الجوهري: كَرَّرْتُ الشَّيْءَ تَكْرِيرًا وَتَكَرَّرًا. التكرار في الاصطلاح: تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعاني متعددة كالتوكيد، والتهويل، والتعظيم، وغيرها.

وإمتاز شعر يَحْيَى الْفَادَنِي بتكرار بعض المفردات لتأكيد المعنى، وهذا ضرب من ضروب البلاغة، وهذا الضرب سلكه كبار الشعراء، والشاعرة ليلى الأخيلية^(٢) قالت^(٣):

إِذَا هَبَطَ الْحَجَّاجُ أَرْضاً مَرِيضَةً تَتَّبَعَ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ الَّذِي بِهَا غُلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ سَقَاهَا

هنا كررت الشاعرة ليلى الأخيلية كلمة [شفاهها، شفاها]، ونجد التكرار كذلك للفعل الناقص [كان] للتوكيد، وذلك في قول الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي^(٤):

كَانَ الْحِجَازُ وَقَدْ طَابَتْ مَسَارِحُهُ لِكُلِّ ذِي أَدَبٍ سَامٍ وَلَمْ يُطْلِلِ
كَانَ الْمَنَارُ مَنَارُ الْكَوْنِ يُرْشِدُهُ وَالْغَرْبُ فِي جَهْلِهِ أَوْ بَعْدُ لَمْ يَزَلِ

وكرر الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي الفعل الناقص [كان] في موضع آخر من القصيدة وهو يحكي شمائل خير البشر النَّبِيِّ ﷺ قال^(٥):

كَانَ لِكُلِّ الْكَوْنِ مَنْ جُمِعَتْ فِيهِ الْخِصَالُ عَلَى أَبْهَى مِنَ الْخَلَلِ
كَانَ الْمَعِينُ فَكُلُّ مَنْهُ مُعْتَرِفٌ شَتَّى الصِّفَاتِ وَقَدْ جُمِعْنَ فِي رَجُلٍ

وكرر الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي كلمة [شتى] ليبين الفرق بين الأمرين كقوله:

(١) لسان العرب، لابن منظور، م ٥ ص ١٣٥.

(٢) هي ليلى بنت الأخيل، من عقيل بن كعب، وهي أشهر النساء، لا يقدم عليها غير خنساء، كانت هاجت النابغة الجعدي، ورثت سيدنا عثمان بن عفان، وسألت الحجاج أن يحملها إلى قتيبة بن مسلم بخمرسان، فحملها على البريد، وماتت بساوة. أنظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٤٤٨).

(٣) ديوان ليلى الأخيلية- تحقيق وشرح الدكتور واضح الصمد- دار صادر- بيروت لبنان- ط ٢- ٢٠٠٣ م ص ٨٨-٨٩.

(٤) ديوان صادق البان- يحيى الفادني ص- ٢٣.

(٥) المصدر السابق نفسه- ص ٢٤.

كَانَ الْمَعِينُ فَكُلُّ مِنْهُ مُعْتَرِفٌ شَتَّى الصِّفَاتِ وَقَدْ جُمِعْنَ فِي رَجُلٍ
يَزْمُونَ بِالسِّحْرِ مَنْ أَعْطَاهُ خَالِفُهُ شَتَّى الْهَبَاتِ بَرِيَّاتٍ مِنَ الْعَلَلِ

ونجد التكرار كذلك في قصيدته [المعلمون]، والتكرار جاء به الشاعر من أجل التوكيد والمدح، فكرر التحية وذلك للإهتمام بهذه الطبقة السامية فقال^(١):

حي الرجال وقد أنضوا شبابهم حتى غدوا بجميل العزم أطوادا
حي الرجال وقد أفنوا زمانهم لخدمة النشئ تعليماً وإرشادا

الجناس في شعر يَحْيَى الْفَادَنِي:

جاء في جواهر البلاغة: (ويقال له التجنيس، والتجانس، والمجانسة، ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى، ووازي مصنوعه مطبوعه، مع مراعاة النظير، وتمكن القرائن، فينبغي أن ترسل المعاني على سجيته لتكتسي من الألفاظ ما يزينها، حتى لا يكون التكلف في الجناس مع مراعاة الإلتزام)^(٢). وبملاحظة ما قدمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والإصغاء إليه؛ لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه.

وجانس الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي بين مفردتين [أفنوا، وأنضوا] في قوله:

حي الرجال وقد أنضوا شبابهم حتى غدوا بجميل العزم أطوادا
حي الرجال وقد أفنوا زمانهم لخدمة النشئ تعليماً وإرشادا

اللغة والمفردة الجميلة في شعر يَحْيَى الْفَادَنِي:

إمتاز الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي بحسن اللفظ والمفردة ونصاعتها، وقوة العبارة وجودة اللغة، وتوظيف الدلالة توظيفاً موفقاً، وسعة البلاغة المتمثلة في التشبيهات. ونجد اللغة من أهم العناصر الأساسية التي يعتمد عليها الشاعر في بناء القصيدة الشعرية وتركيبها، ففي البناء اللغوي تتضح جودة الأداء الشعري، واللغة الشعرية كائنٌ حيٌّ في عمق الشاعر ووجدانه يعبر بها من خلالها عما يدور بخلده.

وإستخدام الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي مفردة [شدة الطَّوْل] في قوله^(٣):

(١) ديوان صادق البان-يحيى الفادني ص ٦٦.

(٢) جواهر البلاغة-أحمد الهاشمي-ضبط وتدقيق الدكتور يوسف الصميلي- ص ٣٢٥.

(٣) ديوان صادق البان-يحيى الفادني- ص ٢٠.

تُلْقِي بِأَعْدَائِهَا أَوْ كُلَّ طَاغِيَةٍ كَمَا تَنَالُ بِمُلْقِي شِدَّةِ الطَّوْلِ

وإستخدم يَحْيَى الْفَادِنِي مفردة [الْقُلْ] وهي بمعنى رؤوس الجبال في قوله^(١):

يُؤْفُونَ بِالْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ جُلُومَ شَأْنُ الْجِبَالِ تُسَامَى السَّهْلِ بِالْقُلْ

حيث سلك الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي مسلك الشاعر الجاهلي إمرئ القيس^(٢)، يقول^(٣):

أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ وَأَمَرْتُ تَرْغَزُ مِنْهُ الْقُلْ

لِقَتْلِ بَنِي أَسَدٍ رَبَّهَا أَلَا كُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ جَلْ

ونكر الشاعر الجاهلي إمرئ القيس [القِلَال]، في موضع آخر، بوصفه [ليلي] بالماء العذب

المنحدر من أعالي الجبال، فهو من الصفاء والبرودة بمكان فقال^(٤):

وَمُوشِّرٍ عَذْبٍ مَذَاقُتُهُ بَرْدُ الْقِلَالِ بِذَائِبِ النَّخْلِ

وإستخدم الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي مفردة [الطَّيْل] و[الإخلاف] في قوله^(٥):

وَأَقْبَحُ الدَّمِّ فِي عِرْضٍ إِذَا نَبَذُوا نَبْذًا يَشِينُ عَلَى الْأَيَّامِ وَالطَّيْلِ

مَنْ قِيلَ ذَلِكَ بَخِيلٌ أَوْ بِهِ عَوَجٌ مِثْلَ الَّذِي ذَكَرَ الْإِخْلَافَ فِي الرَّجْلِ

وجاء الشاعر بمفردة جميلة وهي [القَعَسَاء] بمعنى عزة ممتنعة ثابتة فقال^(٦):

أَرْضٌ حَبَاهَا إِلَهُ الْعَرْشِ رَهْبَتُهَا إِذْ كَانَتْ الْعِرْزَةُ الْقَعَسَاءُ فِي الْأَزْلِ

من قبل قال الشاعر الشيخ أبو إسحق إبراهيم القيراطي^(٧) [رحمه الله]، يمدح

فيها سيدنا علي ابن أبي طالب زوج فاطمة بنت محمد الرسول ﷺ ورضي الله

عنها وعن زوجها^(٨):

ثُمَّ زَوْجِ الْبَثُولِ ذَلِكَ عَلِيٍّ ذِي الْمَعَالِي وَالْعِرْزَةِ الْقَعَسَاءِ

وكذلك إستعمل الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي مفردة [العيس] وهي نوع من الإبل، الذي يخالط بياضه

شُقْرَةً، والأعيس الكريم منها، والجمع: عِيسٌ حيث قال^(٩):

(١) ديوان صادق البان-يحي الفادني- ص ٢٠.

(٢) تقدمت ترجمته ص ٢١.

(٣) ديوان إمرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- ص ٢٦١.

(٤) المصدر السابق نفسه- ص ٢٠٤.

(٥) ديوان صادق البان-يحي الفادني- ص ٢١.

(٦) المصدر السابق نفسه- ص ١٩.

(٧) إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر الطائي، برهان الدين القيراطي، شاعر من أعيان القاهرة، ولد سنة (٧٢٦ هـ = ١٣٢٦ م)،

اشتغل بالفقه والأدب، وجاور بمكة فتوفي فيها، له ديوان شعر سماه (مطلع النيرين) ومجموع أدب اسمه (الوشاح المفصل)، مات سنة (٧٨١ هـ = ١٣٧٩ م). أنظر (الأعلام للزكلي ج ١ ص ٤٩)

(٨) المجموعة النبهاية للعلامة يوسف النبهاية- ج ١، ص ١٥٥.

(٩) ديوان صادق البان-يحي الفادني- ص ١٥.

يَا حَادِي الْعِيسِ كَمْ بِاللَّهِ قَدْ سَهَرْتُ مِنْهَا الْعُيُونُ وَأَدْمَى بَرْكُهَا الشَّنَنَا

وكلمة [العيس] هي مرادف الأبل، تستخدم كثيراً عند شعراء المتصوفة،

ومن قبل نجد الشيخ الشاعر والأديب يوسف بن إسماعيل النبهاني^(١) قال^(٢):

كَمْ دُونَ طَيْبَةٍ مِنْ فَرَسِيخٍ وَشَوَامِيخٍ تَتَلَوُ شَوَامِيخٍ
فَأَزَحَلْ بِعِيسٍ لَا يُرَى فِيهَا لَدَى الْفَلَوَاتِ رَابِيخٍ
حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّداً حَيْثُ الْعُلَا وَالْمَجْدُ بَاذِيخٍ

التشبيه في شعر يَحْيَى الْفَادَنِي:

للتشبيه^(٣): روعة وجمال، وموقع حسنٌ في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وإدناؤه البعيد من القريب، يزيد المعاني رفعة ووضوحاً ويكسبها جمالا وفضلا، ويكسوها شرفا وثبلا، فهو فن واسع النطاق، فسيح الخطو، ممتد الحواشي مُتَشَعِب الأطراف مُتَوَعِر المسلك، غامض المدرك، دقيق المجرى غزير الجدوى.

التشبيه: لغة التمثيل، قال: هذا شبه هذا، ومثله.

وإصطلاحاً: عقد مماثلة بين أمرين، أو: أكثر، قصد اشتراكهما في صفة: أو أكثر، بأداة: لغرض يقصد المتكلم للعلم.

وإستخدم الشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي التشبيهات في شعره، فشبه الكتابب بالسيل الهادر مثل قوله^(٤):

أَجَلْتُ كِتَابَهُمْ لِلْكَفْرِ مَاحِقَةً كَمَا دَهَى السَّيْلُ دِينَ الْفُرسِ فِي الْمَلِ

وكذلك شبه الكفار كالعير التي لم تصل إلى المورد خوفاً من كتائب الإسلام في قوله^(٥):

قَدْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ لَكِنَّهُمْ وَقَفُوا كَوْفَةَ الْعَيْرِ عِنْدَ الْوَرْدِ لَمْ يَصِلِ

(١) يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، شاعر، أديب، من رجال القضاء، نسبته إلى «بنى نيهان» من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية «إجزم» - بصيغة الأمر، التابعة لحيفا في شمالي فلسطين. وبها ولد (١٢٦٥ هـ = ١٨٤٩ م) وتعلم بالأزهر بمصر، وذهب إلى الأستانة، ومات سنة (١٣٥٠ هـ = ١٩٣٢ م). أنظر (الأعلام للزركلي ج ٨ ص ٢١٨).

(٢) المجموعة النبهانية في المديح النبوي-العلامة يوسف النبهاني- ص ٦١٦.

(٣) جواهر البلاغة أحمد الهاشمي-ضبط وتدقيق الدكتور يوسف الصميلي- ص ٢١٩.

(٤) ديوان صادق البان يحيى الفادني- ص ٢٣.

(٥) المصدر السابق نفسه- ص ٢٣.

وأيضاً شبه يَحْيَى الْفَادِنِي أصحاب النَّبِيِّ بالطيب الذي يفوح عطراً،
لأنَّهم نشروا الإسلام والعقيدة الإسلامية في جميع أرجاء العالم، ففاح عبق
الإسلام في قوله:

سَادُوا فَجَادُوا بِمَا أَعْطَتْ عَقِيدَتُهُمْ كَالطَّيِّبِ عُطْراً لِلْأَرْجَاءِ فِي عَجَلٍ
ويشبه الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي علو البروفسور بعلو النجم، وأنَّ نجمه الوقاد تناهى، لتتلاشى
دونه كل النجوم في قوله^(١):

تَرَبَّعَ فَوْقَ بُرْجِ الْعِلْمِ يَغْلُو عَلَى الْأَقْرَانِ فِي سَبْقِ الرَّشِيدِ
تَنَاهَى نَجْمُهُ الْوَقَادُ بُغْدَاً لِيَخْسَى نُورُهُ بَصَرَ الْبَعِيدِ
لَأَنَّ الرَّبَّ أَقْدَرَهُ لِعِلْمٍ بِسْمِكَ لَيْسَ يُدْرِكُ بِالْجُهُودِ
سَمًا مِنْ دَامِرِ الْمَجْذُوبِ نَجْمَاً يَكَادُ يَكُونُ مِنْ أَفْقِ الشُّهُودِ

يقول البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد: (ودرج الشعراء على تشبيه المرثي بالنجم
والهلال في الرفعة والسمو، كما صنع شاعرنا يَحْيَى الْفَادِنِي سيراً على طريقة الشعراء الكبار،
وهذا أبو تمام يشبه المرثي بالنجم والهلال و ذلك في قوله^(٢)):

تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمُراً فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُندُسٍ خُضِرُ
كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَقَاتِهِ نُجُومُ سَمَاءٍ حَرٌّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ

ومن التشبيهات التي وردت في ديوان الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي كالعود محترقاً، والنشر منتشق
في قصيدة [المعلمون] جاء فيها^(٣):

كالعود محترقاً والنشر منتشق فلا زمان إذا فارقتم عاد

الإستعارة في شعر يَحْيَى الْفَادِنِي:

قال السيد علي صدر الدين المدني: (إعلم أَنَّ الكلام في الإستعارة وأنواعها مما أطلق
البيانون فيه أعنة الأقلام، حتى أفردها بعضهم بالتأليف، قالوا: زَوْجُ الْمَجَازِ بِالتَّشْبِيهِ فتولد بينهما
الإستعارة، فهي مجاز علاقته المشابهة، ويقال في تعريفها: اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه
الأصلي، كأسد في قولنا: رأيت أسداً يرمي، فأسد إستعارة؛ لأنَّه لفظ إستعمل في شجاع شبه

(١) ديوان صادق البانيجي الفادني- ص ٤٢.

(٢) ديوان أبي تمام- شرح التبريزي- ج ٢- ط ٢- ص ٢١٩.

(٣) ديوان صادق البانيجي الفادني- ص ٦٦.

بالأسد الذي هو الحيوان المفترس، وكثيراً ما تطلق الإستعارة على فعل المتكلم، أعني إستعمال اسم المشبه به في المشبه، فيكون بمعنى الصدر ويكون المتكلم مستعيراً، والمعنى المشبه به مستعاراً منه، والمعنى المشبه مستعاراً له، واللفظ المشبه به مستعاراً^(١).

وقال بعضهم: حقيقة الإستعارة، أن تُستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي، أو إيضاح الظاهر الذي ليس بجلي، أو حصول المبالغة أو المجموع، ومثال إظهار الخفي في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾ (الزخرف الآية ٤)

فإن حقيقة: وأنه في أصل الكتاب، فاستعير لفظ الأم للأصل، لأن الأولاد تنشأ من الأم، كما تنشأ الفروع من الأصول، وحكمة ذلك تمثل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً، فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان، وذلك أبلغ في البيان).

جاءت الإستعارة في شعر يَحْيَى الْفَادِنِي في قصيدة [المعلمون]، حيث جاء بالإستعارة في [صروح المجد شامخة]، وكأنَّ المعلمين يبنون في الطلاب صروحاً من المجد والعزَّ بالعلم عالية شامخة كشموخ الجبال، جاء في قوله^(٢):

تبنون فيهم روح المجد شامخة لن يبلغ المجد من لم يسع إixادا
وَإِسْتَدْعَمَ كَذَلِكَ الشَّاعِرُ يَحْيَى الْفَادِنِي الْإِسْتِعَارَةَ فِي شَعْرِهِ فِي قَوْلِهِ [بِرِيَّاتٍ
مِنَ الْعِلَلِ]، أي ليس بهباته عجزٌ ولا مرضٌ، كيف يكون بها عجزٌ أو مرضٌ
وهي عطية من عند الله، قال الشاعر:

يَزْمُونُ بِالسِّحْرِ مَنْ أَعْطَاهُ خَالِقُهُ شَتَّى الْهَبَاتِ بِرِيَّاتٍ مِنَ الْعِلَلِ

التقسيم في شعر يَحْيَى الْفَادِنِي:

يقول السيد صدر الدين المدني^(٣): (التقسيم في اللغة: التجزئة والتفريق، وفي الاصطلاح على نوعين: أحدهما: أن يذكر قسمة ذات جزئين أو أكثر، ثم يضيف إلى كل واحد من الأقسام ما يليق به، ومثال ما ذكره الشاعر الجاهلي المتلمس الضبعي^(٤) الذي قال^(٥):

(١) أنوار الربيع في أنواع البديع-علي صدر الدين المدني-تحقيق شاکر هادي شکر- ج ١- ص ٢٤٣.

(٢) ديوان صادق البان-يحيى الفادني-ص ٦٧.

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع-علي صدر الدين المدني-تحقيق شاکر هادي شکر- ج ١- ص ٣٤-٣٥.

(٤) المتلمس ويسمى المتلمس الضبعي، شاعر جاهلي، واسمه جرير بن عبدالمسيح الضبعي وقيل جرير بن عبدالعزى، من قبيلة ضبيعة إحدى قبائل ربيعة. أنظر (الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٧٩)

(٥) ديوان المتلمس الضبعي-تحقيق حسن كامل الصيرفي-جامعة الدول العربية-١٩٧٠م- ص ٢٠٠.

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُسَامُ بِهِ إِلَّا الْأَذَلَّانِ عَيْرُ الْأَهْلِ وَالْوَتِدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَمَا يَرِثِي لَهُ أَحَدُ

حيث ذكر العير والوتد، ثم أضاف إلى الأول الربط مع الخسف، وإلى الثاني الشج، وهذا الشاعر العباسي ربعة الرقي^(١) قال^(٢):

لَشَتَّانِ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى يَزِيدُ سُلَيْمٍ وَالْأَعْرَ ابْنِ حَاتِمِ
يَزِيدُ سُلَيْمٍ سَالِمِ الْمَالِ وَالْفَتَى أَخُو الْأَزْدِ لِلْأَمْوَالِ غَيْرُ مُسَالِمِ
فَهُمُ الْفَتَى الْأَزْدِي إِتْلَافَ مَالِهِ وَهُمْ الْفَتَى الْقَيْسِي جَمْعُ الدَّرَاهِمِ

ولقد إمتاز شعر يَحْيَى الْفَادَنِي بحسن التقسيم، وحسن التقسيم: هو تقسيم البيت إلى جمل متساوية في الطول والإيقاع، ويأتي في الشعر فقط، وذلك في قوله^(٣):

كَانَتْ مَنَاقِبُ تَقْفُوهَا مَثَالِبُهَا كَالْوَادِ وَالنَّارِ وَالْأَزْلَامِ وَالْخَطَلِ
أَوْ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ يَحْيَى الْفَادَنِي فِي مَدْحِ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ^(٤):

خَطُّوا الْمِثَالَ لِحُكْمِ الْأَرْضِ فَأَعْتَدَلَتْ بِقُوَّةِ الشَّرْعِ وَالْإِيمَانِ وَالْمُثُلِ

المبالغة في شعر يَحْيَى الْفَادَنِي:

تعريف المبالغة:

قال السيد صدر الدين المدني: (إختلف أرباب البديع في عدِّ المبالغة من المحسنات في الكلام، فذهب قوم إلى أنها مردودة مطلقاً، لا تعد من المحسنات أصلاً، وأنَّ خير الكلام ما خرج مخرج الحق، وجاء على منهج الصدق)^(٥)، كما يشهد له قول^(٦) حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وَأِنَّمَا الشَّعْرُ لُبُّ الْمَرْءِ يَغْرِضُهُ عَلَى الْمَجَالِسِ إِنْ كَيْسًا وَإِنْ حُمْقًا
وَإِنْ أَشْعَرَ بَيَّتَ أَنْتَ قَائِلُهُ بَيَّتَ يُقَالُ إِذَا أَنْشَدْتَهُ صَدَقًا

(١) ربعة بن ثابت بن لجأ بن العيذار الأسدي، أبو ثابت - أو أبو شبانة - الرقي: شاعر غزل مقدم، كان ضريراً. يلقب بالغاوي. عاصر المهدي العباسي ومدحه بعدة قصائد. وكان الرشيد يأنس به وله معه ملح كثيرة. مولده ومنشأه في الرقة (على الفرات، من بلاد الجزيرة). أنظر (الأعلام للزركلي ص ١٦)

(٢) ديوان ربعة الرقي صنعه زكي ذاكر العاني-وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دمشق سوريا-١٩٨٠ ص ٦٠.

(٣) ديوان صادق البان-بحي الفادني-ص ٢٢.

(٤) المصدر السابق نفسه-ص ٢٤.

(٥) أنوار الربيع في أنواع البديع-علي صدر الدين المدني-تحقيق شاكر هادي شكر -ج ١- ص-٢٩٨.

(٦) ديوان حسان ابن ثابت--شرح وتقديم عبد أ مهنا- ص ١٧٤.

وذهب آخرون إلى أنها مقبولة مطلقاً، بل الفضل مقصور عليها؛ لأن أحسن الشعر أكذبه، وخير الكلام ما بولغ فيه، ومن فقراتهم المستعذبة قولهم في الشعر، أعذبه أكذبه، ولهذا إستدرك النابغة على حسان قوله^(١):

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَفْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

حيث إستعمل جمع القلة[أعني الجففات والأسياف] وذكر وقت الصحوه وهو وقت تناول الطعام، وقال: يَفْطُرْنَ دون يَسْلُنَ، وَيَقْضُنَ، أو نحو ذلك، وإستخدام شاعرنا يَحْيَى الْفَادِنِي أوزان المبالغة كذلك، يقول البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد:(والذي يلاحظ أن الشاعر في هذه القصيدة[لا ترحلن])، أتى بأوزان المبالغة للدلالة على رفعة المرثي وهذه الجموع هي[مغلاق، قرّاح، قذّاح]حيث يقول^(٢):

تَقُكُ مِغْلَاقَ مُغْتَاضٍ بِفَهْمِكُمْ فَذَهْنُكُمْ قَبْلُ يَا مَوْلَايَ قَدَّاحُ
حَيَّاكَ رَبُّكَ عَبْدَ اللَّهِ مُرْتَحِلًا وَالْحُزْنَ مِنْ بَعْدِكُمْ لِلْجَفْنِ قَرَّاحُ

الأسلوب الحواري عند الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي:

تعريف الحوار:

يقول البروفسور محمد سعيد حسين مرعي:(عرّف الحوار على نحو عام بأنه: تبادل الكلام بين اثنين أو أكثر، أو أنه نمط تواصل حيث يتبادل ويتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي، وإذا ما تأملنا تعاريف أخرى فلا نجد لها تخرج عن هذا الإطار، بيد أن ما ورد لم يكن تعريفاً جامعاً شاملاً ذلك؛ بأنه أغفل نوعاً من الحوار مهماً وشائعاً وله جذور ضاربة في القدم، ولا سيما في الشعر ذلك ما يدعى بالحوار مع النفس، ويصطلح عليه بـ [المونولوج] أو الحوار الداخلي، حيث لا يشترط مشاركة خارجية في الحوار، ولا تعاقب في الإرسال والتلقي، بل يلقي من طرف واحد و إليه، فهو[نشاط أحادي لمرسل في حضور مستمع حقيقي أو وهمي]^(٣).

يحاوّر الشاعر نفسه عندما يجد حاجة ملحة لذلك نتيجة للصراع الذي ألمّ به والناشئ عادة، من بعد الأحبة لرحليهم، فيلجأ إليه، لتقديم الحالات النفسية التي تتم في وعيه الخاص، يقول الشاعر إمرئ القيس^(٤):

(١) ديوان حسان ابن ثابت--شرح وتقديم عبد أ مهنا- ص ٢١٩.

(٢) ديوان صادق البان-يحي الفادني-ص

(٣) كلية التربية للبنات- مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية-العدد ٢-السنة ٢٠٠٧م.

(٤) ديوان إمرئ القيس - تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل- ص ٥٦.

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرَا
كَنَانِيَّةً بَانَتْ وَفِي الصَّدْرِ وَدُهَا
بَعَيْنِي ظَعْنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا
فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ لَمَّا تَكَمَّشُوا
وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوٍّ فَعَزَّعَرَا
مُجَاوِرَةً غَسَّانَ وَالْحَيَّ يَغْمُرَا
لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاحِ مِنْ جَنْبِ تَيْمُرَا
حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرَا

ويتوجه امرؤ القيس بحواره إلى بعض مكونات الطبيعة المتحركة من الحيوانات النافرة التي

ألفها من خلال رحلاته المتكررة، ومن ذلك محاورته للذئب إذ يقول^(١):

وَمَاءٌ كَلَوْنِ الْبَوْلِ قَدْ عَادَ آجِنًا
لَقِيتُ عَلَيْهِ الذَّنْبَ يَغْوِي كَأَنَّهُ
فَقُلْتُ لَهُ: يَا ذَنْبُ هَلْ لَكَ فِي أَخٍ
فَقَالَ: هَذَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ إِنَّمَا
قَلِيلٌ بِهِ الْأَصْوَاتُ فِي كَلٍّ مَحَلٍ
خَالِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ
يُوسَى بِلَا أُثْرَى عَلَيْكَ وَلَا بُخْلِ
دَعَوْتُ لِمَا لَمْ يَأْتِهِ سَبْعُ قَبْلِي

ويوجه امرؤ القيس حواره إلى صاحب أو أكثر، لا وجود لهم في الحقيقة إلا في مخيلته،

ومن دون أن تكون لهم مشاركة في الحوار، أو أي رد فعل، بل يكتفون بالإصغاء إليه ولاسيما عندما يستوقفهم الشاعر عند ديار صاحباته المقفرات، ليزيل عنها شيئاً من وحشتها، ويُسرِّي عن نفسه ما حلَّ بها من ألم وحزن جراء تذكره لأهلها الطاعنين، فيقول^(٢):

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَعِرْفَانٍ
أَتَتْ حَجَّ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَضْبَحَتْ
ذَكَرْتُ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ فَهَيَّجَتْ
فَسَحَّتْ دُمُوعِي فِي الرِّدَاءِ كَأَنَّهَا
وَرَسَمَ عَفَتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَرْمَانٍ
كَخَطِ زُبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهْبَانٍ
عَقَابِيلَ سُقْمٍ مِنْ ضَمِيرٍ وَأَشْجَانٍ
كُلَى مِنْ شَعِيبٍ ذَاتَ سَحٍّ وَتَهْتَانٍ

للشاعر يَحْيَى الْفَادَنِي في ديوانه صادق البان، قصيدة بعنوان [دعيني من حسود]، والتي تُعد

من الأسلوب الحوارية، وهو أسلوب من الأساليب الشعرية القديمة، وإستهل فيها الشاعر، بالحوار بينه وبين فتاة من السودان فقال^(٣):

تَقُولُ وَقَدْ حَمَلْتُ لَهَا كِتَابًا
فَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُ كَلَامَ غِرٍ
وَقَالُوا: شَعْبُنَا شَعْبٌ كَسُولٌ
كَسِفَرِ الدَّهْرِ يُعْطِيهَا الْجَوَابَا
مَقَالَةً خَاطِي جَافَى الصَّوَابَا
فَمَا زَرَعَ الْمَهَابَةَ وَالْيَبَابَا

(١) ديوان امرؤ القيس - تحقيق محمد إبراهيم أبو الفضل - ص ٣٦٣.

(٢) ديوان صادق البان-يحيى الفادني-ص ٩٠.

(٣) المصدر السابق نفسه- ص ٥٤.

الخاتمة

الخاتمة:

وبعد: فإني أحمد الله تعالى الذي وفقني، حتى فرغت من هذا البحث عن (يَحْيَى الْفَادِنِي شاعراً)، والذي بذلت فيه ما وسعني من الجهد والوقت الكثير، ولا أدعي وفاء الغاية، ولا بلوغ النهاية، غير أنني أرجو أن أكون قد أضفت شيئاً للمكتبة العربية.

ولد الدكتور الشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي في مدينة العلم والثقافة، مدينة (رفاعة) عام ١٩٥٣م، ودرس في مدرسة لطفي المتوسطة والثانوية، وعين مدرساً في مدرسة لطفي المتوسطة.

والم تأمل في شعر يَحْيَى الْفَادِنِي، يراه متنوع الأغراض والفنون، فقد نظم في الموضوعات الإسلامية في مدح النَّبِيِّ ﷺ وتناول مولده وسيرته، ومدح أصحابه الكرام كذلك، ونظم في فن الوصف والغزل والشعر السياسي، والذي يتمثل مجالاً وطنياً أظهر مدى حبه لوطنه ورغبته في نهضته، تجلّى ذلك في قصيدة [دعيني من حسود] الحوارية مع فتاة من السودان، وقصيدة [أنا الخرطوم]، التي يتحدث فيها عن مكانة العاصمة التي نشرّت العلوم والتي إحتوت أكبر جامعات في الدول العربية.

وتناول الشاعر في قصائده بعض الصور الفنية التي جملت القصائد متيمناً بشعراء العرب في العصر الجاهلي والعباسي والحديث، وتجلبت هذه الصورة الفنية في الموائمة بين ألفاظه ومعانيه، فهي تحمل طابع الرقة والجزالة، ومن مظاهر إهتمامه بالألفاظ، إستخدامه من غير تكلف للجناس الذي يكون به جمال الإيقاع، وإعتماده على التكرار البليغ الذي يستميل الإذنان.

النتائج:

ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها بعد دراستي لشعر يَحْيَى الْفَادِنِي الآتي:

١- ومن دراستي للشاعر يَحْيَى الْفَادِنِي إتضح لي أنّه متأثر بمدرسة البعث والإحياء، الحركة الشعرية التي ظهرت في أوائل العصر الحديث، والتزم فيها الشعراء النظم على نهج الشعر في عصور ازدهاره.

٢- ووجدت شعره أصيلاً، كما قال النقاد، وذو مفردة عربية راقية، وحافظ يَحْيَى الْفَادِنِي على نهج الشعر العربي القديم في بناء القصيدة؛ فتقيد بالبحور الشعرية المعروفة، والتزم القافية الواحدة في كل قصيدة.

٣- برز جلياً تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، والتراث العربي القديم، وكشف هذا التأثير عن تواصله مع موروثه العربي الإسلامي، لا سيما من خلال المديح النبوي، والثناء.

التوصيات

وإن كان من توصيات يمكن طرحها فهي:

- ١- الأهتمام بالشاعر وتسليط الضؤ على مكانته العلمية، والأدبية، عبر وسائل الإعلام والمنتديات الأدبية.
- ٢- إبراز شخصية الشاعر يَحْيَى القَادِنِي، ومكانته العلمية، عبر جمعيات اللغة العربية والأدبية، في منابر جامعة أم درمان الإسلامية.
- ٣- طباعة دواوينه الشعرية، طباعة مميزة ومنقحة.
- ٤- كشف الغطاء عن آثاره المخطوطة، والقيام بطبعها لترى النور، ولو تحقق ذلك لغنمت الساحة الفكرية والأدبية عامة والسودانية-خاصة- فائدة عظيمة.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الحديث النبوي

- ١ أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، دار بن حزم، بيروت لبنان، ط٢٠١٢، م١.
- ٢ أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان العراق، ط١، ١٩٦٨م.
- ٣ الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- ٤ الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
- ٥ التفسير الميسر، مجمع الملك فهد لطباعة القرآن الكريم، ط٢، ٢٠٠٩م.
- ٦ تراجم شعراء وأدباء وكتاب من السودان، خليل محمود، وزارة الثقافة، الخرطوم السودان، ٢٠٠٩م.
- ٧ تمام المتون، الصفدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، صيدا لبنان، ١٩٦٩م.
- ٨ تاريخ بغداد، خطيب البغدادي، دراسة وتحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
- ٩ تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة ج مصر، ط٧.
- ١٠ جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، ضبط وتدقيق الدكتور يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.
- ١١ الجامع في تاريخ الأدب العربي، الفاخوري، دار الجيل، بيروت لبنان-ط١، ١٩٨٦م.
- ١٢ خزانة الأدب في غاية الإرب، ابن حجة الحموي، شرح عصام شعيثو، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- ١٣ ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق وشرح الدكتور واضح الصمد، دار صادر، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م.
- ١٤ ديوان كميت الأسدي، تحقيق الدكتور محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.
- ١٥ ديوان الحسين بن مطير الأسدي، حسين عطوان، دار الجيل، بيروت لبنان، ١٩٩١م.
- ١٦ ديوان أبي إسحاق الإلبيري، تحقيق د.محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق سورية، ١٩٩١م.
- ١٧ ديوان الأفوه الأودي، شرح وتحقيق د.محمد التونجي، دار صادر بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- ١٨ ديوان مروان بن أبي حفصة، جمع وتحقيق الدكتور حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة ج مصر-ط٣.
- ١٩ ديوان رشيد أيوب، أعاني الدرويش، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة والنشر، القاهرة ج مصر، ٢٠١٢م.

- ٢٠ ديوان الأعشى الكبير، تحقيق الدكتور محمد محمد حسين، دار صادر، بيروت لبنان، ١٩٨٣م.
- ٢١ ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وشرحه ورتبه مجموعة أساتذة.
- ٢٢ ديوان محمد إقبال، إعداد سيد عبد الماجد الغور، دار بن الكثير، دمشق سوريا، ط٣، ٢٠٠٧م.
- ٢٣ ديوان جميل بثينة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٨٢م.
- ٢٤ ديوان سلامة بن جندل، تحقيق د.فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٨٧م.
- ٢٥ ديوان البحتري، شرح وتحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة مصر-١٩٦٤م.
- ٢٦ ديوان محمود سامي البارودي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ج مصر، ٢٠١٢م.
- ٢٧ ديوان عبد الوهاب البغدادي، تحقيق الدكتور عبدالحكيم الأنيس، دار البحوث، دبي الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.
- ٢٨ ديوان السراج البغدادي، جمع ودراسة عادل العزاوي، مطبعة العاني، بغداد العراق، ط١، ١٩٩٠م.
- ٢٩ ديوان الرصافي البلسني، جمع وتقديم د.إحسان عباس، دار الشروق، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.
- ٣٠ ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٤م.
- ٣١ ديوان حسان بن ثابت، شرح وتقديم عبد أ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.
- ٣٢ ديوان دِعل الخزاعي، صنعة الدكتور عبد الكريم الأشتر، مجمع اللغة العربية، دمشق سوريا-ط٢، ١٩٨٣م.
- ٣٣ ديوان أبو فراس الحمداني، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.
- ٣٤ ديوان الخنساء، حققه د.أنور أبو سليم، جامعة مؤتة، دار عمار، الأردن عمان، ط١، ١٩٨٨م.
- ٣٥ ديوان عمر أبي ريشة، دار العودة، بيروت لبنان، ١٩٩٨م.
- ٣٦ ديوان الشماخ ضرار، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة ج مصر، ١٩٦٨م.
- ٣٧ ديوان المهلهل بن ربيعة، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، الإسكندرية ج مصر.رسالة، ط٣، ١٩٨٥م.
- ٣٨ ديوان ربيعة الرقي، صنعه زكي ذاكر العاني، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سوريا، ١٩٨٠م.
- ٣٩ ديوان معروف الرصافي، راجعه مصطفى الغلاييني، دار هنداوي، القاهرة ج مصر، ٢٠١٢م.
- ٤٠ ديوان بن الرومي، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ٢٠٠٢م.
- ٤١ ديوان كعب بن زهير، تحقيق وشرح الأستاذ على فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٧م.
- ٤٢ ديوان الشوقيات، أحمد شوقي، دار العودة، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٨م.
- ٤٣ ديوان عنتر بن الشداد، تقديم مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

- ٤٤ ديوان دريد الصُّمة، تحقيق د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة مصر، ١٩٨٥م.
- ٤٥ ديوان حاتم الطائي، قدم له الدكتور حنا نصر الحثي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان-ط١، ١٩٩٤م.
- ٤٦ ديوان محمد سعيد العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة ج مصر.
- ٤٧ ديوان إمرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة مصر، ط٥، ١٩٩٠م.
- ٤٨ ديوان صادق البان، يَحْيَى القَادِنِي، طباعة دار النشر جامعة أدمرمان الإسلامية.
- ٤٩ ديوان الصُّمة القشيري، جمعه وحققه د. خالد الجبر-دار المناهج، عمان الأردن، ٢٠٠٣م.
- ٥٠ ديوان الشريف المرتضى، شرح الدكتور محمد التونجي، دار الجيل، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٧م.
- ٥١ ديوان إيليا أبي ماضي، دار العودة، بيروت لبنان، ٢٠٠٦م.
- ٥٢ ديوان كعب بن مالك، دراسة وتحقيق سامي مكّي العاني، مكتبة النهضة، بغداد العراق، ط١، ١٩٦٦م.
- ٥٣ ديوان المتلمّس الضُّبُعِي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، ١٩٧٠م.
- ٥٤ ديوان عمرو بن معدى كرب، جمعه مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق سوريا، ط٢، ١٩٨٥م.
- ٥٥ ديوان المثقّب العبدى، تحقيق حسن الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ج مصر، ١٩٧١م.
- ٥٦ ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٣، ١٩٩٦م.
- ٥٧ ديوان أبي نواس، تحقيق إيقالدا قاغتر، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
- ٥٨ ديوان عروة بن الورد، شرح بن السكيت، مطبعة جول كربونل، الجزائر، ١٩٢٦م.
- ٥٩ ديوان لقيط بن يعمر الأيادي، حققه وقدم له د. عبد المعيد خان، دار الأمانة، بيروت لبنان، ١٩٧١م.
- ٦٠ ديوان إبراهيم ناجي، دار العودة، بيروت لبنان، ١٩٨٠م.
- ٦١ ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٨٦.
- ٦٢ ديوان ليبد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت لبنان.
- ٦٣ الدماميني شاعرا وناقداً، سارة حسن السراحنة، رسالة الماجستير، جامعة الخليل فلسطين ٢٠٠٧م.
- ٦٤ راضي صدوق شاعرا، معتصم الضلاعين، جامعة مؤتة بالأردن لعام ٢٠٠٨م.
- ٦٥ الروض المِعْطَار في خبر الأقطار، للجميري، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٨٤.

- ٦٦ روائع الشعر العربي، سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعية، بيروت لبنان.
- ٦٧ الروض الأنف، السهيلي، علق عليه مجدي بن منصور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١.
- ٦٨ سير أعلام النبلاء، الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- ٦٩ السيرة النبوية، ابن هشام، تعليق أ.د. عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٠م.
- ٧٠ شذرات الذهب، ابن العماد، تحقيق محمود الأرنؤوط، دار بن كثير، دمشق سوريا، ط١، ١٩٨٩م.
- ٧١ شعراء عباسيون، حسن رشدي، دار يافا العلمية، عمان الأردن، ط١، ٢٠١٠م.
- ٧٢ الشعر في السودان، عبده بدوي، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨١م.
- ٧٣ الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ج مصر.
- ٧٤ الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، علي البطل، دار أندلس، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٠م.
- ٧٥ الصورة الشعرية وجهات نظر غربية وعربية، عساف ساسين، دار الجيل، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٥م.
- ٧٦ طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة ج مصر، ط٢.
- ٧٧ علم البديع، مختار عطية، دار الوفاء، الإسكندرية ج مصر، ٢٠٠٤م.
- ٧٨ العمدة في صناعة محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - دار الجيل - بيروت لبنان - ط٥ - ١٩٨١م.
- ٧٩ لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- ٨٠ منشور إضاءات حول ديوان [صادح البان] البروفسور المهدي أحمد عبد الماجد.
- ٨١ معجم أعلام شعراء المدح النبوي، محمد أحمد درينقة، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.
- ٨٢ معجم أدباء الإسلاميين المعاصرين، أحمد الجدة، دار الضياء، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
- ٨٣ موسوعة شعراء العصر الجاهلي، عبد عون الروضان، دار الرسالة، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠١م.
- ٨٤ موسوعة شعراء العصر العباسي، عبد عون الروضان، دار الرسالة، عمان الأردن، ط١، ٢٠٠١م.
- ٨٥ المنجم في المعجم، جلال الدين السيوطي، دراسة وتحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار بن حزم، بيروت لبنان، ط١ - ١٩٩٥م.
- ٨٦ موسوعة القبائل والأنساب في السودان، عون الشريف قاسم، دار أفريقيّا للطباعة والتغليف، الخرطوم - السودان.
- ٨٧ مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية التربية بنات، العراق، العدد ٢، السنة ٣، ٢٠٠٧م.

- ٨٨ الموجز في الشعر العربي، فالح الكيلاني، مراجعة وتقديم د. شوقي ضيف -
المكتبة الوطنية، بغداد العراق، ١٩٨٥م.
- ٨٩ مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمي، بتاريخ عام ٢٠١١م.
- ٩٠ المجموعة النبّهانية في المديح النبوي، يوسف النبّهاني، دار الفكر، بيروت لبنان.
- ٩١ الوافي بالوفيات، الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء
التراث العربي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.